الفصل الأول: الشيعة الاثنى عشرية وتفسير القرآن ومرجعهم في ذلك

أنزل اللَّه ﷻ القرآن الكريم هداية للناس ودستورًا إلهيًّا لتنظيم شئون الناس بما يصلحهم في الدنيا والآخرة، وكان من الطبيعي أن ينزل بلغة القوم الذين أنزل عليهم لتقوم الحجة وتنقطع المحجة، ولذلك يقول اللَّه تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت: ٤٤] يضاف إلى ذلك أن القرآن نزل الكثير منه جوابًا لأسئلتهم، وحلًّا لإشكالاتهم، وقد حضروا كثيرا من أحوال نزوله وملابساته، كما يضاف إلى ذلك ما امتاز به القرآن من سمو عباراته وبليغ آياته، وقد كان العرب أهل ألسن وبلاغة صناعتهم الكلام، وهوايتهم البيان فوجدوا في القرآن نهمتهم، وفي بلاغته ضالتهم لذلك كان فهمه ميسورًا عليهم، وما خفي عليهم من معانيه فقد رجعوا فيه إلى الرسول ﷺ ليبينه لهم فقد أنزل عليه القرآن وبيانه فهو القائل ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثلَهُ معه**»[1] وقد خاطبه اللَّه بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] يضاف إلى ذلك أن تلاوة القرآن عبادة من أعظم العبادات وجد الصحابة لذتهم فيها فكانوا يقومون به بالليل خاشعين مع ما امتازوا به من صفة التقوى والورع حتى تفجرت ينابيع الحكمة من قلوبهم وفاضت العلوم والمعارف الربانية على عقولهم ورزقهم اللَّه العلم والفهم كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ونخلص من هذا إلى أن مصدر الصحابة في تفسير القرآن كان يقوم على أمور:

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ج٢ ص٥٠٥ كتاب السنة: باب لزوم السنة.

الأول: الأخذ من رسول اللَّه ﷺ الذي كان ينزل عليه جبريل بالقرآن ومعانيه من قبل اللَّه ﷻ.

الثاني: اعتمادهم على ما فهموه بقرائحهم وهم العرب الخلص الذين نزل القرآن بلغتهم وقد حضروا أسبابه وملابساته، وكان الكثير منه ينزل جوابا لأسئلتهم أو بيانًا لأحداثهم.

ثالثًا: ما ألهمهم اللَّه من الفهم في كتابه لصفاء نفوسهم ونقاء قلوبهم وورعهم وتقواهم لذا كان من الطبيعي لأي مفسر أتى بعد ذلك أن يرجع في تفسيره إلى المأثور عن الرسول ﷺ أو الصحابة رضوان اللَّه عليهم، خاصة فيما يتعلق بأسباب النزول التي يتوقف عليها منهم الكثير من معاني الآيات، وبيان مجمل القرآن، وتقييد مطلقه، وتخصيص عامه، وبيان المبهمات وغير ذلك من العموميات الأولية التي لابد منها في ذلك.

ومع ذلك فإنه لما ظهرت الفتن وانشقت الأمة إلى فرق كل فرقة تناهض الأخرى وتحاول الإنتصار عليها وتحاول إيجاد ما يؤيدها من الكتاب والسنة فظهر الوضع في الحديث والانحراف في فهم القرآن فنسب الشيعة إلى النبي ﷺ وإلى علي وبنيه أقوالًا في التفسير تشهد لمذهبهم، وبالمثل صنع الخوارج والمعتزلة وغيرهم كل ذلك بقصد الترويج للمذهب والانتصار له.

والذي يعنيني في هذا الفصل هو بيان موقف الشيعة إجمالًا من التفسير، وما مرجعهم في هذا التفسير؟، وما قيمة اللغة التي نزل بها القرآن في تفسيره، وموقفهم من القراءات الواردة التي يترتب عليها فهم بعض الآيات أو تعطي مفهومًا جديدًا في الآية، وبيان موقفهم من الإسرائيليات والموضوعات في التفسير ومدى اعتبارها في تفسيرهم، وأسباب النزول ونوعها ومرجعهم فيها، وتفسير المبهمات وتعيينها، كل هذه الأمور دائمًا يضعها الباحث في اعتباره عند النظر في التفسير، وقد بدأت بالنظر في تفسير الشيعة متتبعًا هذه الأمور لمعرفة موقف مفسري الشيعة منها وتحديد وضعهم معها وقد أفردت لكل من هذه المسائل مبحثًا أوضّح فيه ما لاحظته منها في تفسيرهم مع ذكر نصوص توضح مسلك الشيعة في هذا الاتجاه مع إبداء رأيي فيها.

المبحث الأول

الأئمة من آل البيت هم تراجمة القرآن وحدهم عند الشيعة

يعتقد الشيعة الاثنى عشرية أن الأئمة من آل البيت مفوضون من قبل اللَّه تعالى في بيان أحكام اللَّه، وإليهم المرجع وحدهم في فهم القرآن، حيث كان ينزل في بيتهم جبريل، وأهل البيت أدرى بما فيه، فمنهم يؤخذ التفسير والتأويل، وأقوالهم في ذلك لها من القدسية ما لأقوال الرسول سواء بسواء، بحكم أنهم معصومون مثله، وهم نواب عنه في تبليغ الشريعة وبيانها، يعلمون علمه فوق ما خصوا به من العلم الإلهامي، وهم مكلفون بحفظ الشريعة وبيانها، فهم أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجة اللَّه البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى، والإمام عندهم فوق أن يحكم عليه، وفوق الناس في طينته وتصرفاته، حيث أن له صلة روحية باللَّه، لا تقل عن صلة الأنبياء والمرسلين، فهو مشرع ومنفذ، وكما أن اللَّه قد فوض النبي في الدين، فقد فوض الإمام كذلك، ويروون عن الإمام الصادق في ذلك أنه قال: «إن اللَّه خلق نبيه على أحسن أدب، وأرشد عقل، ثم أدب نبيه فأحسن تأديبه فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] ثم أثنى عليه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤] ثم فوض إليه دينه، وفوض إليه التشريع فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] اللَّه فوض دينه إلى نبيه ثم إن نبي اللَّه فوض كل ذلك إلى علي وأولاده سلمتم وجحده الناس، فواللَّه لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا، وأن تصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين اللَّه، وما جعل اللَّه لأحد خيرًا في خلاف أمرنا»[1].

---

(١) انظر: كتاب الوشيعة ص٨٧ لموسى جاد اللَّه.

إذًا فالأئمة مفوضون من اللّه تعالى في بيان الأحكام والإفتاء وتفسير آيات القرآن وتأويلها حسب ما يرون، ولهم أن يبينوا ولهم أن يسكتوا، ولهم فوق ذلك القول بالتقية على حسب الأحوال والمصلحة، والتفويض بهذا المعنى حق ثابت أجمعت عليه كتب التفسير والأخبار وتشهد له الأدلة العقلية عند القوم.

ففي الكافي للكليني: «سأل ثلاثة من الناس الصادق عن آية واحدة في كتاب اللّه فأجاب كل واحد بجواب»[1] أجاب ثلاثة بأجوبة ثلاثة في مسألة واحدة، واختلاف الأجوبة في آية واحدة كان يقع إما على سبيل التقية، وإما على سعة التفويض، كان للإمام أن يبين معنى الآية على حسب ما يراه، فالتفويض ثابت في تفسير الآيات للإمام.

كما تعتقد الشيعة أن الأئمة- فوق ما خصوا به من علم الإلهام- قد استقوا معرفتهم بتفسير القرآن وتأويله من جملة مصادر هي لا تعدو في نظري أن تكون من قبيل الأوهام والخرافات التي لا وجود لها إلا في عقول أصحابها فقط، ومع ذلك يزعمون أن فيها جميع ما يحتاجون إليه من علم القرآن بما في ذلك تفسيره وتأويله، فمن ذلك الذي يعتمدون عليه:

١- كتاب جمع القرآن وتأويله: يزعمون أنه كتاب جمع فيه علي ﷺ القرآن على ترتيب النزول.

٢- كتاب أملى فيه أمير المؤمنين علي ﷺ ستين نوعًا من أنواع علوم القرآن وذكر لكل نوع مثالًا يخصه ويعتقدون أنه الأصل لكل ما كتب في أنواع علوم القرآن، وهم يروون عن علي هذا الكتاب بطرق عدة، ويزعمون أنه في أيديهم إلى اليوم ويبلغ ثلاث عشرة ورقة إلا ربعا بالقطع الكبير الكامل، كل صفحة منها سبعة وعشرون سطرًا.

٣- الجامعة: وهو كتاب طوله سبعون ذراعًا من إملاء رسول اللّه ﷺ وخط علي

---

(١) انظر: تفسير الصافي في المقدمة الرابعة ج١ ص١٧ .

ﷺ، مكتوب على الجلد المسمى بالرق في عرض الجلد، جمعت الجلود بعضها إلى بعض حتى بلغ طولها سبعين ذراعًا، ويعدونه من مؤلفات علي باعتبار أنه كتبها من قول رسول اللَّه ﷺ وإملائه، ويزعمون أن فيه كل حلال وحرام حتى الأرش في الخدش.

٤- الجفر: وهو كتاب أملاه رسول اللَّه ﷺ أيضًا، وقد تضاربت الأقوال فيه وفي موضوعه، ويرجح صاحب أعيان الشيعة أنه كتاب فيه العلوم النبوية من حلال وحرام وأحكام وأصول لكل ما يحتاج إليه الناس في أحكام دينهم، وفيه الإخبار عن بعض الحوادث التي ستقع، وفيه تفسير بعض المتشابه من القرآن المجيد.

٥- مصحف فاطمة: يزعمون أن أبا عبد اللَّه الصادق سأله بعض الأصحاب عن مصحف فاطمة فقال: «إنكم تبحثون عما تريدون وعما لا تريدون، إن فاطمة مكثت بعد رسول اللَّه ﷺ خمسة وسبعين يومًا وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها وكان جبريل يأتيها ويحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة رضي الله عنها»[1]

أما مصحف فاطمة فإنهم يزعمون أن فيه مثل القرآن ثلاث مرات وسيأتي الحديث عنه وعن مصحف علي في مناسبة أخرى وإن كانت كل هذه المصادر لاتعدو أن تكون كلها من قبيل الأوهام والخرافات وكانت موضع سخرية الناس من الشيعة ورميهم بالجهل وتصديق الأوهام والخرافات حتى من خواص الشيعة أنفسهم فقد نقل ابن قتيبة «عن هارون بن سعيد العجلي وكان رافضيًا غاليًا يدعي أنه هو الذي روى كتاب الجفر عن الصادق ثم تحول زيديًا ورجع عن الرفض فقال:

ألم تر أن الرافضين تفرقوا ... فكلهم في جعفر قال منكرا
فطائفة قالوا إمام ومنهم ... طوائف سمته النبي المطهرا
ومن عجيب لم أفضه جلد جفرهم ... برئت إلى الرحمن ممن تجفرا

(١) انظر: كتاب أعيان الشيعة ج١ من ص١٥٤ إلى ص١٨٨ .

برئت إلى الرحمن من كل رافض ... يصير بباب الكفر في الدين أعورا
إذا كف أهل الحق عن بدعة مضى ... عليها وإن لم يمضوا على الحق قصرا
ولو قال إن الفيل ضب لصدقوا ... ولو قال زنجي تحول أحمرا
وأخلف من بول البعير فأنه ... إذا هو للإقبال وجه أدبرا
فقبح أقوام رموه بفرية ... كما قال في عيسى الفراة تنصرا

ثم قال ابن قتيبة وهو جلد[1] جفر ادعوا أنه كتب فيه لهم الإمام كل ما يحتاجون إلى علمه، وكل ما يكون إلى يوم القيامة، فمن ذلك قولهم في قول اللَّه ﷻ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل:١٦]، إنه الإمام ورث النبي ﷺ علمه، وقولهم في قول اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة:٦٧] إنها عائشة رضي الله عنها، وفي قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ [البقرة:٧٣] إنه طلحة والزبير، وقولهم في الخمر والميسر إنهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، والجبت والطاغوت إنهما معاوية وعمرو بن العاص، مع عجائب أرغب عن ذكرها ويرغب من بلغه كتابنا هذا عن استماعها»[2] وقال فيه ابن خلدون: «واعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هارون بن سعيد العجلي وهو على رأس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص، ثم قال وهذا الكتاب لم تتصل روايته ولا عرف عينه وإنما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل»[3].

هذه هي مصادر الشيعة الاثنى عشرية في التفسير وهذا هو اعتمادهم على الأئمة من آل البيت فيه ولنقل أقوال المفسرين منهم في ذلك فأقول:

١- جاء في مقدمة تفسير الصافي للكاشاني ما نصه: «المقدمة الثانية في نبذ ما جاء في أن علم القرآن كله عند أهل البيت: روى الكافي بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «... ما نزلت آية على رسول اللَّه إلا

(١) الجفر من أولاد المعز: ما بلغ أربعة أشهر، (مختار الصحاح).
(٢) انظر: كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٤٩.
(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون ص٢٨٧.

أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها ودعا اللَّه لي أن يعلمني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب اللَّه ولا علما أملاه على فكتبته منذ دعا لي» الخبر وبإسناده عن أبي عبد اللَّه الصادق قال قد ولدني رسول اللَّه ﷺ: «وأنا أعلم كتاب اللَّه تعالى وفيه بدء الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة وفيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر الجنة والنار وخبر ما كان وما هو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي» الخبر.

وعنه قال: «إنا أهل البيت لم يزل اللَّه يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله إلى آخره وإن عندنا من حلال اللَّه وحرامه ما يسعنا كتمانه ما نستطيع أن نحدث به أحدًا) وفي رواية (إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن وأحكامه لو وجدنا أوعية أو مستراحًا لقلنا واللَّه المستعان»[1]

٢- وفي تفسير الحسن العسكري: «أتدرون من المتمسك بالقرآن الذي له الشرف العظيم؟ هو الذي يأخذ القرآن وتأويله عنا أهل البيت أو عن وسائط السفراء عنا إلى شيعتنا لا عن آراء المجادلين وقياس القايسين»[2]

وجاء في مشكاة الأنوار للكازراني في الفصل الخامس من المقالة الأولى والتى عقدها في بيان ما يدل على أن علم تأويل القرآن كله عند الأئمة حيث قال: «اعلم أنه لا ريب في اطلاع النبي والأئمة على جميع وجوه آيات القرآن ومعانيها كلها ظواهرها وبواطنها تنزيلها وتأويلها وأنهم الذين عندهم علم الكتاب كله، كما أنزله اللَّه في بيتهم، فإن أهل البيت أدرى بما في البيت، وقد دلت على هذا أخبار متواترة، فمنها ما في البصائر بسند صحيح عن أبي الصباح عن جعفر بن محمد قال: «إن اللَّه علم نبيه التنزيل والتأويل فعلم رسول اللَّه عليًا وعلمنا . . .» الخبر، وفيه أيضًا بإسناده عن يعقوب بن جعفر قال: كنت مع أبي الحسن بمكة فقال له رجل إنك لتفسر من كتاب اللَّه ما لم نسمع به فقال أبو الحسن: فنحن نعرف حلاله وحرامه وناسخه

---

(١) انظر: تفسير الصافي للكاشاني ص١٢ ج١ .

(٢) انظر: تفسير الحسن العسكري ص٣ .

ومنسوخه وسفريه وحضريه وفي أي ليلة نزلت من آية، وفيمن نزلت، وفيم أنزلت.. الخبر، ثم قال الكازراني معقبًا وأما غيرهم فلا شبهة في قصور علومهم وعجز أفهامهم عن الوصول إلى ساحة إدراك كثير من تفسير الظواهر والتنزيل فضلًا عن البواطن والتأويل بلا إنساد من الأئمة العاملين، ولهذا ورد المنع من التفسير بغير الأخذ منهم عليهم السلام فقد روى العياشي عن الصادق قال من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر وإن أخطأ فهو أبعد من السماء»[1].

٤- وجاء في تفسير البرهان للبحراني ما نصه: «.. لهذا اختلف في تأويله الناس، وصاروا في تأويله على أنفاس وانعكاس، قد فسروه على مقتضى أديانهم، وسلكوا به على موجب مذاهبهم واعتقادهم، وكل حزب بما لديهم فرحون، ولم يرجعوا فيه إلى أهل الذكر (ع) أهل التنزيل والتأويل، القائل فيهم عليه السلام: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧] لا غيرهم وهم الذين أوتوا العلم، وأولو الأمر، وأهل الاستنباط، وأهل الذكر الذين أمر الناس بسؤالهم كما جاءت به الآثار النبوية والأخبار الإمامية، ومن ذا الذي يحوي القرآن غيرهم، ويحيط تأويله وتنزيله سواهم، ففي الحديث عن باقر العلم أبي جعفر محمد بن علي (ع) قال: ما يستطيع أحد أن يدعى أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء وفي الحديث عن مولى الأمة وإمامها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن عبد اللّه بن عباس جاءه يسأله عن تفسير القرآن فوعده بالليل فلما حضر قال: ما أول القرآن؟ قال: الفاتحة قال: وما أول الفاتحة؟ قال: باسم اللّه، قال: وما أول باسم اللّه؟ قال: باسم، قال: وما أول باسم؟ قال: الباء، فجعل عليه السلام يتكلم في الباء طول الليل فلما قرب الفجر قال: لو زادنا الليل لزدنا، وفي حديث آخر (لو شئت لأوقرت سبعين بعيرًا في تفسير فاتحة الكتاب) وقال الباقر في تفسير سورة الإخلاص (لو وجدت لعلمى الذي آتاني اللّه عز وجل جلسة لنشرت التوحيد والإسلام والدين من (الصمد... الخبر»[2].

---

(١) انظر: تفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ص١١ .

(٢) انظر: تفسير البرهان للبحراني ج١ ص١ .

٥- وجاء في مقدمة تفسير الأصفهاني النجفي تحت عنوان: المقدمة الثانية في نُبذ مما جاء في أن علم القرآن كله إنما هو عند الأئمة، ما نصه «في الكافي عن أحدهما- أي: الصادق والباقر- رسول اللَّه أفضل الراسخين في العلم قد علمه اللَّه جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان اللَّه لينزل عليه شيئًا لا يعلمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه. . . الخبر وعن أبي بصير عن أبي عبد اللَّه قال: «نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله» وفي رواية: «الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام». وفي رواية: «وعندنا واللَّه علم الكتاب.

وجاء فيه في المقدمة الرابعة عن العياشي والبرقي عن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر عن شيء من تفسير القرآن فأجابني ثم سألته فأجابني ثانية بجواب آخر. . الخبر.

وعن أبي عبد اللَّه قال: إن للقرآن تأويلًا فمنه ما جاء ومنه ما لم يجئ، فإذا وقع التأويل في زمان إمام من الأئمة عرفه إمام ذلك الزمان، وعن أبي جعفر قال: تفسير القرآن على سبعة أوجه منه ما كان ومنه ما لم يكن بعد يعرفه الأئمة عليهم السلام»[1]

٦- وجاء في مقدمة التفسير المسمى: بيان السعادة في مقامات العبادة للخراساني ما نصه: «الفصل العاشر من أن علم القرآن بتمامه منحصر في محمد وأوصيائه الاثنى عشر وليس لغيرهم إلا بقدر مقامه: قد مضى أن بطون القرآن وحقائقه كثيرة متعددة وأن بطنه الأعلى وحقيقته العليا هو محمدية محمد وعلوية علي وهو مقام المشيئة التي هي فرق الإمكان، وكل نبي ووصي كان لا يتجاوز مقامه الإمكان سوى محمد وأوصيائه، ومن لم يبلغ إلى مقام المشيئة لا يعلم ما فيه ولا يبين من ذلك المقام شيئًا لأن المفسر لا يتجاوز في تفسيره حد نفسه، فكل من علم من القرآن شيئًا أو فسر منه شيئًا وإن بلغ ما بلغ من المقامات لا يكون علمه وتفسيره بالنسبة إلى علم القرآن إلا كقطرة من بحر محيط فإن حقيقة القرآن التي هي حقيقة

(١) انظر: تفسير الأصفهاني النجفي ص٣٠، وص٣١ .

محمد وعلي هي مقام الإطلاق الذي لا نهاية له، والممكن وإن كان، كان أشرف. الممكنات الذي هو العقل الكلي يكون محدودًا ولا يتصور النسبة بين المحدود وغير المتناهي الغير محدود، فعلم كل عالم ومفسر للقرآن بالنسبة إلى علم القرآن كقطرة إلى البحار، ولما كان مقام محمد وعلي وأولاده المعصومين مقام المشيئة كان علم القرآن كله عندهم، وكان على هو «من عنده علم الكتاب» كما في الآية بإضافة العلم للكتاب المفيد للاستغراق، وكان آصف هو الذي عنده علم من الكتاب وكان إبراهيم قد ابتلاه ربه بكلمات معدودة لا بجملة الكتاب، مع أنه كان أكمل الأنبياء بعد نبينا، وكان محمد يؤمن باللّه وكلماته جميعًا كما في قوله: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأعراف:١٥٨] فإن الكلمات جمع مضاف مفيد للاستغراق، وليس المراد به الإيمان الإجمالي وإلا لشاركه غيره فيه بل الإيمان التفصيلي، والإيمان التفصيلي لا يكون إلا بإدراك المؤمن به شهودًا وعيانًا»[1]

٧- وجاء في تفسير القرآن لشُبّر في المقدمة ما نصه: «هذه كلمات شريفة وتحقيقات منيفة وبيانات شافية وإشارات وافية تتعلق ببعض مشكلات الآيات القرآنية وغرائب الفقرات الفرقانية وتتحرى غالبًا ما ورد عن خزان أسرار الوحي والتنزيل، ومعادن جواهر العلم والتاويل، الذين نزل في بيوتهم جبريل. . . . إلخ

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧] قال أي الثابتون فيه ومن لا يختلف في علمه، عن الصادق: «نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله»، وعند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣] قال هم آل محمد يستخرجون تدبيره بأفكارهم»[2]

هذا وإذا تتبعنا تفاسير الشيعة وجدنا أنها تكاد تجمع على هذه العقيدة في اختصاص الأئمة بتفسير القرآن وأن علمه كله منحصر فيهم لا يتعداهم إلى غيرهم، فليس لغيرهم أن يفسر شيئًا من القرآن بل الخلق كلهم قاصرون عن إدراك معانيه،

---

(١) انظر: بيان السعادة في مقامات العبادة للخراساني ص١٠ .

(٢) انظر: تفسير القرآن لشبر ص٣٨ ، وص٨٦ وص١٢٠ .

والأئمة وحدهم هم الذين أحاطوا به علمًا وقد فوضوا في تفسيره، يتصرفون فيه كيفما شاءوا من الأوجه المتعددة فيجيبون هذا بجواب ويجيبون آخر بجواب آخر وهكذا إلى ما لا نهاية للنص الواحد حيث أن مقامهم فوق مقام الإمكان، وتصوراتهم ومداركهم في مقام المشيئة التي هي فوق الإمكان وعليه فلا يعزب عن علمهم منه شيء من محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وعام وخاص ومجمل ومفصل ومطلق ومقيد وظاهر وباطن وغير ذلك من أنواع الخطابات، بل لهم التفويض في تقييد المطلق وتخصيص العام بالسلطة المخولة لهم، وأما المتشابه في القرآن فإنما هو متشابه بالنسبة لغيرهم أما الأئمة فلا متشابه عندهم ولا مبهمات لديهم في القرآن.

ولنذكر نمطًا مما ينقله المفسرون عن الائمة في تفسير نوع من المتشابه وهو الحروف المقطعة في أوائل السور فنقول:

١- جاء في تفسير الأصفهاني عند تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ أول البقرة ما نصه «في المعافي عن الصادق: «هو حرف من حروف اسم اللّه الأعظم المقطع في القرآن الذي يؤلفه النبي والإمام فإذا دعى به أجيب» وروى العياشي عن أبي لبيد المخزومي قال: قال أبو جعفر: «يا أبا لبيد إنه من يملك من ولد العباس اثنا عشر، يقتل بعد الثامن منهم أربعة تصيب أحدهم الذبحة فتذبحه، هم فئة قصيرة أعمارهم خبيثة سيرتهم منهم الفويسق الملقب بالهادي والناطق والغاوي، يا أبا لبيد إن لى في حروف القرآن المقطعة لعلمًا جمًّا، إن اللّه تعالى أنزل: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ فقام محمد حتى ظهر نوره وثبتت كلمته وولد يوم ولد وقد مضى من الألف السابع مائة سنة وثلاث سنين، ثم قال وتبيانه في كتاب اللّه في الحروف المقطعة إذا عددتها من غير تكرار، وليس من حروف مقطعة حرف تنقضي أيامه إلا وقام قائم من بني هاشم عند انقضائها ثم قال الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فذلك مائة وواحد وستون ثم كان بدو خروج الحسين بن علي: : ﴿الٓمٓ ۝١﴾ ويقوم قائمنا عند انقضائها ﴿الٓمٓرٰ﴾ فافهم ذلك وعد واكتمه»[1] وقد نقل الكاشاني هذا النص بعينه

(١) انظر: تفسير الأصفهاني النجفي ص١٧٠ .

عند تفسير أول البقرة[1].

٢- وجاء في مرآة الأنوار للكازراني في الفصل الأول من الخاتمة تحت عنوان نبذ مما ورد من تأويلات الحروف المقطعة التي في أوائل السور قال: «اعلم أن اصل تركيب مقطعات أوائل السور من غير ما تكرر منها أربعة عشر بعدد المعصومين الأربعة عشر، النبي وفاطمة والأئمة الاثنى عشر، والسور هى: الم، الر، المر، كهيعص، طه، طسم، طس، يس، ص، حم، حم عسق، ق، ن ثم قال: وفي معاني الأخبار بإسناده إلى أبي بصير عن أبي عبد اللّه قال آلم حروف من حروف اسم اللّه الأعظم المقطع في القرآن الذي يؤلفه النبي والإمام فإذا دعى به أجيب قال بعض الأفاضل في هذا الحديث دلالة على أن الحروف المقطعات أسرار بين اللّه ونبيه ورموز لم يقصد بها إفهام غيره وغير الراسخين في العلم من ذريته، ثم قال وسنشير فيما ورد في (ص) إلى ما يدل على أن جميع المقطعات القرآنية اسم للنبي والإمام ولنذكر بعض ما يتعلق بتأويلها على ترتيبها. وأخذ يذكر من معاني هذه الحروف على النحو الشيعي فكان فيما ذكر في: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ عن أبي عبد اللّه قال: أي كاف لشيعتنا، هاد لهم ولى لهم، وعده حق يبلغ بهم المنزلة التي وعدهم إياها في باطن القرآن وعن الحجة القائم أنه قال فيها الكاف اسم كربلاء والهاء هلاك العترة والياء يزيد لعنه اللّه وهو ظالم الحسين، والعين عطشه والصاد صبره[2].

ولا شك أنه لو صحت هذه الأخبار عن الأئمة في تفسير هذه الأحرف فتلك أكبر شهادة على أنهم لا علم لهم بالقرآن ولا شيء عندهم من أسراره فما نزل كتاب اللّه بالرموز والألغاز ولا علاقة له بحساب الجمل في حروف (أبي جاد) التي هي عنوان للجهل يضرب بها المثل في الخرافة، والشيعة قد أساءوا بذلك إلى الأئمة من آل محمد إذ ألصقوا بهم أمثال هذه الخرافات.

لكن الشيعة يصرون على ذلك ومنهم من يفسر كتاب اللّه بنسبة هذه الخرافات

---

(١) تفسير الصافي للكاشاني ج١ ص٥٧ .

(٢) انظر: تفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار للكازراني ص٢٣١ .

إلى الأئمة تصريحًا وتلميحًا ومنهم من يشير إجمالًا إلى اختصاص الأئمة بمعرفتها ويذكرون أنها أسرار لم يقصد بها غير النبي والراسخين في العلم من ذريته ويموهون بأنها سنة الأحباب في سنن المحاب، فهو سر الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب، وعليه فإدراك المتشابه في طاقة الأصفياء الأوصياء وليس في طاقة أحد سواهم، وعليه فعلم القرآن كله عند الأوصياء دون غيرهم وكل إمام منهم في عصره كان هوالمرجع في بيانه يبين منه ما يرى بيانه ويكتم ما يرى كتمانه ومرجع الشيعة في تفسيرهم إلى ما ينسبونه إليهم من أخبار.

وعليه فلا يجوز لأحد التهجم على التفسير والتأويل إلا بما ورد عنهم في ذلك وإلا كان كحاطب ليل يجمع الأفعى مع الأعشاب، ولهذا نجد الشيعة يمنعون التفسير بالرأي ويشددون النكير على من فسر القرآن برأيه ويعقدون الفصول في مقدمات تفاسيرهم للتنبيه على ذلك ويروون عن الأئمة أخبارًا منها:

ما جاء في تفسير الأصفهاني:

«المقدمة الثانية في ذكر جملة مما جاء في المنع من تفسير القرآن بالرأي، وساق من الأخبار: روى عن النبي وعن الأئمة القائمين مقامه أن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح والنص الصريح، وعن الشيخ الطوسي عن عبيدة السلماني قال: سمعت عليًّا (ع) يقول يا أيها الناس اتقوا اللّه ولا تفتوا الناس بما لا تعلمون، فإن رسول اللّه قد قال قولًا آل منه إلى غيره، وقد قال قولا من وضعه غير موضعه كذب عليه، فقام عبيدة وعلقمة والأسود وأناس معهم فقالوا يا أمير المؤمنين فما نصنع بما قد خبرنا في المصحف؟ فقال يسأل عن ذلك علماء آل محمد ﷺ»[1].

وجاء في تفسير الكاشاني في المقدمة الخامسة:

«في نبذ مما جاء في المنع من تفسير القرآن بالرأي والسر فيه: عن الأئمة القائمين مقام الرسول أن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح والنص الصريح، وفي تفسير

(١) انظر: تفسير القرآن لمحمد حسين الأصفهاني ص١٨ .

العياشي عن أبي عبد اللّه قال: من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر وإن أخطأ فهو أبعد من السماء[1].

وفي البرهان للبحراني:

«باب في النهي عن تفسير القرآن بالرأي: عن علي بن موسى الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين قال اللّه ﷺ: ما آمن بي من فسر برأيه كلامي، وما عرفني من شبهني بخلقي، وما علم ديني من استعمل القياس في ديني[2].

وعلى هذا النمط أكثر تفاسير الشيعة خاصة أولئك الغلاة الذين التزموا في تفسيرهم بالوارد عندهم من أخبار الأئمة فلا تكاد تخلو آية من خبر عن الأئمة في معناها على المنهج الشيعي مثل تفسير القمي والكازراني وغيرهما من الغلاة فلا يكاد الإنسان يعثر على تفسير عند الاثنى عشرية يقوم على معاني الألفاظ ومراميها، ذلك لأنهم حصروا أنفسهم في دائرة مغلقة، زعموا أنهم تحصنوا بها عن الخطأ، وهو أخذهم التفسير عن المعصومين، الذين كان ينزل بالوحي في بيتهم جبريل، وأهل البيت بما في البيت أدرى، ومن له غيرهم؟ ومن لحل مشكلاته ومعضلاته سواهم؟ بل إنهم يعطون للأوصياء- بزعمهم- من الفهم في القرآن أكثر مما يعطى للأنبياء، ويروون عن الصادق ﷺ في ذلك: «كتاب اللّه على أربعة أشياء: العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء» وقد علق الأصفهاني على هذا النص بقوله: لعل المراد بالأولياء خواص الشيعة والكاملين منهم وإلا فالأئمة أعلم من سائر الأنبياء على ما يستفاد من أحاديثهم (ع)»[3]

أي: أن هذا المفسر جعل فهم الأئمة أعلى مرتبة من فهم الأنبياء من هذا النص، وعليه فهم يفهمون ما فوق الحقائق التي وقف عندها الأنبياء.

---

(١) انظر: تفسير القرآن الصافي للكاشاني ج١ ص٢١ .
(٢) انظر: تفسير البرهان للبحراني ج١ ص١١ .
(٣) انظر: تفسير الأصفهاني ص٣٠ .

ونحن إذا صرفنا النظر عن فهم هذا المفسر فإن كلام الصادق ﷺ صريح في هدم ما تدعيه الشيعة للأئمة من اختصاصهم بفهم القرآن فضلًا عن إدراكهم ما لا تدركه الأنبياء فإنه يفهم منه الآتي:

أولًا: فهم العبارة: وهذه للعامة كما هو صريح كلامه، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٥].

ثانيًا: فهم الإشارات ومرامي الألفاظ البعيدة: وهذه المرتبة للخاصة من العلماء الذين يستبحرون في دراسة الألفاظ ومراميها وإشاراتها، وهي جزء أيضًا من دلالات الألفاظ، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

ثالثًا: إدراك اللطائف الدقيقة التي تكون وراء الألفاظ وتكون كأطيافها: وهذه للأولياء الذين أخلصوا دينهم لله وصلحت سرائرهم وتخلصوا من علائق الدنيا، حتى استوى عندهم ذهبها وترابها وحجرها ومدرها فأصبحوا كما قيل عنهم: لا يؤذون الذر ولا يضمرون الشر، هؤلاء يفيض الله عليهم من معاني كتابه ما لا يصل إليه العلماء بعلمهم ولعل الإشارة إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وهؤلاء يدخل فيهم العترة من آل البيت كافة فقد كانوا رضوان الله عليهم أهلا لكل خير، وأهلًا لكل كرامة، سواء منهم من اعتقد الشيعة له إمامة وولاية أم لا، وهذا بالطبع ليس خاصًا بهم، بل يشاركهم فيه من بلغ تلك المنزلة من غيرهم، فإنه لا حرج على فضل الله، وليست السعادة وقفًا على قوم، أو على أهل بيت بعينه.

رابعًا: إدراك الحقائق ومراد الله على التعيين: وهذه ليست إلا للأنبياء كما هو صريح كلام الصادق ﷺ، وليس في كلامه ما يدل -ولو بالإشارة- على كون الأوصياء عند الشيعة لهم من الفهم مرتبة تعلو مرتبة الأنبياء بل دلالة كلامه على دخولهم في المراتب الثلاث الأولى كسائر الناس، وهذا الفهم لكلام الصادق متعين وهو صريح في نفي ما ادعاه الشيعة من اختصاص الأئمة بفهم القرآن، وهذا هو الحق الذي تؤيده

النصوص الصريحة، فقد أخرج البخاري بسنده عن أبي جحيفة قال: «قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال لا إلا كتاب اللّه أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة، قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر»[1].

فهو صريح في عدم اختصاص الأئمة من آل البيت بشيء من العلم سوى الناس كافة، كما أنه صريح في أن فهم القرآن منحة من اللّه متاحة لمن وفقه اللّه لذلك من الناس، وذلك قوله أو فهم أعطيه رجل مسلم.

أما دعوى الشيعة في اختصاص الأئمة بذلك فهي مناقضة لصريح القرآن في غير ما آية منه قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا﴾ [النساء: ٨٢] فهي صريحة في طلب التدبر في القرآن وأصرح منها ما نعاه اللّه على من لا يتدبره في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤] بل قد أخبر اللّه ﷻ بأنه قد يسر القرآن للذكر والتدبر للجميع حيث قال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٥]، إلى غير ذلك من الآيات التي طلبت التدبر والتفكر في آيات الذكر الحكيم بل قد ندب اللّه إلى الاستنباط وأوضح السبيل إليه فقال: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] فكل ذلك صريح في أن القرآن قد ندب اللّه إلى التدبر والتفكر والاستنباط منه، وأن ذلك متاح للجميع من غير اختصاص بيت دون بيت أو جنس دون جنس.

هذا والأمة لم تر عند أهل البيت علما امتازوا به عن غيرهم، بل هو صريح خبر الإمام علي المتقدم بل المأثور عن ابن عباس في التفسير أكثر مما أثر عن علي نفسه، والمأثور عن علماء الأمة عشرات الأضعاف عن المأثور عن آل البيت ﷺ، ولقد ألمحت في الترجمة لهم إلى أن عددًا من الأئمة لم يشتغلوا بالعلم فضلًا عن أن يشتهروا به، فلم يؤثر عنهم فيه شيء عند العلماء، والمأثور عمن اشتغل بالعلم منهم لم يخالفوا فيه علماء الأمة قيد أنملة وما شذوا في شيء من ذلك، فثبت أن ما تلصقه بهم الشيعة كذب وافتراء، لا يصح نسبته إلى آل البيت الأطهار، لما يلوح عليه من

---

(١) انظر: صحيح البخاري ج١ ص٣٢ كتاب العلم باب كتابة العلم.

علامة الوضع، فإن آل البيت لا يحجرون على عقول الناس، وإنما أراد الشيعة أن يروجوا لهذه الأخبار مستغلين في ذلك عواطف الناس من جهة آل البيت وحبهم لهم فادعوا لهم تلك الدعوى وزعموا أن عقول الناس قاصرة عن الفهم لا يجوز لها أن تأخذ التفسير إلا من طريق الأئمة، أهل التفسير والتأويل الذين كان ينزل في بيتهم جبريل، وآل البيت بما فيه أدرى. . . . إلخ بهذا الأسلوب العاطفي، الذي يبدو كأنه صحيح فيؤثرون به على السذج وضعاف العقول فيقع في حبائل الشيعة مسلمًا قياده لهم، فيلقنونه حينئذ تلك الأكاذيب التي تهدم معاني القرآن وشرائع الإسلام فيصل بذلك الشيعة إلى ما يريدون. وقد تبين أن هذه دعوى قام الدليل على بطلانها من العقل والقرآن والثابت الصحيح عن علي عليه السلام، فلا يصح أن نلغي عقولنا، ونقبل الحجر عليها ونأخذ بهذه المفاهيم السقيمة من أفواه الشيعة التي ينحرفون بها عن جادة الصواب وعن مسلمات العقول والثابت المنقول إلى خدمة غرض من الأغراض لم يقم عليه دليل من عقل أو نقل.

إن من أعظم نعم اللَّه على عباده نعمة العقل، بها امتاز الإنسان، وبها رفعه اللَّه وفضله على كثير من خلقه، وبها ناط التكليف، وأرسلت الرسل لمخاطبة الناس بما يعقلون ورفع التكليف عن فاقد العقل، وأنزلت الكتب ليتدبرها الإنسان بعقله، فهل يصح بعد ذلك أن ندعي أن عقولنا قاصرة عن فهم ما خاطبنا اللَّه به، وكلفنا العمل بمعناه؟ ألا يعد ذلك عبثا، وتكليفا بما لا يطاق؟

نعم ما صح عن رسول اللَّه ﷺ من تفسير فلا يعدل به على أن العقل لا يمنع إذا جاء تفسير عن الرسول في آية وكان النص القرآني أعم مما ورد في التفسير، فإن العقل لا يمنع من شمول النص القرآني لما يمكن أن يحتمله من أوجه، ويكون ما فسر به النبي محمولًا على أحد المصاديق الداخلة في النص دخولًا أوليًّا ومن هنا قال العلماء (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) فإنه لو ثبت أن آية نزلت في سبب خاص وكان لفظها عامًّا فالعبرة بهذا العموم في تفسيرها، مع دخول السبب فيها دخولًا أوليًّا، وكذا الحال فيما ورد عن الصحابة من تفسير اتفقوا عليه، فإن اختلفوا تخيرنا

ما كان أنسب لمعاني القرآن ومعطيات الألفاظ ثم بعد ذلك ففي كتاب اللَّه متسع للفهم والاستنباط ولا يصح الحجر على العقول بحجة تهدم ولا تخدم، ودعوى يشم منها رائحة التعصب المذهبي، والهوى المتبع، وتعارض صريح الكتاب والسنة، هذا كما أن حصر الشيعة العلم والرواية في الأئمة، ورفضهم الأخذ برواية الأمة وما نقله الصحابة عن النبي ﷺ فهي دعوى على خلاف الدليل قطعًا وسيأتي لها مزيد بيان في محله بعون اللَّه تعالى.

والإنصاف يقتضيني أن أذكر أنه وجد من بين مفسري الشيعة من خرج عن هذه النظرة السقيمة وهذه الدائرة المغلقة، وتحرر من هذا القيد إلى حد ما، ففسر كتاب اللَّه على النهج الذي سلكته الأمة ذلك هو الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي. حيث نجده في تفسيره لا يحصر نفسه في هذا النطاق الضيق بل يأخذ بمفاهيم الأمة من السلف والخلف وبأقوال الصحابة والتابعين وبما رواه أهل السنة عن الرسول ﷺ، وإن كان لا يغفل ما رواه الشيعة عن الأئمة في معنى الآية فيذكره وكثيرًا ما يرجحه ويميل إليه، لكنه يعرض في معني الآية ما قيل فيها عن المفسرين، كما أنه يتجنب ما تذكره تفاسير الشيعة من غلو في حق الأئمة وأعدائهم- بزعمهم- وهذا النمط من التفسير مفقود البنية في تفاسير الشيعة، وهذا ما جعل الطبرسي أعدل مفسريهم وقد أبان عن منهجه في هذا بقوله: «واعلم أن الخبر قد صح عن النبي ﷺ وعن الأئمة القائمين مقامه أن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح والنص الصريح، وروت العامة أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: «من فسر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد أخطأ»[1] قالوا وكره جماعة من التابعين القول في القرآن بالرأي كسعيد بن المسيب وعبيدة السلماني ونافع وسالم بن عبد اللَّه وغيرهم، والقول في ذلك أن اللَّه سبحانه ندب إلى الاستنباط وأوضح السبيل إليه ومدح أقوامًا عليه فقال: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣] وذم آخرين على ترك تدبره والاضطراب عن التفكير فيه فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤] وذكر أن القرآن

(١) أخرجه أبو داود كتاب العلم: باب الكلام في كتاب اللَّه بغير علم ج٢ ص٢٨٧، وإسناده ضعيف.

منزل بلسان العرب فقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف:٣] وقال النبي ﷺ: «**إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب اللّه فما وافقه فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط**»[١] فبين أن الكتاب حجة.

ومعروض عليه، وكيف يمكن العرض عليه وهو غير مفهوم المعنى فهذا وأمثاله يدل على أن الخبر متروك الظاهر فيكون معناه إن صح أن من حمل القرآن على رأيه ولم يعمل بشواهد ألفاظه فأصاب الحق فقد أخطأ الدليل.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه»[٢] وروى عن عبد اللّه بن عباس أنه قسم وجوه التفسير على أربعة أقسام: تفسيرلا يعذر أحد بجهالته، وتفسر تعرفه العرب بكلامها، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا اللّه ﷻ، فأما الذي لا يعذر أحد بجهالته فهو ما يلزم الكافة من الشرائع التي في القرآن وجمل دلائل التوحيد، وأما الذي تعرفه العرب بلسانها فهو حقائق اللغة وموضوع كلامهم، وأما الذي يعلمه العلماء فهو تأويل المتشابه وفروع الأحكام، وأما الذي لا يعلمه إلا اللّه فهو يجري مجرى الغيوب وقيام الساعة[٣].

وهكذا نرى الطبرسي قد لفظ عقيدة الشيعة في حصر التفسير في الأئمة، وهذا هو الحق الذي لا محيص عنه، كما تقدم.

★★★

(١) الحديث موضوع حيث نص على ذلك الشوكاني في كتابه إرشاد الفحول ص٢٩ .
(٢) انظر: منتخب كنز العمال ج١ ص٣٦٧، حيث ذكر أنه أخرجه أبو نعيم في الحلية .
(٣) انظر: مجمع البيان للطبرسي المقدمة ج١ ص٢٧ .

المبحث الثاني

القرآن وآل البيت في تفاسير الشيعة

لم تقف نظرة الشيعة على هذا الحد الذي سبق بيانه في أخذ التفسير عن الأئمة من آل البيت ونسبته إليهم وحصره فيهم، ودعوى أنهم خزان وحي اللّه وعلمه، بل تجاوزوا هذا الحد إلى تفسير جانب من القرآن بالأئمة أنفسهم، وتفسير جانب آخر بأعدائهم ومخالفتهم في زعمهم فجعلوا القرآن نفسه يدور- في فلك الولاية والإمامة التي يدعونها للأئمة من آل البيت، فالقرآن في نظر الشيعة نزل بتمامه في الأئمة الاثنى عشر بل كل الشرائع الإلهية وجميع الكتب السماوية نزلت فيهم وفي توجيه أنظار الخلق إليهم، بل ما من آية مدح إلا فيهم وفي أوليائهم نزلت، وما من آية قدح إلا في مخالفيهم وفي أعدائهم وردت، والقرآن لا يعدو هذين القسمين في نظرهم، وعلى هذا الأساس يفسرونه، وينسبون إلى الأئمة ما يستدلون به على هذا المعنى، ويذكرونه في مقدمة تفاسيرهم تنبيهًا على هذا، فمن ذلك:

١- ما جاء في مقدمة تفسير البحراني باب فيما عنى به الأئمة في القرآن جاء فيه «عن العياشي قال أبو عبد اللّه (ع): «من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكب الفتن) وعن أبي جعفر (ع) قال: «إذا سمعت اللّه ذكر أحدًا من هذه الأمة بخير فهم نحن، وإذا سمعت اللّه ذكر قوما بسوء ممن مضى فهم عدونا» وذكر تحت باب فيما نزل عليه القرآن من أقسام (عن الأصبغ بن نباتة «قال: سمعت أمير المؤمنين يقول نزل القرآن أثلاثا ثلث فينا وفي عدونا وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام» وعن العياشي عن أبي جعفر قال: «نزل القرآن على أربعة أرباع ربع فينا وربع في عدونا وربع فرائض وأحكام وربع سنن وأمثال، ولنا كرائم القرآن»[1]

(١) انظر: تفسير البرهان للبحراني ج١ ص١٣، ١٤ المقدمة.

٢- وجاء في تفسير الصافي للكاشاني في المقدمة الثانية «عن العياشي عن أبي عبدالله قال: «إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطب جميع الكتب عليها يستدير محكم القرآن وبها نوهت الكتب) وعقد المقدمة الثالثة في نبذ مما جاء في أن جل القرآن إنما نزل فيهم وفي أوليائهم وبيان أعدائهم وسر ذلك، ذكر فيه خبر الكافي وما جاء في تفسير العياشي عن أبي جعفر: «نزل القرآن على أربعة أرباع. . .» الخبر المتقدم. ثم ذكر خبر الأصبغ بن نباتة المتقدم أيضًا. . .

ثم قال إنه قد وردت أخبار جمة عن أهل البيت في تأويل كثير من أيات القرآن بهم وبأوليائهم وبأعدائهم حتى إن جماعة من أصحابنا صنفوا كتبًا في تأويل القرآن على هذا النحو جمعوا فيه ما ورد عنهم (ع) في تأويله آية آية إما بهم أو بشيعتهم أو بعدوهم على ترتيب القرآن[1] وقد روى في الكافي وتفسير العياشي وعلي بن إبراهيم القمي والتغير المسموع من الإمام أبي محمد الزكي- يقصد الحسن العسكري- أخبار كثيرة من هذا القبيل وذلك مثل ما في الكافي عن أبي جعفر (ع) قال في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء:١٩٣] قال: هي الولاية لأمير المؤمنين، وفي تفسير العياشي عن محمد بن مسلم- أحد رواة الشيعة- عن أبي جعفر قال: «يا أبا محمد إذا سمعت الله ذكر قومًا من هذه الأمة بخير فنحن هم. . .» الخبر المتقدم وفيه عن عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله وقد سأله عن قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] قال: فلما رآني أتتبع هذا وأشباهه من الكتاب قال: حسبك. كل شيء في الكتاب من فاتحته إلى خاتمته مثل هذا فهو في الأئمة عنوا به[2].

٣- وجاء في مقدمة تفسير الأصفهاني: «المقدمة الخامسة فيما نزل عليه القرآن من الأقسام الكلية وما يتعلق بذلك ونقل خبر الكافي وما جاء في تفسر العياشي عن أبي جعفر (ع) قال: «نزل القرآن على أربعة أرباع. . . الخبر» وأورد عدة أخبار»[3]

---

(١) أحب أن أشير أن الكاشاني أحد أولئك الذين صنفوا تفسيرهم على النحو الذي ذكره .

(٢) انظر: تفسير الصافي للكاشاني ج١ ص١٤ .

(٣) انظر: تفسير الأصفهاني ص٤٥ .

٤- وجاء في تفسير سلطان الخراساني ما نصه: «الفصل الرابع عشر في أن القرآن نزل تمامه في الأئمة الاثنى عشر بوجه ونزل فيهم وفي أعدائهم بوجه، ونزل أثلاثًا ثلث فيهم وفي أعدائهم وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام بوجه، وثلث فيهم وفي أحبائهم وثلث في أعدائهم وثلث سنة ومثل بوجه، ونزل أرباعًا ربع فيهم وربع في عدوهم وربع سنن وأمثال وربع فرائض وأحكام بوجه، وقد ورد الإشعار بكل في الأخبار ثم قال: اعلم أن اللّه تعالى شأنه العزيز كان غيبًا محضًا ومجهولًا مطلقا، وكان لا اسم له ولا رسم، ولا خبر عنه ولذا كان يسمى (بالعمى) فأحب أن يعرف فخلق الخلق لكى يعرف كما في الحديث القدسي المعروف، فكان أول ظهوره فعله الذي يسمى بنفس الرحمن، والإضافة الإشراقية ومقام المعروفية، والحقيقة المحمدية واللطيفة العلوية، ويسمى بالمشيئة باعتبار كون إضافة اللّه إلى الخلق، وبالولاية المطلقة باعتبار كونه إضافة الخلق إلى اللّه. . . إلى أن قال: ولما كانت جميع الشرائع الإلهية والكتب السماوية لتصحيح الطريق الإنسانية، وتوجيه الخلق إلى الولاية وكان أصل المتحققين بالطريق الإنسانية والولاية، والمتحقق بالولاية المطلقة محمدًا وعليًا وأولادهما صح أن يقال جملة الشرائع الإلهية وجميع الكتب السماوية نزلت فيهم وفي توجيه الخلق إليهم وهو وصف وتبجيل لهم، ولما كان كثير من آيات القرآن نزلت فيهم تصريحًا أو تعريضًا أو تورية، وما كان في أعدائهم لم يكن المقصود منه إلا الاعتبار بمخالفيهم، والإنزجار عن مخالفتهم ليكون سببًا للتوجيه إليهم، لمعرفة قدرهم وعظمة شأنهم وكان سائر آيات الأمر والنهى والقصص والأخبار لتأكيد السير على الطريق الإنسانية إلى الولاية، صح أن يقال جميع القرآن نزل فيهم.

ولما كان القرآن مفصلًا، يكون بعض آياته فيهم وفي محبيهم، وبعضها في أعدائهم ومخالفيهم وبعضها سننًا وأمثالًا، وبعضها فرائض وأحكامًا، صح أن يقال نزل القرآن فيهم وفي أعدائهم، ونزل أثلاثًا أو أرباعًا، والآيات الدالة على أخبار الأخيار والأشرار الماضين كلها تعريض بالأئمة وأخيار الأمة وأشرارهم مع قطع النظر عن رجوعها إليهم وإلى أعدائهم، بسبب كونهم أصلًا في الخير وكون أعدائهم

أصلًا في الشر.

بل نقول كل آية ذكر فيها خير كان المراد بها أخيار الأمة وكل آية ذكر فيها شر كان المراد بها أشرار الأمة، لكون الآية فيهم أو تعريضا بهم، ولكونهم وكون أعدائهم أصلًا في الخير والشر.

وفي الزيارة الجامعة إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه، وهكذا الحال في حال أعدائهم بحكم المقابلة، فإن ذكر الشر كانوا أوله وآخره واصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه»[1].

٥- وجاء في تفسير الكازراني الفصل الأول من المقالة الأولى في هذا المعنى ما نصه: «روى الكليني بإسناده إلى أبي بصير قال: قال الصادق (ع) يا أبا محمد: ما من آية تقود إلى الجنة ويذكر أهلها بخير إلا وهي فينا وفي شيعتنا، وما من آية نزلت يذكر أهلها بشر وتسوق إلى النار إلا وهي في عدونا ومن خالفنا.

وفي الكليني عن الباقر (ع): قال النبي ﷺ في خطبته يوم الغدير[2]: «**معاشر الناس: هذا علي أحقكم بى وأقربكم إلىّ، واللّه وأنا عنه راضيان، وما نزلت أية رضا إلا فيه، وما خاطب الذين آمنوا إلا بدأ به، وما نزلت آية مدح في القرآن إلا فيه، معاشر الناس إن فضائل علي عند اللّه ﷻ وقد أنزلها عليَّ في القرآن أكثر من أن أحصيها في مكان واحد، فمن نبأكم بها وعرفها فصدقوه**»[3]

ومع أن هذا الخبر الأخير موضوع لا يشك أحد في وضعه كسابقه من الأخبار إلا أنه على كل حال أوضح لنا السر في نسبة الشيعة هذه الأخبار إلى الأئمة فإنه صريح في تصديق الشيعة لأي خبر يأتي يحمل مدحًا للأئمة عندهم ولو كان كاذبًا، فمعيار الصدق عندهم... أن تحمل مدحًا للأئمة أو قدحًا لأعدائهم- بزعمهم- ، وذلك قوله: «فمن نبأكم بها وعرفها فصدقوه» وأخذ الشيعة في الكذب على الأئمة من ولد

---

(١) انظر: تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة ج١ ص١٢، ص١٣ .

(٢) هو اليوم الذي تزعم الشيعة أن النبي نصب فيه عليًّا واليًا من بعده، وهو يوم ١٨ ذي الحجة سنة ١٠هـ.

(٣) انظر: تفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار للمولى الكازراني ص٥ .

علي، وامتلأت كتب التفسير بهذه الأكاذيب فما من آية جاءت تحمل مدحًا لشيء ما، أو تخاطب جماعة المؤمنين إلا صرفوها إلى الأئمة، وما من آية تحمل ذمًّا لشيء ما، أو تتحدث عن الكافرين أو المنافقين أو الفاسقين أو الظالمين... إلخ إلا حملوها على خيرة أصحاب رسول الله ﷺ على اعتبار أنهم أعداء الأئمة الألداء، حيث إنهم اغتصبوا الخلافة منهم- بزعم الشيعة- وعلى هذا النحو جرت تفاسير الأكثرين من الاثنى عشرية مثل تفسير الحسن العسكري أحد الأئمة المعصومين- عندهم- وجرى على النمط تفسير القمي والكازراني والكاشاني والبحراني والأصفهاني ففي القمي مثلًا: «في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ [الفاتحة:٧]، هو طريق علي بن أبي طالب، ﴿غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [نفس السورة]، هم النصاب- يعني: الذين يعتقدون صحة خلافة أبي بكر وعمر- والضلّال والشكاك الذين لا يعرفون الإمام[1]، والمراد بالمتقين في قوله: ﴿هُدًى لِّلمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢] هم الشيعة، أي بيان لشيعتنا[2]، والذي يهلك الحرث والنسل، هو عمر أو معاوية، والذي يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله: هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[3]، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:٢٥٧] هو أمير المؤمنين والائمة من بعده، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَولِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [نفس الآية]: هم الظالمون آل محمد حقهم والذين اتبعوا من غصبهم[4]، والذين تبيض وجوههم: هم الأئمة وشيعتهم، وبالمقابل في الذين تسود وجوههم: هم الخلفاء الثلاثة وأصحابهم ومن شايعهم[5] وذلك في قوله: ﴿يَومَ تَبيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]، والذين يشترون الضلالة: هم الذين ضلوا في أمير المؤمنين[6] والذين كفروا هم دائمًا من لم يقروا بالولاية لأمير المؤمنين[7]، والذين ظلموا دائمًا

---

(١) انظر: تفسير القمي ص٢٦.
(٢) نفس المرجع ص٢٦.
(٣) نفس المرجع ص٦١.
(٤) ص٧٥.
(٥) ص٩٨.
(٦) ص١٢٨.
(٧) ص٣٤٥.

هم الذين ظلموا آل محمد حقهم[1]، والذين ينقضون عهد اللّه من بعد ميثاقه هم الذين نقضوا البيعة التي أخذت عليهم لأمير المؤمنين، والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات: هم الأئمة وشيعتهم دائمًا[2]، وهذه ظاهرة في تفاسير الشيعة طبيعية قل من يشذ عليها، فإني قد تتبعت تفاسيرهم فيها فوجدتها على هذا النمط من التفسير، خاصة أولئك الذين مر ذكرهم، ولم يخفف من غلوائه منهم إلا النزر اليسير مثل: شبر، ومحمد جواد البلاغي، أما الطبرسي ومغنية فقد خلا تفسيرهما من هذه الحماقات إلا في النادر القليل جدًّا.

والمهم الآن ليس هو مناقشة هذه العقيدة، لما أن مجاله سيأتي باستفاضة، وإنما المهم هو: هل ورد شيء من القرآن فعلا في شأن الأئمة من آل البيت أو لا؟

فإنه لعل الشيعة اعتمدت على نص صريح في الأئمة، يخدم مدعاهم فعممت هذا الاتجاه في التفسير بناء عليه،

ونحن إذا تصفحنا القرآن من أوله إلى آخره لم نعثر على أثر البيعة لهؤلاء الأئمة، ولا على ما يؤيد الشيعة في مدعاهم، والدليل على ذلك: أن الشيعة أنفسهم إنما يعتمدون أساسًا على ما ينسبونه لآل البيت من أخبار فقط، في أن القرآن نزل أثلاثًا أو أرباعًا ولم تأت الشيعة بنص من القرآن في ذلك. ولا يمكن أن يأتوا في ذلك بنص البتة، بل إن الوارد في القرآن في شأن آل البيت عامة محدود ولا دليل فيه إطلاقًا للشيعة.

فقد ورد: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣] وهي صريحة في أزواج النبي ﷺ، ومن قرأ الآيات قبل وبعد يدرك ذلك بداهة لكن إن أخذنا بقاعدة (عموم اللفظ) دخل فيها جميع آل البيت الأطهار، وآل البيت هم: بنو هاشم وبنو المطلب جميعًا كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة، وأي دلالة في ذلك للشيعة في اختصاصها بالأئمة الاثنى عشر دون سواهم من بقية آل البيت

---

(١) ص٤٦٥ .

(٢) ص٣٤١ والنسخة موجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٣١) تفسير .

الكرام، وورد أيضًا قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال:٤١]، وهذه في بيان حق قرابة الرسول في خمس الغنائم، ومثلها في ذلك: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر:٧]، في حق قرابة الرسول في الفيء، بدون قتال، وهو بإجماع المسلمين حق لقرابة الرسول من بنى هاشم وبني المطلب وهم الذين حرموا الصدقة فعوضهم اللّه عنها، خمس الفيء، وخمس خمس الغنيمة، ولا دلالة أيضًا في الآيتين على اختصاصها بالأئمة الاثنى عشر فضلًا عن دلالتها بأن القرآن كله يدور في فلكهم، مدحًا لهم، وذمًّا لأعدائهم، كأنه كتاب حزبي شيعي ألف على مذهب الشيعة في الأئمة وأوليائهم، ومخالفيهم وأعدائهم كما يزعمون.

هذا هو الوارد في القرآن في شأن آل البيت وقرابة الرسول، وهذا المراد به لا يحتمل النص غير ما ذكرت، أما ما تدعية الشيعة فهي دعوى بينة البطلان، تهدم معاني القرآن وتحجب ضياءه عن القلوب، وتذهب بهداياته وتعاليمه مذهب اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل، لا واللّه ما وجدنا في اليهود والنصارى من يغالون في أهل بيت بعينه هذه المغالاة، ويطعنون في أمثل الأجيال عندهم ممن صحبوا أنبياءهم كما فعل الروافض بأصحاب رسول اللّه، وحرفوا معاني القرآن، فاللّه يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون.

★★★

المبحث الثالث

اللغة والبلاغة والمناسبات بين السور والآيات في تفسير الشيعة

التفسير نوعان: تفسير بالمأثور، وتفسير بالرأي والاجتهاد.

وهذا الأخير دعامته الأولى اللغة العربية ومعرفة أسلوبها، وطرق مخاطباتها وإحكامها وتصريف كلماتها ومعرفة فنون البلاغة من بيان ومعان وبديع وما تشتمل عليه من مباحث، هذا أمر لا يختلف عليه، بل لابد للمفسر من بلوغه الغاية القصوى في هذه الفنون وإحاطته بها فإنه مهما قيل في أوجه الإعجاز في القرآن فإنه من المتفق عليه أنه بلغ مبلغ الإعجاز في نظمه ولفظه وأسلوبه بحيث لو أدرنا لفظة منه على لسان العرب لما وجدنا لفظة تحل محلها وتؤدي معناها في موضعها من آيتها.

ولذلك كانت ألفاظه يتعذر فهم بعضها على البعض من الصحابة أنفسهم، لأن الواحد منهم مع أنه عربي رضع ألبان العربية في جزيرة العرب لم يكن محيطًا بكل لغة العرب التي نزل القرآن بأفصح ما فيها وفي هذا يروى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: «لا يحيط باللغة إلا نبي»[1].

ويروون عن ابن عباس أنه قال: «الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله اللّه بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه»[2]

ويروون عنه أيضًا أنه لم يعرف معنى (فاطر) حتى اختصم إليه أعرابيان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، يعني ابتدأتها، وأشكل عليه معنى (فاتح) حتى اختصمت إليه امرأة وزوجها فقالت: جئناك لتفتح بيننا، أي: لتحكم بيننا[3] وغير ذلك كثير.

---

(١) انظر: كتاب الإتقان في علوم القرآن ج٢ ص١٢٦ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.
(٢) انظر: كتاب الإتقان في علوم القرآن ج٢ ص٦٧.
(٣) انظر: الإتقان للسيوطي ج٢ ص٤ النوع السادس والثلاثون.

والبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، وإذا كانت الأحوال والمقامات متعددة ومتنوعة ومتفاوتة تفاوتا لا حد له، فإن الكلام يتفاضل سموًّا ودنوًّا بنسبة مراعاته لهذه المقامات، ولا يزال يترقى من هذه الحيثية حتى يبلغ حد الإعجاز الذي يخرج عن طوق الخلق أجمعين، وهذا هو ما بلغه القرآن قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء:٨٨] وقد تحدى اللَّه العرب بالقرآن في هذا الميدان، حيث تحداهم أن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات فعجزوا ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة وأن يدعوا شهداءهم من دون اللَّه ليعاونوهم في ذلك فعجزوا فثبت أنه بلغ الغاية القصوى في هذا الميدان بل وشهد له أساطين البلاغة والبيان من أعدائه بذلك وهو الوليد بن المغيرة شيخ قريش وأسنها حينما ذهب يفاوض الرسول فيما جاء به ويتوسط بينه وبين قريش فاستمع إلى بعض آيات من الرسول ثم عاد إلى قريش بغير الوجه الذي ذهب به فتلقاه أبو جهل فقال له واللَّه ما ترضى قريش منك بهذا، فقال وما أقول؟ قال: قل في القرآن قولًا يبلغ قومك أنك منكر له، فواللَّه ما يرضون منك بغير هذا فقال الوليد: وماذا أقول؟ فواللَّه ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، وواللَّه ما يشبه هذا الذي يقول شيئًا من هذا، وواللَّه إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته..[1].

فتلك شهادة عدو للقرآن، والفضل ما شهدت به الأعداء !!

والسر في ذلك: أنه جرت حكمة اللَّه ﷻ أن تكون معجزة كل نبي من جنس ما اشتهر به قومه، والعرب قد اشتهرت قبيل الإسلام بالفصاحة والبيان، حتى لقد كانت تعقد الأسواق والأعياد للمبارات في هذا الميدان، فجاءت معجزة خاتم المرسلين من هذا النوع لتقوم الحجة وتنقطع المحجة، فكان القرآن هو الرسالة، وهو الدليل

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ج٢ ص.٥٠٦ تفسير سورة المدثر.

عليها، وذلك من عجيب المعجزات، وفي هذا يقول ﷺ: «**ما من رسول إلا أوتي ما على مثله يؤمن البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا يتلى، فأنا أكثرهم تابعًا وأنا خاتم النبيين**»[1]

لذا نجد كتب المفسرين تتبارى في هذا الميدان أيتهم يسبق إلى كشف سر من هذه الأسرار، أو التنبيه على لفتة من هذه اللفتات أو تلمس مناسبة من المناسبات، بين السور والآيات أو كشف إيماءة من الإيماءات، أو إشارة من الإشارات، وقد اعتنى بهذا الجانب عدد كثير من مفسري أهل السنة والجماعة، وكذا مفسري المعتزلة قديمًا مثل الزمخشري، والقاضي عن عبد الجبار وغيرهما، فماذا يا ترى في كتب التفسير عند الاثنى عشرية في هذا الجانب؟

والجواب: هو أن تفاسير الشيعة الاثنى عشرية قسمان:

الأول: تفاسير اعتمدت على المأثور من الأخبار التي ينسبونها إلى الأئمة من آل البيت مثل التفسير المنسوب للحسن العسكري وتفسير علي بن إبراهيم القمي والكازراني والكاشاني والأصفهاني والخراساني والبحراني، فهؤلاء عماد تفسيرهم الأخبار المروية عن الأئمة بحيث لا تكاد تخلو آية عن أثر وارد في معناها فيفسرونها به، وسماتها البارزة هي:

١- الغلو في التشيع إلى حد لا يستساغ عقلًا، حيث يحملون آيات القرآن كلها إما على الأئمة من آل البيت إن كانت تحمل مدحا، أو على مخالفيهم إن كانت تحمل قدحًا، ولا تخلو آية عندهم عن هذا، فالقرآن كله في نظرهم يدور في فلك الولاية والإمامة.

٢- خلو هذه التفاسير عن الأبحاث اللفظية ومفردات اللغة العربية، والتراكيب النحوية، ونحو ذلك.

٣- كما قد خلت كذلك عن بيان المحاسن البلاغية، وبيان أوجه الإعجاز البياني وغير البياني في القرآن، ولا عناية لها البتة بذكر مناسبة، أو بيان اتصال آية بأخرى أو

---

(١) أخرجه الإمام مسلم وانظر صحيح مسلم ج١ ص٧٥ كتاب الإيمان.

تعانق المعاني وتآخي المجمل والألفاظ ونحو ذلك.

قد يقال إن هذا المنهج المذكور هو أشبه بالتفسير المأثور، والتفسير بالمأثور لا عناية له بهذه الجوانب، والجواب من وجهين:

الوجه الأول: أن التفسير مهما اعتمد على المأثور فإنه لا يمكن استغناؤه عن الرأي والاجتهاد، وذلك بمراعاة هذه الجوانب وغيرها مما يعتمد عليه التفسير بالرأي المحمود، لأنه الوارد في التفسير لا يغطي كل معاني القرآن، بل إن ابن عباس المسمى بترجمان القرآن والحبر والبحر والذي دعا له الرسول ﷺ بقوله: «**اللَّهم علمه الكتاب**»[1] قال عنه الشافعي رضي الله عنه: لم يصح عن ابن عباس في التفسير إلا مائة حديث أو زهاءها[2]. ولذلك نجد مفسري الأثر عند أهل السنة يعتمدون كذلك على توجيه الآيات وشرحها على ضوء العربية وذكر بعض المحاسن البلاغية، وذكر بعض المناسبات ونحو ذلك.

الوجه الثاني: أن تفاسير الشيعة التي اعتمدت على التفسير بالأخبار لم تغفل الجوانب المذكورة فحسب، بل برز فيها جانب مضاد على النقيض من ذلك تمامًا، لما تحمله هذه الآثار من هدم للعربية وتفكك في السياق، بل تبدو الآية الواحدة فيها قد تناولت موضوعين من الحديث لا علاقة لأحدهما بالآخر ويروون في ذلك عن الأئمة أنهم قالوا: «إن الآية ليكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه»[3] ويروون عن أبي عبد الله أنه قال: «نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة»[4]

ومن هنا كانت تفاسيرهم مجافية لألفاظ القرآن بعيدة عنه كل البعد وإليك بعض الأمثلة في قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف:٣٠] يذكر السياري عن أبي عبد الله أنها

---

(١) انظر: صحيح البخاري ج٤ ص٢٥٦ باب الاعتصام بالكتاب والسنة.
(٢) الإتقان للسيوطي ج٤ ص٢٣٩.
(٣) انظر: تفسير الصافي ج١ ص١٧.
(٤) المرجع السابق: ج١ ص١٧.

بالعين «قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا»، ويذكر كذلك عنه في قوله تعالى: ﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا﴾ [يوسف: ٣٦] أن صحتها «أحمل فوق رأسي جفنة فيها خبزًا»، وقوله تعالى: ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ [يوسف:٤٨] صحتها في نظرهم: «يأكلن ما قربتم لهن»[١] ويذكر القمي بسنده عن الصادق: قرأ رجل على أمير المؤمنين: ﴿يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف:٤٩] فقال: ويحك أي شيء يعصرون، يعصرون الخمر؟ وإنما نزلت يُعصرون (بالبناء للمجهول) أي: يمطرون بعد سنين المجاعة ألا ترى إلى قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبا: ١٤][٢].

بل يفسرون الكلمات بغير مدلولاتها العربية فمثلًا: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ [الرحمن:١٩] هما علي وفاطمة: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ رسول اللّه: ﴿لَا يَبْغِيَانِ ﴿٥٥﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ﴾ الحسن: ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾ الحسين[٣].

وعند قوله تعالى: ﴿۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل:٥١] يفسرونه بالإمام، فيقولون: يعني بذلك لا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد، ويروون أيضًا عن أبي عبد اللّه قال: ﴿أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:٦١] أي: أإمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد[٤]، ولا أدري كيف يتأتى هذا، وفي أي: لغة يستقيم؟ ومن تتبع هذا الضرب في تفسيرهم لا يكاد ينتهي.

بل نجدهم كثيرًا ما يتعذر عليهم فهم بعض التراكيب فيدعون أن الصحابة لما جمعوا القرآن قدموا بعض الكلمات عن محلها فأفسدوا المعنى بذلك، ونذكر من هذا النمط من تفاسيرهم عند قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: ٤٣] يقولون: إنما هي: اركعي واسجدي مع الساجدين[٥]،

---

(١) فصل الخطاب للنوري ص٢٧٢ .
(٢) انظر: تفسير القمي ص٣٢٠ ، ص٣٢١ .
(٣) انظر: تفسير مرآة الأنوار ص٦٥ ، والقمي ص٦٥٨ .
(٤) انظر: تفسير مرآة الأنوار ص٤١ .
(٥) انظر: تفسير القمي ص٩ .

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية:٢٤] إنما هي: نحيا ونموت[١]، وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ [الكهف:٦] إنما هو: فلعلك باخع نفسك على آثارهم أسفًا إن لم يؤمنوا[٢] وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود:١٧]، يروون عن الصادق: إنما نزلت: أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه إماما ورحمة ومن قبله كتاب موسى، ويذكرون أن الذين ألفوا القرآن نكسوا الآيات فقدموا وأخروا وليس هذا من ترتيب الله ﷻ[٣] بل يرون كذلك أن هناك آيات قد حادت عن موضعها فقدمت وكان حقها التأخير فيذكر القمي أن آية عدة النساء لوفاة الزوج أربعة أشهر وعشرًا قدمت على آية عدة سنة، وكان يجب أولًا أن تقرأ المنسوخة التي نزلت قبل، ثم الناسخة التي نزلت بعد[٤]

بل يرون أن بعض الآيات قد ضلت مكانها الصحيح في سورتها فوضعت في غير سورتها مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ [النساء:١٠٤] فيذكرون أنه معطوف على قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ [آل عمران: ١٤٠][٥] مع أن قبل هذه الآية الأخيرة: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩﴾.

ويرون أن آية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣].

قد ضلت وضعها الطبيعي لأنها خاصة بالأئمة من آل محمد وليست في الأزواج الذين انقطعت مخاطبة النساء قبلها مباشرة ثم عطف عليه قوله: ﴿وَاذْكُرْنَ﴾ إلخ[٦].

كما أن قوله تعالى: ﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾ [الأحزاب:٥١] وضعها الطبيعي في نظرهم قبل قوله تعالى: ﴿قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾.

---

(١) (٢) (٣) (٤) انظر: تفسير القمي ص٩ .

(٥) انظر: تفسير القمي ص١٣٨ .

(٦) انظر: تفسير القمي ص٥٣١ .

[الأحزاب: ٢٨][1]

بل يرى الشيعة أنه يبدو على القرآن أن بعض الآية منه ذكر في سورة، وبعضها الآخر ذكر في سورة أخرى فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١] تمامها بعد النص المذكور -بزعمهم-: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا ۖ فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المائدة: ٢٢] فنصف الآية في سورة البقرة ونصفها في سورة المائدة[2].

ولا أدري كيف يستقيم هذا مع أن قول بني إسرائيل في المائدة: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ مقصود به الأرض المقدسة المذكورة في الآية قبلها: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ وهي فلسطين، وكيف يكون المقصود بها مصر وقد شاهدوا غرق جبابرتها بأنفسهم؟ وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: ٥] المفروض في نظرهم أن يتلوه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨] فآية العنكبوت متممة لآية الفرقان[3].

وقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣] حقه أن يذكر بعد نصف آية: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧] أي وترغبون أن تنكحوهن فانكحوا ما طاب لكم... إلخ فنصف الآية في أول السورة ونصفها على رأس رقم ١٢٧ منها[4].

بل يرون أن آيات أقحمت بين آيات أخرى فقطعت السياق وما ذلك إلا من صنع من جمعوا القرآن، فيذكرون من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ

---

(١) تفسير القمي ص٥٣٠.
(٢) انظر: تفسير القمي ص١٢.
(٣) انظر: تفسير القمي ص١٢.
(٤) انظر: تفسير القمي ص١١٩.

وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [العنكبوت:١٦] فحقه أن يذكر بعده مباشرة: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [العنكبوت:٢٤] وما بينهما مقحم غريب على السياق ضل موضعه[1]. ويذكرون أن قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان:١٤، ١٥] مقحمتان بين قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ [لقمان:١٣] وبين قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ [لقمان:١٦][2].

كما استغلق عليهم فهم بعض الأحرف فيه، فزعموا أنه وضع فيه حرف مكان حرف، وذلك مثلًا في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [البقرة:١٥٠] فيزعمون أن المفروض أن تكون «ولا الذين ظلموا منهم»، وقوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ [النمل: ١٠، ١١] ، يزعمون أن المفروض: «ولا من ظلم»، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء:٩٢] يزعمون أنها «ولا خطأ» وقوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [التوبة:١١٠] فالمفروض كما يزعمون أن تكون «حتى تقطع قلوبهم»[3]

وهذا النمط من التفسير سمة بارزة في تفسير جمهور الاثنى عشرية قد فتح لهم بابه القمي والعياشي فنسجوا على منوالهما وحذوا حذوهما، فنجدهم ينقلون جميعًا عنهما وعن التفسير المنسوب للحسن العسكري ومن كتب أخبارهم، وممن جرى على ذلك البحراني في البرهان والكاشاني في الصافي والكازراني في مرآة الأنوار والخراساني في بيان السعادة في مقامات العبارة والأصفهاني في تفسيره، فلا نجد من بينهم من يتغاضى عن هذه الخرافات أو يحاول دفعها وإبطالها بل يذكرون أن المستفاد من الأخبار المروية عن أهل البيت أن القرآن ليس على الترتيب المرضي

---

(١) انظر: تفسير القمي ص٤٩٦ .

(٢) انظر: تفسير القمي ص٥٠٨ .

(٣) انظر: تفسير القمي ص١٠ .

عند اللّه وعند رسوله[1]

وهو تفسير كما يرى البصير قد هدم مبدأ اللغة العربية، وما تعطيه العبارات من معان لغوية، كما أنه شوه جمال القرآن وحسن ترتيبه، وما فيه من تعانق وتآلف بين فقراته وآياته، وما فيه من جمال البيان، وبعد أن كان القرآن حجة على فصحاء العرب بلفظه ونظمه وعلى حكماء العجم بحكمه وعلمه، ولو كان فيه خلل لكان للطاعنين عليه مقال وللمعرضين عليه مجال، لكنه بدا في أعين هؤلاء بأنه مفكك مشتت لا ترابط فيه ولا انسجام ونظراتهم للقرآن هذه تخلو إما أن تكون من عقيدتهم في تحريفه وإما أن تكون من الباطن الذي يؤمنون به وكلا الأمرين تحريف الكلم عن مواضعه، ولكثرة كلام الشيعة فيه، حيث شحنت به تفاسيرهم، فقد أفردت لكل منهما فصلًا يخصه تأتي المناقشة من خلاله بعون اللّه.

القسم الثاني: تفاسير اعتمدت على معطيات اللغة ومدلولاتها، مثل تفسير الطبرسي في مجمع البيان، وفي جوامع الجامع، وتفسير شبر، وآلاء الرحمن للبلاغي، والتفسير المبين لمغنية، وقد اتسمت هذه التفاسير بما يأتي:

١- الحد من الغلو في التشيع، والاقتصاد في أخبارهم عن الأئمة في تفسير الآيات.

٢- بروز جانب التفسير بالرأي اعتمادًا على معطيات الألفاظ من حيث معانيها اللغوية فلا يكاد تفسيرهم يخرج عن حدود ما تعطيه العربية من معان في الألفاظ.

٣- يهتم بعضهم بالجانب البلاغي والإعجاز البياني والمحسنات البديعية في التفسير ويهتم بعضهم ببيان المناسبات بين الجمل والآيات وما فيها من تعانق وتآخى، وإن كانت بقدر محدود ضئيل، وهذا لا يمنع من حنين بعضهم أحيانًا وتأثره بتفسير القسم الأول في بعض المواطن، فيبدو أن هناك انقطاعًا في السياق في بعض المواطن.

وذلك مثل ما ذكره شبّر في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ

(١) انظر: تفسير الصافي للكاشاني ج١ ص٣٢.

﴿فَٱنكِحُوا۟﴾ [النساء:٣] حيث يذكر أنه روي عندهم أنه أسقط المنافقون بين القول في اليتامى وبين نكاح النساء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن[١].

ومثل ما ذكره البلاغي عند قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩] قال: إن الجهل بترتيب النزول ضيع علينا كثيرًا مما نزل قبل هذه الآية في التحذير من موالاة هؤلاء فضلًا عن اتخاذهم بطانة، ولعل من ذلك ما في سورة الممتحنة والمجادلة والنساء وغيرها[٢].

أما الطبرسي فقد بين في مقدمة تفسيره أهمية اللغة في التفسير حيث قال: «إن الإعراب أجل علوم القرآن إليه يفتقر كل بيان، وهو الذي يفتح من الألفاظ الأغلاق، ويستخرج من فحواها الأعلاق، إذ الأغراض كامنة فيها فيكون هو المثير لها والباحث عنها والمشير إليها، وهو معيار الكلام الذي لا يبين نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه، ومقياسه الذي لا يميز بين سقيمه ومستقيمه حتى يرجع إليه، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه»[٣] وإذا كان ظاهر القرآن طبقا لمعناه فكل من عرف العربية والإعراب عرف فحواه، وعلم مراد اللّه به قطعًا، هذا إذا كان اللفظ غير مجمل يحتاج إلى بيان، ولا محتمل لمعنيين أو معان، وذلك مثل قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣] وقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وأشباه ذلك»[٤]

وقد التزم الرجل هذا المنهج واعتنى به في تفسيره حيث نراه في كل آية يعقد عنوانا للغة يبين فيه معاني الكلمات التي تحتاج إلى بيان من حيث العربية ويأتي لها بالشواهد من النثر والشعر من كلام العرب بما يوضح معناها، ثم يعقد عنوانا آخر للإعراب يبين فيه المسائل النحوية التي يرى أنها في حاجة إلى بيان، كتركيب غريب أو نحو ذلك مما يتوقف عليه عادة المعنى المراد ثم يأخذ في بيان المعنى على ما تعطيه

---

(١) انظر: تفسير شبّر ص١٠٨ .

(٢) انظر: تفسير آلاء الرحمن ج١ ص٣٣٥ .

(٣) انظر: الجامع الصغير حيث ذكر السيوطي أنه أخرجه الحاكم ج١ ص٢٢٦ .

(٤) انظر: مجمع البيان للطبرسي ج١ ص٢٧ .

الألفاظ من دلالة من حيث معانيها اللغوية، كما يهتم كذلك بالربط بين الآيات ويعقد له عنوانا يسميه (النظم) وذلك كلما لزم الأمر يذكر فيه وجه المناسبة بإيجاز أذكر من ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١] قال: «لما عدد سبحانه فيما قبل ما أسداه إليهم من النعم والإحسان، ذكر ما قابلوا به تلك النعم من الكفران، وسوء الاختيار لنفوسهم بالعصيان»[1] وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] قال: «واتصال هذه الآية بما قبلها أن اللّه تعالى ذكر أول النعم علينا وهي نعمة الحياة ثم ذكر بعده إنعامه علينا بخلق الأرض وما فيها وبخلق السماء ثم أراد أن يذكر نعمته علينا بخلق أبينا آدم عليه السلام وما أعطاه من الفضيلة، فكأنه قال اذكر لهم كيف تكفرون باللّه وقد فعل بكم كذا وكذا، وأنعم عليكم بكذا وكذا»[2]

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة:٢١٨]، قال تحت عنوان: النظم «وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لما ذكر في الأولى العذاب ذكر بعدها الثواب ليكون العبد بين الخوف والرجاء إذ ذاك أحق بتدبير الحكماء، وأوكد في الاستدعاء»[3]

والطبرسي نمط فريد من بين مفسري الشيعة في هذا الميدان، بصرف النظر عما فيه من نزعات التشيع، فتلك خاصية الشيعة لا تفسير لهم إلا بها، هذا وإن كان الطبرسي لم يتعرض للنواحى البلاغية والإعجاز البياني ونحو ذلك في التفسير.

أما تفسير شبر فإنه على وجازته وشبهه بتفسير الجلالين فهو يفسر القرآن على مجارى اللغة مع الإشارة بين الحين والآخر إلى ما في القرآن من جزالة في التعبير وملح بلاغية وإيثار التعبير بألفاظ دون غيرها وبيان السر في ذلك، فكل ذلك بإيجاز لا يدركه إلا من كان له اهتمام بهذا النوع وشغف فيه فاسمعه يقول عند قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [هود: ٤٤] «والآية حوت

---

(١) نفس المرجع ج١ ص٢٧٦ .

(٢) مجمع البيان ج١ ص١٦٥ .

(٣) نفس المرجع ج٢ ص٢٠١ .

البلاغة بحسن نظمها وجزالة لفظها وبيان الحال بإيجاز بلا إخلال، وبينت الأفعال للمفعول لتعظيم الفاعل وتعيينه إذ لا يقدر على هذه الأمور سوى اللَّه.»[1]

وعند قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، قال: «استئناف بين سبب الإحلال وهو صعوبة الصبر عنهن لشدة الملابسة والمخالطة التي هي وجه تمثيل كل منهما باللباس لصاحبه أو بستر كل منهما حال صاحبه ومنعه من الفجور»[2]

أما البلاغي في تفسيره آلاء الرحمن فإنه يبدي اهتمامًا ببلاغة القرآن في تفسيره بل وينبه على ذلك في مقدمته حيث يقول: «لا يخفى أن القرآن مبني على أرقى أنحاء البلاغة العربية وتفننها بمحاسن المجاز والاستعارة والكناية والإشارة والتلميح وغير ذلك من مزايا الكلام الراقي ببلاغته مما كان مأنوس الفهم في عصر النزول ورواج الأدب العربي وقيام سوقه، وكان بحيث يفهم المراد منه ومزاياه بأن الطبع ومرتكز الغريزة كل سامع عربي، ولكن بعد اشتراك الأمم في بركة الإسلام وامتلاء جزيرة العرب من الأمم وتفرق العرب بالتجنيد في غير البلاد العربية تغير أسلوب الكلام العربي في عامة الناس وتبدلت مزايا الكلام وأساليب المحاورات، فعاد ذلك المأنوس غريبا في العامة، وذلك الطبيعي الغريزي يحتاج في معرفته إلى ممارسة الطبع وكلفة التعلم والتدريب في اللغة العربية وأدبها على النهج السوي من دون تقليد معرقل ولا وقوف عند الأسماء ولا جمود على قشور القواعد. . . . . إلخ»[3]

ثم حمل على الزمخشري في قوله بزيادة (لا) قبل القسم حيث قال البلاغي: «ليته لم يخلط بين دخول (لا) على فعل القسم وبين دخلوها على حرف القسم مما لا يقع جوابه إلا منفيًّا فإنه واضح الظهور في أن (لا) فيه نافية موطئة لنفي الجواب وتأكيده مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]، وحمل عليه أيضًا في قوله بأن (لا) في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ

---

(١) انظر: تفسير شبر ص٢٣١ .

(٢) انظر: تفسير شبر ص٦٧ .

(٣) انظر: آلاء الرحمن ج١ ص٣٧ ، ٣٨ .

أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف:١٢] صلة زائدة حيث قال البلاغي: إن التدبر في آية الأعراف وآية (ص) يشهد بأن (لا) غير زائدة بل جيء بها في الأعراف للإشارة إلى أمر قد صرح به في سورة (ص)، وذلك أن الفعل قد يكون له مانع من ضد أو غفلة أو عجز أو كسل، وقد يكون له سببا داع وحامل على تركه فسأل اللّه إنكارا وتوبيخا في سورة (ص) عن المانع بقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ وعن السبب والحامل على المخالفة بقوله: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ وأشار في سورة الأعراف بوجود (لا) إلى السؤال عن السبب الحامل على المعصية بعد السؤال عن المانع، فكأنه قال ما منعك من أن تسجد وما حملك على أن لا تسجد، ولذا وقع الجواب من إبليس في كلا المقامين ببيان السبب الحامل له على أن لا يسجد، لا التعليل بالمانع فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢]، [ص: ٧٦]»[1]

ثم قال: «وكذا الكلام في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾ [طه:٩٢، ٩٣] فإن التقريع في قوله: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ يدل على أنه قد سبق السؤال عن المانع عن الاتباع وعن السبب الحامل على المعصية بتركه وأشير إليه بإدخال (لا). ثم حمل على فريق من المفسرين الذين لم يدركوا ما في القرآن من أسلوب بليغ حتى بدا لهم أنه مخالف لقواعد العربية حيث قال: إن جماعة وقفوا عن الوصول إلى بعض ما في القرآن من فرائض البراعة وفوائد البلاغة حتى صار يلوح من ترددهم أن ذلك مخالف لقواعد العربية فاغتنم أعداء القرآن من ذلك فرصة الاعتراض، فقد ساعد التوفيق على التعرض لتلك الاعتراضات وبيان خطئها بإيضاح براعة القرآن الكريم في مواردها بأسرار البلاغة ولباب الأدب العربي وبواهر أساليبه»[2]

هذا وقد التزم البلاغي الإفصاح عن أوجه البلاغة ومدى الترابط والانسجام بين فقرات القرآن وآياته، كما لا يفوته أن ينبه على أغاليط قومه في هذا الميدان، وذلك في بعض الأحيان وإن لم يصرح بأنها من أغاليطهم، بل ينسب ذلك إلى المفسرين

---

(١) نفس المرجع ج١ ص٣٩ .

(٢) آلاء الرحمن ج١ ص٤١ .

عامة، وهي إنما لقومه فقط، وذلك مثل ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء:٣] حيث قال: «قد اضطربت الأوهام في هذه الآية وتعسفت في الاعتراض والتفسير وشذت الأفهام عن الوصول إلى حقيقة الربط بين قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ وبين قوله: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ فلماذا يغيب عن الأفهام أن لفظ اليتيم واليتامى قد تقتضي المناسبات ومحاسن الكلام. أن يستعمل فيمن انقضى عنه اليتم لغرض يدعو إلى ذلك. ومحصله: أنه بعد أن جرى التعرض لأموال اليتامى جرى التعرض ليتامى النساء في المعاملة معهن في ذواتهن بالقسط... إلخ»[1] وهذا لا يمنع من أنه يعاوده الحنين أحيانًا إلى نظرة الطائفة إلى القرآن. فنراه ينعى باللائمة على ضياع ترتيب النزول لأنه كان سيحل إشكال بعض الآيات، ويبدو فيه القرآن متناسق متعاضد، كما سقت عنه مثالًا في ذلك[2] فيبدو الرجل متناقضًا.

هذا هو ما عند الشيعة في هذا الجانب. جمهورهم على هدم المبدأ اللغوي والبلاغي، والنظرة إلى القرآن على أنه مفكك مشتت ولو عثروا على مصحف علي الذي على ترتيب النزول لما بدا لهم ذلك، والقلة منهم يرون أن لا خلل في القرآن، ويفسرونه على معطيات اللغة مع مراعاة ضروريات المذهب الشيعي، والحنين أحيانًا إلى رأي جمهورهم في القرآن.

★ ★ ★

(١) المرجع السابق ج٢ ص٨ .
(٢) انظر: ص١٢٦ من الرسالة .

المبحث الرابع

موقف الشيعة من القراءات وأثر ذلك في تفسيرهم

كثيرًا ما يختلف المعنى بحسب اختلاف القراءات الواردة في الآية، بل ربما يختلف الحكم الفقهي المترتب على ذلك، بل وأيضًا أحيانًا ما يتوقف بيان المراد من الآية على اختلاف القراءات فيها، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فإنه قرئ «يطهرن» بإسكان الطاء وضم الياء، وقرئ بتشديد هاء مفتوحتين معًا، ومفاد الأولى: أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها ومفاد الثانية: أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تتطهر بالاغتسال، ويفهم منهما معًا أنه لا يقربها حتى تغتسل بعد انقضاء حيضها، وهذا النوع من الإيجاز ضرب من الإعجاز في القرآن، فإن كل قراءة مع الأخرى، بمنزلة الآية مع الأية، لأن تنوع اللفظ واختلاف دلالته يقوم مقام آيات ومثلًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] قرئ بخفض «أرجلِكم» ونصبه، وقراءة الخفض تقتضي مسح الأرجل، وقراءة النصب تقتضي الغسل، إذ هي في الأولى عطفا على «برءوسكم»، وفي الثانية عطفًا على «وأيديكم إلى المرفق»، وقد بين الرسول ﷺ بفعله أن كلًّا منهما في حالة خاصة، فالمسح للابس الخف، والغسل لغيره، فهنا اختلف الحكم باختلاف القراءات، حيث أعطيت كل واحدة حكمًا خاصًّا في حالة معينة.

من أجل ذلك نجد العناية قد توفرت في تفاسير أهل السنة بمراعاة هذه القراءات في بيان المعنى المراد، خاصة ما تواتر منها مثل القراءات الورادة عن القراء السبعة هذا كما قد ورد أن القرآن نزل على سبعة أحرف، بأحاديث كادت أن تكون متواترة، ولا نزاع بين أحد من أهل السنة في أن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبع

المشهورة، ولكن الشيعة دائمًا يخلطون بينهما وينكرون هذا وذاك، ويهاجمون القراء السبعة ويطعنون عليهم، ويطعنون على حديث نزول القرآن على سبعة أحرف، ويروون في تفاسيرهم عن الأئمة من آل البيت أخبارًا كثيرة في ذلك، كما يروون عنهم قراءات مخالفة للوارد، ومخالفة لرسم المصحف تحمل في طياتها ما تعتقده الشيعة في أئمتهم وما تعتقده الشيعة كذلك في تحريف القرآن والطعن عليه، على هذا المنوال جمهور مفسريهم وإليك أقوالهم في ذلك:

١- يقول البلاغي في مقدمة تفسيره ما نصه:

«الفصل الثالث في قراءته: ومن أجل تواتر القرآن بين عامة المسلمين جيلًا بعد جيل استمرت مادته وصوته وقراءته المتداولة على نحو واحد فلم يؤثر شيئًا على مادته وصورته ما يروى عن بعض الناس من الخلاف في قراءته من القراء السبع المعروفين وغيرهم فلم تسيطر على صورته قراءة أحدهم اتباعًا له ولو في بعض النسخ، ولم يسيطر عليه أيضًا ما روي من كثرة القراءات المخالفة له مما انتشر في روايات في الكتب كجامع البخاري ومستدرك الحاكم عن النبي ﷺ وعلي (ع) وابن عباس وعمر، وأبي وابن مسعود وغيرهم، نعم ربما اتبع مصحف عثمان على ما في مجرد رسم الكتابة في بعض المصاحف في كلمات معدودة، وأن القراءات السبع فضلًا عن العشر وإنما هي في صورة بعض الكلمات، لا بزيادة كلمة أو نقصها، ومع ذلك ما هي إلا روايات آحاد عن آحاد لا توجب اطمئنانًا ولا وثوقًا، فضلًا عن وهمها بالتعارض ومخالفتها للرسم المتداول المتواتر بين عامة المسلمين في السنين المتطاولة، وأن كلا من القراء هو واحد لم تثبت عدالته ولا ثقته يروي عن آحاد حال غالبهم مثل حاله، ويروى عنه آحاد مثله، وكثيرًا ما يختلفون في الرواية عنه، مع أن أسانيد هذه القراءات لا يتصف واحد منها بالصحة في مصطلح أهل السنة في الإسناد فضلًا عن الإمامية، كما لا يخفى ذلك على من جاس خلال الديار، فيا للعجب ممن يصف هذه القراءات السبع بأنها متواترة، هذا وكل واحد من هؤلاء القراء يوافق بقراءته في الغالب ما هو المرسوم المتداول بين المسلمين، وربما يشذ عنه عاصم في رواية

شعبة، إذًا فلا يحسن أن يعدل في القراءة عما هو المتداول في الرسم والمعمول عليه بين عامة المسلمين إلى خصوصيات هذه القراءات مضافًا إلى أنا معاشر الشيعة الإمامية قد أمرنا أن نقرأ كما يقرأ الناس أي: نوع المسلمين وعامتهم»[1].

ما هذا التناقض فمرة يذكر أن القراءات السبع تخالف الرسم في صورة بعض الكلمات، ومرة يذكر أنها تعتمد على ما في رسم مصحف عثمان، وهلا اعترض على ما ترويه الشيعة من قراءة منسوبة لآل البيت تخالف الرسم مخالفة فاحشة ستأتي لها نماذج بعد قليل، وما احتج به مما جاء في البخاري والمستدرك، فليست بقراءة عند أهل السنة، إذ ليس هذان كتابي قراءات، ومادام الشيعة قد أمروا أن يقرءوا كما يقرأ الناس، أي: نوع المسلمين وعامتهم كما ذكر فلماذا يعترض على قراءة الناس التي تلقوها بالقبول، ثم أليس هذا اعتراف من الأئمة بصحة القراءات حيث أمروا شيعتهم أن يقرءوا بها، وأما ما ذكره من الطعن على القراء فقد ثبت عند أهل السنة ثقتهم وأمانتهم في القراءة وتواترت لديهم قراءاتهم، والتواتر سبيل قويم فلا التفات لسماع طعن فيه، وسيأتي تحقيق ذلك.

ثم حمل البلاغي بعد ذلك على حديث نزول القرآن على سبعة أحرف وذكر أنه خرافة واهى الأسانيد مضطرب لفظًا ومعنى لما يؤدي إليه من اختلاف في القراءات، وأن قراءة المهاجرين والأنصار كانت واحدة وذكر في مجال الرد على نزول القرآن على سبعة أحرف ما رواه الشيعة عن أئمتهم ما جاء في الكافي عن أبي جعفر الباقر: «أن القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الروايات» وما جاء مرسلا عن الصدوق في اعتقاداته عن الصادق، وفي الكافي عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله: إن الناس يقولون أن القرآن نزل على سبعة أحرف فقال: كذبوا، نزل على حرف واحد من عند الواحد[2] والعجب من هذا المفسر كيف يرد متواترًا عن الرسول ﷺ في نزول القرآن على سبعة أحرف ويحكم عليه بأنه خرافة اعتمادًا على أخبار عن الأئمة بعضها مرسل والبعض الآخر معارض بما روي عندهم

---

(١) انظر: الاء الرحمن ج١ ص٣٠ .

(٢) انظر: آلاء الرحمن البلاغي ج١ ص٣١ .

عن الأئمة المذكورين أيضًا بأن القرآن نزل على سبعة أحرف ستأتي بعد قليل في كلام مفسريهم، كما نراه أيضًا قد خلط بين القراءات ونزول القرآن على سبعة أحرف وشتان ما بينها !!

٢- وجاء في تفسير بيان السعادة للخراساني في المقدمة ما نصه:

«الفصل الثاني عشر في جواز نزول القرآن بوجوه مختلفة في ألفاظه: اعلم أن القرآن الذي نزل به جبريل من طريق الباطن على بشرية نبينا لكن من جهة مداركه الأخروية لا من جهة مداركه الدنيوية، والمدارك الدنيوية لضيقها لا سعة لها بأن تدرك إلا وجهًا واحدًا وهيئة واحدة من اللفظ المسموع، واللسان الدنيوي لا يجري عليه إلا وجه واحد من اللفظ، وأما اللسان والسمع الأخرويان فيجوز أن يجري ويسمع في إجراء واحد وسماع واحد ووجوهًا عديدة من اللفظ لسعتها وعدم ضيقها عن تزاحم الكثرات، ولجواز النزول بالوجوه المختلفة، أو للتوسعة بعد النزول ورد عنهم قراءات مختلفة مخالفة لقراءات العامة، وورد عنهم تصويب القراءتين المختلفتين ولولا ذلك لكان بعض قراءاتهم مخالفة لما نزل على محمد من غير تقية، فقد نسب إلى النبي أنه قال: «**أتاني آت من اللّه ﷻ فقال: إن اللّه يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: يا رب وسع على أمتي، فقال: إن اللّه يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف**» وما ورد عن أبي جعفر: أن القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة، وما ورد عن الفضيل بن يسار أنه قال: قلت لأبي عبد اللّه: إن الناس يقولون إن القرآن نزل على سبعة أحرف فقال: كذبوا أعداء اللّه ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد، فيجوز أن يراد به أن القرآن نزل من عند واحد أحد حقيقي بنحو الوحدة الظلية والبساطة الجمعية وبعد تنزله إلى الكثرات جاءت الكثرة والتفصيل فيه من جهة تعلقه بالكثرات المتعددة المتخالفة ويكون التكذيب راجعًا إلى وهمهم الكاسد من أنه صدر من مقام الوحدة الحقيقية بنحو التفصيل والكثرة في ألفاظه وقراءاته، والحاصل: أنه يجوز أن يكون اختلاف القراءات والوجوه المروية بحسب الألفاظ من القراء أنفسهم، ويجوز أن يكون

توسعة من اللّه حين النزول أو بعد النزول»[1]

هذا وبصرف النظر عن خلطه بين الأحرف السبعة والقراءات فإنه قد أثبت أن القرآن نزل على سبعة أحرف بناء على طلب الرسول التوسعة من اللّه على أمته، وما دام كذلك فلا يصح معارضته بأخبار الأئمة لأنه لا تقوى على معارضة قول من نزل عليه القرآن واتفقت عليه رواية الأمة، وأما توجيهه لأخبار الأئمة فهو توجيه بارد إذ لا احتمال لأن يقرأ أحد شيئًا من القرآن من قبل نفسه من غير أن يكون واردًا عن الرسول ﷺ بدليل أنه قد وجه القراءات الواردة عن الأئمة المختلفة المخالفة لقراءة العامة بأنها واردة عن الرسول ﷺ بزعمه كما ذكر عنهم تصويب القراءتين المختلفتين.

وأما ما ذكره عن المدارك الأخروية والدنيوية فهي شطحات أوهام لا وجود لها إلا في خياله.

٣- وجاء في تفسير الصافي للكاشاني: «المقدمة الثامنة في نبذ مما جاء في أقسام الآيات واشتمالها على البطون والتأويلات وأنواع اللغات والقراءات: قد اشتهرت الروايات من طريق العامة عن النبي ﷺ: «أنه قال نزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف»[2]

وقد ادعى بعضهم تواترها إلا أنهم اختلفوا في معناها على ما يقرب من أربعين قولًا، والمستفاد من هذه الروايات أن الأحرف إشارة إلى أقسامه وأنواعه، ويؤيده ما رواه أصحابنا عن أمير المؤمنين (ع) قال: إن اللّه أنزل القرآن على سبعة أقسام كل قسم منها كاف شاف، أمر وزجر وترهيب وترغيب وجدل ومثل وقصص، ومن طريق الخاصة عن حماد قال: قلت لأبي عبد اللّه: إن الأحاديث تختلف عنكم فقال: إن القرآن نزل على سبعة أحرف وأدنى، للإمام أن يفتي على سبعة وجوه، ثم أورد أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف وما قيل فيها ثم قال: والتوفيق بين الروايات كلها أن يقال إن للقرآن سبعة أقسام من الآيات وسبعة بطون لكل آية ونزل على سبع

---

(١) انظر: تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة ج١ ص١٢ .

(٢) ذكر صاحب مناهل العرفان أنه رواه للحافظ أبو يعلى في مسنده أن عثمان قاله على المنبر وصدقه الصحابة والحديث وارد في هذا المعنى في الكتب الستة يبلغ التواتر .

لغات.

وأما حمل الحديث على سبعة أوجه من القراءات كما نقل الطبرسي في مجمع البيان فلا وجه له، مع أنه يكذبه ما في الكافي عند زرارة عن أبي جعفر أن القرآن واحد نزل من عند واحد. الخبر وبإسناده عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد اللّه: إن الناس يقولون: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فقال: كذبوا أعداء اللّه ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد، ثم قال الكاشاني: ومعنى هذا الحديث والذي قبله: أن القراءة الصحيحة واحدة إلا أنه عليه السلام لما علم أنهم فهموا من الحديث الذي رووه صحة القراءات جميعًا مع اختلافها كذبهم وعلى هذا فلا تنافي. ثم حمل على القراء السبعة وجزم بعدم تواتر قراءاتهم، وزعم أن المتواتر هو القدر المشترك بين القراءات جميعًا حيث قال: وقد اشتهر بين الفقهاء وجوب التزام عدم الخروج على القراءات السبع أو العشر المعروفة لتواترها وشذوذ غيرها، والحق أن المتواتر من القرآن اليوم ليس إلا القدر المشترك بين القراء جميعًا دون خصوص آحادها إذ المقطوع به ليس إلا ذاك، فإن المتواتر لا يشتبه بغيره، ثم بين ما سيلزمه من ذلك فقال: وأما نحن فنجعل الأصل في هذا التفسير أحسن القراءات كانت قراءة من كانت، كالأخف على اللسان، والأوضح في البيان والآنس للطبع السليم، والأبلغ لذي الفهم القويم، والأبعد عن التكلف في إفادة المراد، والأوفق لأخبار المعصومين، ولا نتعرض لغير ذلك إلا ما يتغير به المعنى المراد تغييرًا يعتد به»[1]

ويلاحظ هنا أن الكاشاني كالخراساني قبله قد أيدا نزول القرآن على سبعة أحرف وفي هذا ردًّا على البلاغي الذي زعم أن حديثه خرافة، مضطرب متدافع وإن كان الكاشاني قد اعترض على العامة- أي: أهل السنة- في بيان المراد منه، وعلى اختلافهم في تأويله، ورجح أن المراد منه سبعة أقسام وسبعة بطون وسبع لغات، ولا يخفى أن ذلك اضطراب منه أيضًا في بيان المراد من نزول القرآن على سبعة أحرف كما هو ظاهر، كما أن استشهاده بخبر أبي عبد اللّه على بطلان القراءات

(١) انظر: تفسير الصافي للكاشاني ج١ ص٣٨ إلى ص٤٠ .

الواردة وأن القراءة الصحيحة واحدة ليس في محله، إذ السؤال لأبي عبد اللّه: أن القرآن أنزل على سبعة أحرف فقال: كذبوا أعداء اللّه ولكنه نزل على حرف واحد فهو صريح في نفي الأحرف السبعة، كما أنه صريح المناقضة لخبر أبي عبد اللّه أيضًا السابق في كلامه (أن القرآن نزل على سبعة أحرف) فهما في غاية التنافي فضلًا عن بعدهما معًا عن القراءات السبع.

ومن هنا ندرك مدى الاضطراب والتناقض والخلط بين الأحرف السبعة والقراءات السبع كما أن ما اختاره الكاشاني في تفسيره عن القراءات جعل المعيار في صحته راجع إلى ذوقه والموافقة لأخبار المعصومين عندهم، أما التواتر فقد ضرب به عرض الحائط بل لقد طعن في تواتر القراءات السبع وجعل ما استحسنه بذوقه أولي وأوفق من هذه القراءات كلها.

٤- وفي تفسير الأصفهاني المقدمة الثامنة فيما ورد من نزول القرآن على سبعة أحرف وبيانه واختلاف القراءات والمعتبر منها... إلخ نظير ما تقدم عند الكاشاني[1].

هذا نمط جرى عليه الجمهور الأعظم من مفسري الاثنى عشرية، كما أن هناك نمط آخر لم يتعرض لهذا الموضوع بالمرة، وإنما التزم أن يورد القراءة التي ينسبونها لآل البيت فقط ويصوبون بها- يزعمهم نص المصحف المتداول بين المسلمين وستأتي أمثلة لهذه القراءة وممن نهج هذا المنهج القمي والبحراني والكازراني في تفاسيرهم.

كما أن هناك نمطًا ثالثًا يعتبر في منزلة وسطى بين الفريقين السابقين ويمثله مفسران هما:

١- الطبرسي في مجمع البيان: حيث ذكر في الفن الثاني من المقدمة القراء العشرة المشهورين ومن أخذوا عنه ومن أخذ منهم بالتفصيل ثم قال: «وإنما اجتمع

---

(١) انظر: تفسير الأصفهاني النجفي ص٦٨.

الناس على قراءة هؤلاء واقتدوا بهم فيها لسببين:

أحدهما: أنهم تجردوا لقراءة القرآن واشتدت بذلك عنايتهم مع كثرة علمهم ومن كان قبلهم أو في أزمنتهم ممن نسب إلى القراءة من العلماء، وعدت قراءتهم في الشواذ لم يتجردوا لذلك تجردهم، وكان الغالب على أولئك الفقه أو الحديث أو غير ذلك من العلوم.

والآخر: أن قراءاتهم وجدت مسندة لفظًا أو سماعًا حرفًا حرفًا من أول القرآن إلى آخره مع ما عرف من فضائلهم وكثرة علمهم لوجوه القرآن»[1]

ولا شك أن ما ذكره الطبرسي رد مفحم لمن سبق ذكرهم في طعنهم على القراء حيث أبي على الطبرسي دينه ومروءته أن يذكر إلا الحق المطابق للواقع في معرفة الفضل والجميل لأصحابه من القراء الذين وهبوا حياتهم لخدمة كتاب اللّه ﷻ، وإني أشكر للطبرسي إنصافه لهم.

ثم قال في بيان اختيار الشيعة من القراءة «إذا تبينت ذلك فاعلم أن الظاهر من مذهب الإمامية أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء بينهم من القراءات، إلا أنهم اختاروا القراءة بما جاز بين القراء وكرهوا تجريد قراءة مفردة، والشائع في أخبارهم أن القرآن نزل بحرف واحد[2]، وما روته العامة عن النبي ﷺ أنه قال: «**نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف**» أختلف في تأويله، فأجرى قوم لفظ الأحرف على ظاهره ثم حملوه على وجهين، أحدهما: أن المراد سبع لغات مما لا يغير حكمًا في تحليل ولا تحريم مثل: هلم وأقبل وتعال، وكانوا مخيرين في مبتدأ الإسلام أن يقرءوا بما جاءوا منها ثم أجمعوا على أحدها، وإجماعهم حجة فصار ما أجمعوا عليه مانعًا ما أعرضوا عنه، والآخر: أن المراد سبعة أوجه من القراءات، وذكر أن الاختلاف في القراءات على سبعة أوجه:

---

(١) بل الشائع عنهم أيضًا نزوله على سبعة أحرف، فيوافق رواية العامة (كما يسمونهم).

(٢) انظر: تفسير مجمع البيان ج١ ص٢٥.

أحدها: اختلاف إعراب الكلمة مما لا يزيلها عن صورتها في الكتابة ولا يغير معناها نحو قوله: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ بالرفع والنصب، والثاني الاختلاف في الإعراب مما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها نحو قوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ بفتح اللام وتشديد القاف مع إسكان اللام وتخفيف القاف والثالث: الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها مما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله: ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ وننشرها بالراء، والرابع: الاختلاف في الكلمة مما يغير صورتها ولا يغير معناها نحو قوله: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً﴾ وإلا زقية، والخامس: الاختلاف في الكلمة مما يزيل صورتها ومعناها نحو «طلح منضود» وطلع، والسادس: الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ وجاءت سكرة الحق بالموت، والسابع الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ وما عملت أيديهم، ثم قال معقبًا: وقال الشيخ السعيد أبو جعفر الطوسي: هذا الوجه أملح لما روي عنهم (ع) من جواز القراءة بما اختلف القراء فيه»[1]

ويلاحظ هنا أيضًا أن الشيعة دائمًا يخلطون بين الأحرف السبعة والقراءات، كما أنهم يجيزون القراءة بكل وارد من غير تمييز بين صحيح وسقيم بدليل ما ذكره عن الطوسي من أنه استملح هذا الوجه الأخير الذي ذكره في توجيه حديث نزول القرآن على سبعة أحرف، واستدلاله له بما روي عن أئمتهم من جواز القراءة بما اختلف القراء فيه، مع ما نراه من القراءات التي ذكرها في هذا الوجه وأغلبها شواذ لا تحل القراءة به كما لا يخفى، مثل: «تلقونه» بإسكان اللام وفتح القاف، ومثل: «وطلع» بدل «طلح»، ومثل: «إن كانت إلا زقية» بدل «صيحة» ومثل: «وجاءت سكرة الحق بالموت» بدل ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾، فإن هذه القراءات وإن فسر بها حديث نزول القرآن على سبعة أحرف لكنه لا يحل أن يقرأ بها لعدم ثبوتها قرآنًا، إذ القرآن ما تواتر، وهي لم تتواتر وما لم يتواتر فليس بقرآن، ومفاد كلام الطبرسي أن الشيعة بناء على أخبار الأئمة يجيزون القراءة بها.

---

(١) انظر: مجمع البيان للطبرسي ج١ ص٢٦.

هذا مع أن الطبرسي لم يلتزم بما ذكره عن الشيعة من جواز القراءة بكل وارد في تفسيره بل نراه يعقد عنوانًا في تفسير كل آية أو آيات يذكر فيه القراءات منسوبة إلى أصحابها فيبدأ بالقراء السبعة، ثم يتلوها بالشواذ ثم بما ورد عند الشيعة من قراءات منسوبة إلى آل البيت، ثم يعقد عنوانًا يتلوه باسم (الحجة) فيوجه المعنى المترتب على اختلاف القراءات أما في بيان معنى الآية فإنه يلتزم بالمعنى المترتب على القراءات المتواترة فحسب، والطبرسي في هذا نمط فريد من بين مفسري الشيعة يشهد له تفسيره بطول الباع في هذا المجال حيث استدرك ما فاتهم وكأنه أغناهم جميعًا عما قصروا فيه في هذا الجانب.

٢- تفسير السيد عبد اللّه العلوي (شبر) وقد تعرض لذكر القراءات في تفسيره لكن ليس على نمط الطبرسي بل يسير في تفسيره للآيات على رواية حفص عن عاصم، وهي الأساس عادة في تفاسير الشيعة ومن أراد أن يشذ عنها جنح إلى القراءات المروية عن آل البيت عندهم ثم يذكر شبر بالهامش في أسفل الصحيفة ما جاء من قراءات مخالفة لرواية حفص التي التزم بها في الأصل، لكن بدون نسبة أي قراءة إلى صاحبها، كما أنه لا يميز في ذلك بين المتواتر والشواذ مما من شأنه أن يوقع في الخطأ، وهو إذ يذكر ذلك في الهامش نراه في الوقت نفسه يذكر في صلب التفسير القراءة التي ينسبونها لآل البيت مما يترجح معه اعتماده لها عن غيرها من القراءات، وخاصة وأنه يوجه معنى الآية على مقتضاها غالبًا، فمثلًا: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١١٣]، قال «عدولًا أو خيارًا، وعنهم عليهم السلام: نحن الأمة الوسط وايانا عنى، وفي قراءاتهم أئمة»[١]

وعند قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] قال: وهم آل محمد عليهم السلام وقرئ: «كنتم خير أئمة»[٢] وهي القراءة التى ينسبونها لآل البيت وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:١١]

(١) تفسير شبر ص٦١ .
(٢) نفس المرجع ص٩٧ .

قال: «وفي قراءاتهم ﷺ: «له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر اللّه»[1] ومثال ما ذكره من القراءات الشاذة ولم ينبه عليه كعادته مما يجعله يشتبه بالمتواتر ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٤] قال: وقرئ بفتح الياء وهذه قراءة مروية في الشواذ عن علي ﷺ كما نص على ذلك الطبرسي في مجمع البيان[2] هذه هي خلاصة ما في تفاسير الشيعة حول هذا الموضوع ويتركز في الآتي:

١- أن الشيعة يجيزون القراءة بكل وارد من غير التزام بقراءة إمام معين ولو كانت هذه القراءة الواردة من الشواذ أو الموضوعات، مع أن ما يذكرونه من قراءات من هذا النوع يخالف رسم المصحف مخالفة فاحشة.

٢- الطعن من جمهورهم في القراء السبعة وفي قراءاتهم، وأنها غير متواترة ولا صحيحة.

٣- طعن جمهورهم كذلك في حديث نزول القرآن على سبعة أحرف والخلط من جميعهم بين القراءات والأحرف السبعة سواء منهم من رفض القراءات ومن قبلها واهتم بها.

٤- الإجماع على نقل القراءة التي ينسبونها لآل البيت من طرقهم الخاصة وحيث لا يخلو منها تفسير عندهم مع اعتماد جمهورهم عليها في توجيه معنى الآية ونحن إذا تأملنا أدلة الشيعة على هذه الأمور، مما يستدلون به من أخبارهم عن الأئمة من آل البيت وجدناها هي الرد على الشيعة فيما ذهبوا إليه، حيث نجدها لا تخالف الأمة قيد أنملة، ومنه يستبين أن الشيعة قد خرجوا بذلك عن دين الأمة والأئمة معًا وبيان ذلك:

أنهم يستدلون على جواز القراءة بكل وارد صحت القراءة أم لم تصح بما رواه الكافي بسنده أنه قيل لأبي الحسن (ع): «إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم فهل نأثم؟ فقال: لا اقرءوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم» وفي الكافي أيضًا بإسناده عن سالم بن سلمة قال:

---

(١) نفس المرجع ص٢٥٢.

(٢) انظر: مجمع البيان ج٢ ص٢٤٨.

قرأ رجل على أبي عبد اللّه وأنا أستمع حروفًا من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس فقال أبو عبد اللّه (ع): «كف عن هذه القراءة واقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم فإذا قام قرأ كتاب اللّه على حده»[1] ومفاد الخبرين الأمر بالقراءة كما يقرأ الناس والنهي عن سواها ومفهوم أن الناس لم يجيزوا القراءة إلا بما صح كونه قرآنًا، وما لم تثبت قرآنيته فلا يجوز القراءة به عند أحد لكن الشيعة فهموا من الخبرين جواز القراءة بما يقرأ الناس وإن لم تصح القراءة به، وحاشا للإمامين الجليلين من آل البيت أن يقصدا ذلك وأن يأمرا به على هذا الوجه، بل المفهوم صراحة الأمر بالقراءة بما يقرأ الناس مما أجازوا القراءة به بأن تواتر بينهم كونه قرآنا، أو صح واشتهر بين القراء ولم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ، ولا يصح الحمل هنا على التقية لأن السائل في الخبرين شيعي خاص يسأل: هل يجوز أن يقرأ بما يبلغه عن الأئمة أو لا؟ فكان الجواب كما سمعت.

أما الطعن في القراء السبعة، فيكفي ما ذكره الطبرسي توثيقًا لهم وثناء عليهم، كما يكفي فيه أيضًا الخبران السابقان عن أبي الحسن وأبي عبد اللّه حيث أمرا شيعتهما أن يقرءوا كما يقرأ الناس ونهاهم أن يقرءوا بسوى ذلك فلو كان في القراء السبعة مطعون فيه لنبه الأئمة شيعتهم على ذلك، يضاف إلى ذلك أن أربعة من القراء السبعة أخذوا قراءتهم عن علي بن أبي طالب ﷺ وهو أبو الأئمة المعصومين عند الشيعة، وطرق هذه القراء إليه كلها متواتر، حيث أخذ عنه أبو عمرو بن العلاء من ستة طرق وأخذ عنه عاصم بطريقتين وأخذ عنه الكسائي من خمسة طرق، وأخذ عنه حمزة بن حبيب الزيات من تسعة طرق منها طريق مسلسل بالأئمة المعصومين- عند الشيعة من آل البيت، حيث أخذ عن حمران بن أعين، وهو شيعي موثق عند الشيعة وعند أهل السنة معًا، وأخذ حمران عن جعفر الصادق وأخذ جعفر عن أبيه محمد الباقر، وأخذ الباقر عن أبيه علي زين العابدين، وأخذ علي عن أبيه الحسين بن علي وأخذ الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب، فيطعن الشيعة في أئمتهم المعصومين إن

(١) انظر: تفسير الصافي للكاشاني ج١ ص٢٤ .

شاءوا !! مع ملاحظة أن هذا الطريق لا يختلف عما جاء في بقية الطرق[1].

أما الطعن على حديث نزول القرآن على سبعة أحرف وأنه خرافة مضطرب متداعٍ فيكفي في إبطال ذلك ما مر ذكره في كلام الخراساني من رواية الشيعة عن النبي ﷺ أنه قال: «**أتاني آت من اللَّه ﷻ إن اللَّه يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت يا رب وسع على أمتي فقال: إن اللَّه يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف**»[2]

وما ذكره الكاشاني من رواية أصحابهم عن أمير المؤمنين علي قال: «إن اللَّه أنزل القرآن على سبعة أقسام كل قسم منها كاف شاف) وما رواه أيضًا عن أبي عبد اللَّه الصادق قال: «إن القرآن نزل على سبعة أحرف»[3] فهذه نصوص صريحة في إثبات أن القرآن نزل على سبعة أحرف وموافقة لما يرويه أهل السنة تواترًا عن النبي ﷺ في هذا الشأن، وقد ذكرت في المقدمة أنه إذا وافقت رواية الأئمة عند الشيعة رواية أهل السنة كان ذلك إجماعًا لا يقبل غيره من رواية مخالفة، فإذا أراد البلاغي أن يجعل حديث السبعة أحرف بعد ذلك خرافة فله ذلك، وأما ما ادعاه من الاضطراب فإن ذلك يلزم لو أن خبرًا من هذه الأخبار ذكر أن القرآن نزل على حرفين، وخبرًا آخر يذكر أنه نزل على ثلاثة، وخبرًا ثالثًا يذكر أنه نزل على خمسة مثلًا، أما وأن جميع الأخبار اتفقت على نزوله على سبعة أحرف فأي اضطراب في هذا؟ لا أرى اضطرابًا إلا في رأس البلاغي ولا مزيد !!

أما أسانيد هذا الحديث فيكفي أنه مخرج عند أهل السنة في الصحيحين فضلًا عن باقي الكتب، فضلًا عن تواتره حيث رواه من الصحابة واحد وعشرون صحابيا، وله محل سيأتي فيه.

وأما الخلط بين الأحرف السبعة والقراءات فقد قال فيه أبو شامة: «وظن قوم أن

---

(١) انظر: كتاب فصل الخطاب في سلامة القرآن للدكتور أحمد الكومي، والدكتور محمد أحمد القاسم ص١١٠ .

(٢) انظر: ص١٣٤ من الرسالة .

(٣) انظر: ص١٣٥ من الرسالة .

القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث- أي: حديث نزول القرآن على سبعة أحرف- وهو خلاف اجماع أهل العلم قاطبة وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل[1].

وقد وجه الخراساني خبر أبي جعفر أن القرآن واحد نزل من عند واحد... الخبر، وخبر الصادق: نزل القرآن على حرف واحد، بعدم الخلط بين الأحرف السبعة والقراءات واستدل على جواز اختلاف القراءات بما روي عن الأئمة أنفسهم من اختلافات في القراءة، وما روي عنهم من تصويب لقراءة المختلفين[2] فبان الفرق بين الأحرف السبعة والقراءات أما إجماعهم على نقل القراءات التي ينسبونها لآل البيت وتوجيه جمهورهم معنى الآية على هذه القراءة، فهو عبارة عن اعتقادهم في أن القرآن محرف وما ورد عن الأئمة من ذلك تصويب لهذا التحريف، ولطول الكلام فيه فقد أفردت له فصلًا خاصًا من الرسالة.

★★★

(١) انظر: الإتقان للسيوطي ج١ ص٢٧٤ .
(٢) انظر: ص١٣٣ من الرسالة .

المبحث الخامس

الإسرائيليات والموضوعات وأثرها في التفسير عند الشيعة

(الإسرائيليات) جمع اسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، والنسبة في مثل هذا تكون لعجز المركب لا لصدره، وإسرائيل هو يعقوب نبي اللَّه عليه السلام، وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب ومن تناسل منهم، وعرفوا قديمًا (باليهود) أما من آمن منهم بعيسى فعرفوا (بالنصارى) ومن دخل في الإسلام منهم عرفوا (بمسلمة أهل الكتاب).

وأشهر كتب اليهود (التوراة) وهي الآن ليست هي التوراة التي تحدث عنها القرآن فإن اللَّه نزلها على موسى نورا وهداية، بل الذي استقر بأيدى اليهود إلى اليوم هي التوراة المحرفة المبدلة بنص القرآن على ذلك في أكثر من آية منه، ويشهد لذلك العقل والتاريخ معا، يضاف إلى هذه التوراة الزبور المنسوب إلى داود عليه السلام، وهم يسمونه (المزامير) وليس هو أيضًا المنزل على داود عليه السلام، يضاف إلى ذلك الأسفار التي ينسبونها إلى أنبيائهم وملوكهم، ومن هذا وذاك يتكون كتاب (العهد القديم) كما يسمى اليوم، يضاف إليها (التلمود)، وهو مجموع قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية ومدنية وشروح وتفاسير وروايات كانت تتناقلها اليهود شفهيًّا، من حين إلى آخر.

ومن هذه الخرافات تكونت ثقافة اليهود ومعارفهم، وسرت عدواها إلى كتب التفسير الإسلامي عن طريق مسلمة أهل الكتاب.

وقد يتوسع البعض فيضيف إلى ذلك معارف النصارى من الأناجيل المفتراة أيضًا وشروحها لأن غالبها من ثقافة بني إسرائيل وأساطيرهم، والحق أن ما في التفسير عند المسلمين من النصرانيات قليل جدًّا بالنسبة إلى ما فيها من إسرائيليات، وليس له من الخطر مثلها، وقد جاء التحذير مشددًا في الإسلام ومحذرًا من الاعتماد على شيء من ذلك لبطلانه فقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كيف تسألون أهل

الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ، أحدث تقرءونه محضًا لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلًا يسألكم عن الذي أنزل عليكم»[1]

وهذا هو الأحوط والأسلم فإن الإسلام أغنى الأديان كلها بثقافته ومعارفه وسلامته عن التحريف والتبديل وبعده عن الخرافات والأباطيل.

لكن هذا لا يمنع أن عند بني إسرائيل شيء من الحق والصواب بدليل قوله تعالى: ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٤] فدلالة المفهوم أنهم لم ينسوا حظا آخر منه فما علم صدقه بأن وافق الحق الذي جاء به كتابنا أو صح به حديث نبينا فلا بأس من التحديث به كإقامة الحجة به على بني إسرائيل وكالاستشهاد به على تواطؤ الكتب السماوية على ذلك المعنى، أما العمل به ففي كتابنا غنية عنه ويدل لهذا المعنى حديث: «**بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»[2] أما ما علم كذبه من أخبارهم فلا تجوز روايته إلا مقرونًا ببيان كذبه حيث هو مما حرفوه، وأما ما لم يتميز لنا صحيحه من سقيمه فلا تحل روايته ولا الاشتغال به مخافة تصديقه وقد يكون كذبًا، أو تكذيبة وقد يكون صدقًا، فيقع الإنسان في الإثم والحرج، وقد أمرنا بالإيمان بما أنزل عليهم، وإنكار ما يخالفه ولا تميز بين هذا وذاك فيبقى الإيمان بالحق جملة، وفي هذا جاء حديث البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ﴾ . . . الآية»[3]

ومع هذا الوضوح التام في موقف الإسلام من هذه الإسرائيليات فقد تسرب

---

(١) انظر: صحيح البخاري ج٤ ص٢٧١ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي لا تسألوا أهل الكتاب .

(٢) أخرجه الدارمي ج١ ص١٣٦ باب البلاغ وتعليم السنن عن رسول الله ﷺ .

(٣) انظر: صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ج٤ ص٢٧٠ .

الكثير منها إلى كتب التفسير مما أخذه الرواة عن مسلمة أهل الكتاب وفسر بها كتاب اللَّه وأغلبها كذب وخرافات يستحيل تطبيقه ومما زاد الطين بلة أن بعض هذه الخرافات رفعها قومٌ إلى النبي ﷺ بقصد أو بغير قصد فكانت الطامة الكبرى أن اختلط الحابل بالنابل مما مكن لأعداء الإسلام، من الطعن فيه بوجود هذه الخرافات منسوبة إلى النبي ﷺ ومفسرًا بهذا كتاب اللَّه ﷻ وأقول بكل ثقة إن هذه الأباطيل، مهما بلغ سندها من الصحة، يجب تبرئة ساحة النبي ﷺ عنها، حيث أن اتهام رواتها بالوهم أهون من نسبة ذلك إلى الرسول ﷺ.

أيًّا ما كان فقد امتلأت كتب التفسير بهذه الأباطيل، لكنا لم نعدم من بين المفسرين من نبه على بطلان البعض على كل حال، وفاته البعض الآخر، ولابن كثير الحظ الأوفى من ذلك، أما كتب التفسير الشيعي فقد امتلأت بهذه الإسرائيليات وانعدم من عندهم من ينقدها أو ينبه عليها، بل أحيانًا ينسبونها إلى الأئمة من آل البيت مما يضفى عليها نوعا من الثقة بها ويفيد تصديقهم لها، ومن أمثلة ذلك:

١- جاء في تفسير علي بن إبراهيم القمي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ﴾ [الأعراف:١٤٣]، قال «فرفع اللَّه الحجاب ونظر إلى الجبل فساخ في البحر فهو يهوى حتى الساعة ونزلت الملائكة وفتحت أبواب السماء فأوحى اللَّه إلى الملائكة أدركوا موسى لا يهرب، فأحاطت بموسى وقالوا: تب يابن عمران فقد سألت اللَّه عظيمًا فلما نظر موسى إلى الجبل قد ساخ والملائكة قد نزلت وقع على وجهه فمات من خشية اللَّه وهول ما رأى، فرد اللَّه عليه روحه، ورفع رأسه وأفاق فقال: ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أول من صدق أنك لا تُرى»[1]

وهذه قصة من غير شك إسرائيلية أشربت نوعًا من الاعتزال ظاهر، والخرافة فيها واضحة إذ لا معنى لهروب موسى ولا معنى لحراسة الملائكة له، ولا خبر صحيح

(١) تفسير القمي ص٢٣٣ .

فيها ولا ضعيف أن الجبل قد ساخ في البحر فهو يهوى فيه حتى الساعة، وقوله فيها أي: أول من صدق أنك لا ترى، اعتزال مكشوف، ومعنى الآية واضح في غنى عن هذه الخرافات[1] وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

قال القمي في تفسيره: «حدثني أبي عن النضر بن سويد عن هشام عن الصادق قال... وذكر قصة طويلة لهاجر وابنها إسماعيل إلى أن قال: فلما بلغ مبلغ الرجال أمر اللّه إبراهيم أن يبني البيت، فقال يا رب في أي بقعة؟ قال في البقعة التي أنزلت على آدم القبة فأضاءت الحرم، قال: ولم تزل القبة التي أنزلها اللّه على آدم قائمة حتى كان أيام الطوفان في زمن نوح فلما غرقت الدنيا رفع اللّه تلك القبة وغرقت الدنيا ولم تغرق مكة، فسميت البيت العتيق لأنه أعتق من الغرق فلما أمر اللّه إبراهيم أن يبني البيت لم يدر في أي مكان يبنيه فبعث اللّه جبريل فخط له موضع البيت ونزّل عليه القواعد من الجنة، وكان الحجر الذي أنزله اللّه على آدم أشد بياضًا من الثلج، فلما مسته أيدي الكفار اسود، فبنى إبراهيم البيت وإسماعيل ينقل الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء تسعة أذرع... إلخ»[2] وقد نقل مفسرو الشيعة هذه القصة عن القمي وفيمن نقلها منهم: الطبرسي في مجمع البيان[3] والقصة طويلة وفيها خرافات كثيرة والأشبه بها أن تكون مما أصاب الناس من كتب أهل الكتاب، وقد قال عنها ابن كثير: «ولم يجئ في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنيًّا قبل الخليل عليه السلام، ومن تمسك في هذا بقوله: ﴿مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦] فليس بناهض ولا ظاهر، لأن مراده مكانه المقدر في علم اللّه المقرر في قدرته»[4] ومن ذلك أيضًا ما ذكره القمي عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] قال: «فقامت امرأة العزيز وغلقت الأبواب فلما هم رأى صورة يعقوب في ناحية

---

(١) انظر: كتاب الإسرائيليات والموضوعات لأبي شهبة ص٢٧٧.

(٢) تفسير القمي ص٥٠.

(٣) مجمع البيان ج١ ص٤٧١.

(٤) البداية والنهاية ج١ ص١٦٣.

البيت عاضًا على أصبعيه يقول: يا يوسف أنت في السماء مكتوب في النبيين وتريد أن تكون في الأرض من الزناة؟ فعلم أنه قد أخطأ وتعدى»[1] ولا شك أن هذه من الإسرائيليات التي لا يصح تصديقها إذ لولا صورة يعقوب لفعل يوسف الفاحشة، وكيف وهو الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم؟ وأي فضل ليوسف على ما جاء في هذه الخرافة؟ فأين عصمة الأنبياء، وأين قول امرأة العزيز فيما قصه اللَّه علينا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢][2].

٢- جاء في تفسير شبر والطبرسي عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية [البقرة: ٢٤٨] ذكر عدة قصص في هذا التابوت مرة أنه الذي أنزله اللَّه على أم موسى فوضعته فيه وألقته في اليم، ومرة أنه أنزله اللَّه على آدم فيه صور الأنبياء فتوارثه أولاده، وكان في بنى إسرائيل يستفتحون به على عدوهم، وكان من خشب الشمشار مصفحًا بالذهب، يقدمونه في الحروب فإن سمعوا له أنينًا وسار أمامهم تقدموا، وإذا سكن وتوقف توقفوا، أما السكينة فهي ريح من الجنة لها وجه كوجه الإنسان ولها رأسان، ويسند ذلك إلى أمير المؤمنين علي ﷺ... إلخ[3].

وذكر نحو ذلك غيرهم من مفسري الشيعة، ولا شك أن هذه خرافات إسرائيلية، يجب تنزيه كتاب اللَّه عنها، فالسكينة لا تحتمل أكثر من الطمأنينة التي كانت تحصل لهم بوجود التابوت الذي كان موسى يحفظ فيه ألواح التوراة ووصايا الرب لهم، ولا داعي لكل هذه الخرافات فأي عقل يصدق أن الريح لها رأسان، ووجه كوجه الإنسان؟[4] وعلى كل حال فتتبع هذا الضرب يطول، وذلك مثل ما ذكره الحسن العسكري في شأن الشجرة التي نهي آدم عن الأكل منها، ومثل ما ذكره عند مجاوزة

---

(١) تفسير القمي ص٣١٩ .

(٢) انظر: كتاب الإسرائيليات لأبي شهبة ص٣٠٥ .

(٣) تفسير شبر ص٧٧ .

(٤) انظر: كتاب الإسرائيليات لأبي شهبة ص٢٤٥ .

بنى إسرائيل البحر مع موسى[1] ومثل ما ذكره في قصة هاروت وماروت، وفي قصة بقرة بنى إسرائيل وتوسل صاحبها بآل محمد فباعها بملء جلدها ذهبًا[2] وفي قصة قتل داود جالوت، وابني آدم لما قتل أحدهما الآخر لما نفس عليه الولاية والوصاية لأبيه بزعمهم[3] وسفينة نوح وشجرة طوبى[4] وأهل الكهف ويأجوج ومأجوج وبلقيس ملكة سبأ، وفي قصة إلياس وأنه موجود إلى الآن في الفيافي والقفار، كما أن الخضر كذلك وقد وكل بالبحار وفي قصة داود وسليمان وأيوب في سورة (ص) وفي قصة أصحاب الأخدود وإرم ذات العماد، وغمر الدنيا، وتفسير بعض الآيات بحساب الجمل، و(ق) وما جاء فيها والحوت الذي يحمل الأرض عند سورة (ن)[5]، كل ذلك قد امتلأت به كتب التفسير الشيعي، وتتبعه يحتاج إلى رسالة مستقلة، لكن والحق يقال: إن هذه لم تكن سقطة المفسرين من الشيعة فحسب بل هي سقطة معظم أهل السنة والشيعة على سواء، والفارق بين مفسري أهل السنة والشيعة في ذلك أمران:

الأول: أن الشيعة يشربون هذه الإسرائيليات بنوع من التشيع بإسنادها إلى الأئمة من آل البيت مع لَيِّها إلى ما يخدم مدعاهم في موالاة الأئمة، كأن يعللوا سبب هلاك قوم أو معاتبة نبي أو ابتلاءه بعدم موالاتهم للأئمة من آل البيت وعدم عزمهم على ولاية علي بن أبي طالب مثلًا، ويعللوا ما حصل من المكرمات والفتوحات للأمم السابقة أو ارتفاع شأن نبي منهم بسبب العزم على ولاية الأئمة من آل البيت فيبررون كذب الإسرائيليات بكذب أشد منه.

الثاني: سيطرة هذه الإسرائيليات على تفسير الشيعة سيطرة بارزة من غير أن يوجد من بينهم من ينتقدها أو يستنكرها كما هو صنيع مفسري أهل السنة، فإن الإسرائيليات على قلتها نسبيًا في تفاسير أهل السنة قد انتقدها الكثير منهم، أما

---

(١) تفسير الحسن العسكري ص٨٩ .
(٢) بيان السعادة ج١ ص٥٧ .
(٣) تفسير شبر ص١٣٧ .
(٤) القمي ص٣٤١ .
(٥) تفسير شبر ص٥٢٧ .

الشيعة فلم يجرؤ أحدهم على نقدها لأنها -كما ذكرت- قد أشربت نوعًا من التشيع وأسند معظمها إلى الأئمة من آل البيت ولا يجرؤ شيعي أن ينتقد شيئًا أسند إلى الأئمة مهما كان مضمونه وفحواه، وهذا هو السر في عدم نقدها عندهم في نظري.

لكن الإنصاف يقتضيني أن أذكر أن الطبرسي- مع ما سجلته عنده من إسرائيليات- فإنه مع ذلك قد نبه في موضوعين من تفسيرهم على عدم صحة قصة داود وامرأة أوريا في سورة (ص) بالصورة التي يذكرها القصاص حيث قال بعد سردها:

«هذا مما لا شبهة في فساده، فإن ذلك مما يقدح في العدالة فكيف يجوز أن يكون أنبياء اللَّه الذين هم أمناؤه على وحيه، وسفراؤه بينه وبين خلقه بصفة من لا تُقبل شهادته وعلى حال تنفر من الاستماع إليه والقبول منه جل أنبياء اللَّه عن ذلك، وقد روي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: لا أوتى برجل يزعم أن داود تزوج امرأة أوريا إلا جلدته حدين، حدًّا للنبوة وحدًّا للإسلام»[1]

ونبه كذلك على عدم صحة ما قيل في فتنة سليمان وما ألقي على كرسيه من جسد، حيث ذكر المعنى الصحيح كما جاء في البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**أن سليمان قال: لأطوفن من الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسًا يجاهد في سبيل اللَّه ولم يقل إن شاء اللَّه فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بولد ساقط إحدى شقيه**» قال النبي ﷺ: «**لو قالها لجاهدوا في سبيل اللَّه أجمعين**»[2] ثم أورد الطبرسي بعض القصص الخرافية في الآية مما يتنافى مع العصمة للأنبياء ثم قال «فإن جميع ذلك مما لا يعول عليه لأن النبوة لا تكون في خاتم، ولا يجوز أن يسلبها اللَّه لنبي ولا أن يمكن الشيطان لصورة النبي والقعود على سريره والحكم بين عبادة وباللَّه التوفيق»[3]

هذا هو ما جاء في تفاسير الشيعة عن الإسرائيليات ولونها وأثرها في التفسير.

---

(١) مجمع البيان ج٢٣ ص١٠٨ .

(٢) مجمع البيان ج٢٣ ص١١٥ .

(٣) صحيح البخاري ج٢ ص٢٥١ كتاب بدء الخلق- باب ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ .

أما الموضوعات:

فهي الأحاديث المختلقة المصنوعة المكذوبة على رسول اللَّه ﷺ، أو على أحد أصحابه لكن يقيد الموضوع على الصحابة بقولنا مثلًا: موضوع على فلان، والموضوع نوعان:

١- أن يضع الواضع كلامًا من عند نفسه ثم ينسبه إلى النبي ﷺ أو إلى أحد أصحابه.

٢- أن يأخذ الواضع كلامًا لبعض الصحابة أو غيرهم أو يروي من الإسرائيليات فينسبه إلى الرسول ليروج وينال القبول.

وكلا النوعين من الخطورة على الدين بمكان ولذلك جاء الوعيد الشديد على من كذب على رسول اللَّه ﷺ في أحاديث متواترة من مثل قوله ﷺ: «**إن كذبًا عليَّ ليس ككذب على أحد فمن كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»[١] وما جاء عن علي ابن أبي طالب قال النبي ﷺ: «**لا تكذبوا على فإنه من كذب علي فليلج النار**»[٢]

وهذا أمر طبيعي، فإن الكذب في حد ذاته كبيرة فما بالنا بالكذب على رسول اللَّه ﷺ ولهذا رأى بعض العلماء أن تعمد الكذب على النبي كفر، ولعل ما يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل:١١٥]. فقد نفت الآية الإيمان عمن يفتري الكذب، ولهذا رد جمهور المحدثين رواية من ثبت كذبه ولو في حديث واحد وإن تاب وحسنت توبته ومع ذلك فقد كثر الوضع في الحديث لأسباب شتى ذكرها العلماء في مظانها وكان للشيعة النصيب الأوفى من ذلك يدل عليه ما أخرجه مسلم بسنده عن أبي إسحاق قال: «لما أحدثوا تلك الأشياء بعد علي رضي الله عنه قال رجل من أصحاب علي: قاتلهم اللَّه أي علم أفسدوا»[٣] وما أخرجه أيضًا بسنده: أن ابن عباس دعا بقضاء عليٍّ فجعل يكتب منه

---

(١) انظر: صحيح مسلم ج١ ص٦ باب في التحذير من الكذب على رسول اللَّه .

(٢) صحيح البخاري ج١ ص٣١ كتاب العلم .

(٣) انظر: صحيح مسلم ج١ ص٨ باب في الضعفاء والكذابين .

أشياء ويمر به الشيء فيقول والله ما قضى بهذا على إلا أن يكون ضل»[1] وفي رواية: «أوتى ابن عباس بكتاب فيه قضاء علي ﷺ فمحاه إلا قدر ذراع»[2] وما أخرجه أيضًا بسنده عن أبي بكر بن عياش قال: سمعت المغيرة يقول: «لم يكن يصدق على علي ﷺ في الحديث إلا من أصحاب عبد الله بن مسعود»[3]

ونحن إذا تصفحنا كتب التفسير عند الشيعة لوجدناها قد غصت بأخبار لا يصدقها العقل فضلًا عن معارضتها الصريحة للقرآن العظيم والسنة المطهرة، ولأخبارهم ألوان ثلاثة:

الأول: أخبار تنسب إلى الأئمة اختص الشيعة بنقلها في كتبهم ولم تعرفها الأمة.

الثاني: أخبار نقلتها الأمة عن جماعة من الوضاعين للتنبيه على وضعها والتحذير منها فأخذها الشيعة- رغم ذلك- وفسروا بها بعض آيات من القرآن.

الثالث: أخبار صحيحة نقلتها الأمة عن الرسول ﷺ فأخذها الشيعة وزادوا فيها عبارات تخدم مدعاهم وهذه العبارات لا تصح لفظًا ولا معنى.

أما الأول: فهو الأغلب الأعم والكثرة الكاثرة في التفسير عندهم وأسوق له بعض النماذج من الأخبار التي تحمل بطلانها في طياتها فأقول:

١- عند قوله تعالى في: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾. [آل عمران:١٠٦] يقول القمي في تفسيره حدثني أبي وساق السند إلى أبي ذر الغفاري قال رسول الله: «**يرد عليَّ أمتي يوم القيامة على خمس رايات فراية مع عجل هذه الأمة فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي فيقولون: أما الأكبر فحرفناه ونبذناه وراء ظهورنا، وأما الأصغر فعادیناه وأبغضناه وظلمناه فأقول: ردوا النار ظمأى مظمئين مسودة وجوههم، ثم ترد عليّ راية مع فرعون هذه الأمة فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي** (فذكر نحو الأول) **ثم ترد علي راية مع سامري هذه الأمة فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين بعدي**

---

(١) (٢) المصدر السابق.

(٣) صحيح مسلم ج١ ص٨ باب الضعفاء والكذابين.

(فذكر نحوه) ثم ترد على راية أمير المؤمنين وإمام الغر المحجلين فأقوم فآخذ بيده فيبيض وجهه ووجوه أصحابه فأقول: ما خلفتموني في الثقلين بعدي، فيقولون: تبعنا الأكبر وصدقناه ووازرنا الأصغر ونصرناه، وقاتلنا معه، فأقول: ردوا رواء مرويين فيشربون شربة لا يظمئون بعدها أبدًا»[1]

ولا أظن عاقلًا يتردد في الحكم بأنه كذب مفترى لا يصدر عن مسلم فضلًا عن رسول اللَّه ﷺ.

٢- عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٩] ذكر الطبرسي «عن أبي عبد اللَّه الصادق قال: كان رسول اللَّه ﷺ يكثر تقبيل فاطمة (ع) فأنكرت عليه بعض نسائه ذلك فقال ﷺ: «إنه لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة وأدناني جبريل من شجرة طوبى وناولني منها تفاحة فأكلتها فحول اللَّه ذلك في ظهري ماء فهبطت إلى الأرض وواقعت خديجة فحملت بفاطمة فكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها وما قبلتها إلى وجدت رائحة شجرة طوبى فهي حوراء إنسية»، وذكر خبرًا آخر عن أبي بصير عن أبي عبد اللَّه الصادق، وبسند آخر عن موسى بن جعفر قال: سئل رسول اللَّه ﷺ عن طوبى قال: «شجرة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنة»، ثم سئل عنها مرة أخرى فقال: «في دار علي (ع)» فقيل في ذلك فقال: «إن داري ودار علي في الجنة بمكان واحد»[2] وذكره القمي بروايته عن أبيه عن أبي عبد اللَّه[3] وبصرف النظر عن الخطأ في كون طوبى شجرة في الجنة، فإن القصة واضحة البطلان لأن الإسراء والمعراج كانت بعد وفاة خديجة بإجماع المسلمين، وكانت فاطمة وقتئذ جارية ناهد.

٣- عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ الآية [التوبة:٤٠]. . . ، يقول الخراساني: «في الحديث عن الباقر أن رسول اللَّه ﷺ أقبل

---

(١) تفسير القمي ص٩٨ .

(٢) مجمع البيان ج١٣ ص١٧٣ .

(٣) تفسير القمي ص٣٤١ .

على أبي بكر يقول له: «**اسكن فإن اللّه معنا**» وهما في الغار، وهو لا يسكن، فلما رأى رسول اللّه حاله قال لأبي بكر: «**أتريد أن اريك أصحابي من الأنصار محتبين في أفنيتهم، وأريك سفينة جعفر وأصحابه في البحر يغوصون؟**» فقال: وتراهم يا رسول اللّه؟ قال: «**نعم**»، قال: فأرنيهم فمسح على عينيه فرآهم فقال في نفسه: الآن صدقت أنك ساحر، فقال له رسول اللّه: «**أنت الصديق**»[1] ونفس الخبر رواه القمي في تفسيره عن أبيه عن بعض رجاله. رفعه إلى أبي عبد اللّه الصادق»[2]

وأعتقد أن هذا كذب لا يحتاج في بطلانه إلى دليل، فإن الآية واضحة الظهور في أنها تاج كرامة من مناقب الصديق انفرد بها دون الصحابة أجمعين.

٤- وعند قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل:٩٠] يقول الكاشاني: «قال العياشي في تفسيره عن أمير المؤمنين علي (ع) العدل شهادة أن لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، والإحسان أمير المؤمنين، والفحشاء الأول- يعني أبا بكر- والمنكر الثاني- عمر- والبغي الثالث- يعني عثمان»[3] وبنفس النص فسرها القمي[4].

وغنى عن البيان أن هذه سفاهة مجافية للأدب فوق أنها تحريف للكلم عن مواضعه كما هو ظاهر.

٥- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣] يقول البحراني في تفسيرها: «عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري قال لقيت عمارا في بعض سكك المدينة فسألته عن النبي فأخبرني أنه لما صلى الغداة قبل عليًّا بين عينيه وأجلسه إلى جنبه ثم قال: يا عليّ قم للشمس فكلمها فإنها تكلمك فقال

---

(١) بيان السعادة ج١ ص٣٢٨.
(٢) تفسير القمي ص٢٦٥.
(٣) انظر: تفسير الصافي ج١ ص٢٨٧.
(٤) وانظر تفسير القمي ص٣٥٤.

علي للشمس: كيف أصبحت يا خلق اللَّه؟ فقالت: بخير يا أخا رسول اللَّه يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا من هو بكل شيء عليم، فرجع إلى النبي فقال له النبي: تخبرني أو أخبرك؟ فقال: منك أحسن يا رسول اللَّه، فقال رسول اللَّه: أما قولها لك: يا أول فأنت أول من آمن باللَّه، وقولها لك: يا آخر، فأنت آخر من تعايننني على مغسلي، وقولها لك: يا ظاهر، فأنت أول من يظهر على مخزون سري، وقولها: يا باطن؛ فأنت المستبطن لعلمي، وأما العليم بكل شيء: فما أنزل اللَّه علمًا من الحلال والحرام والفرائض والأحكام والتنزيل والتأويل، إلا وأنت به عليم، ولولا أن تقول فيك طائفة من أمتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت فيك مقالًا لا تمر بملأ إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يستسقون به. . . . إلخ[1]

ولا أدري كيف ساغ الشيعة أن يأخذوا الصفات التي هي من أخص صفات اللَّه تعالى والآية صريحة في اختصاصها باللَّه ﷻ فجعلوها صفات لعلي، مع ما فيه من كلام الشمس ومغالاة لعلي لا تجوز لنبي مرسل أو ملك مقرب، ألا قاتل اللَّه التعصب والهوى فإنه يركب بالإنسان كل صعب!!

٦- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [البقرة:٩] جاء في تفسير الإمام الحسن العسكري، وفي تفسير النجفي أيضًا: «عن موسى الكاظم (ع) قال لما دعاهم رسول اللَّه وعاتبهم فاجتهدوا في الإيمان وقال أولهم (يعني أبا بكر): ما اعتددت بشيء كاعتدادي بهذه البيعة (يعني لعلي في غدير خم بزعمهم) ولقد رجوت أن يفسح اللَّه بها لى في قصور الجنان ويجعلنى فيها من أفضل النزال والسكان، وقال الثاني (يعني عمر) بأبي أنت يا رسول اللَّه ما وثقت بدخول الجنة والنجاة من النار إلا بهذه البيعة، واللَّه ما يسرني إن نقضتها أو نكثت بها ما أعطيت من نفسي ما أعطيت وأن لي طلاع ما بين الثرى إلى العرش، وقال ثالثهم (يعني عثمان): واللَّه يا رسول اللَّه لقد صرت من الفرح بهذه البيعة من السرور في رضوان اللَّه فأيقنت أنه لو كان عليَّ ذنوب أهل الأرض كلها

---

(١) تفسير البرهان للبحراني ج٤ ص١٠٨٣ .

لمحيت عنى بهذه البيعة وحلف على ما قال من ذلك ولعن من بلغ عنه رسول اللّه خلاف ذلك، ثم تتابع بمثل هذا الاعتذار بعدهم من الجبابرة المتمردين، فقال اللّه ﷻ لمحمد: يخادعون اللّه، يعني يخادعون رسول الله بإيمانهم بخلاف ما في جوانحهم، والذين آمنوا كذلك، الذين سيدهم وفاضلهم علي بن أبي طالب»[1]

ولا شك أن هذا مبني على عقيدتهم في أن عليًّا بويع له بإمرة المؤمنين في حياة النبي وأن الصحابة جحدوا بيعته وكفروا ونافقوا . . . . إلخ كما هي عقيدة الشيعة، فلا يدع أن تحملهم هذه العقيدة الفاسدة على هذا الافتراء والأكاذيب ويفسروا بها كتاب اللّه، وإن كانت الآيات بمئات عن ذلك كما لا يخفى.

٧- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥] قال الكاشاني: «في الكافي عن الصادق: ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم فنسي. . . . . الخبر، وعن الباقر قال: عهد إليه في محمد والأئمة من بعده فترك ولم يكن له عزم فيهم أنهم هكذا، وإنما سموا أولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته فأجمع عزمهم أن ذلك كائن كذلك، فأخذ الميثاق على أولي العزم أني ربكم ومحمد رسولي وعلي أمير المؤمنين، وأوصياؤه من بعده ولاة أمري وخزان علمي وأن المهدي أنتصر به لديني وأظهر به دولتي وأنتقم به من أعدائي وأعبد به طوعًا وكرهًا، قالوا: أقررنا يا رب وشهدنا، ولم يجحد آدم ولم يقر، فثبت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي ولم يكن لآدم عزم على الإقرار به وهو قوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ الآية [طه: ١١٥]»[2]

ولا شك أن هذه خرافة مبناها على عرض ولاية الأئمة على الأنبياء والمرسلين في عالم الذر قبل خلق الأكوان وهو خيال جامح في الافتتان بولاية الأئمة لا يتصوره إنسان.

---

(١) انظر: تفسير الحسن العسكري ص٤١ وانظر تفسير الأصفهاني ص٢٢٦ .

(٢) تفسير الصافي للكاشاني ج٢ ص٢٥ .

٨- وعند قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن:١٨] يقول الكازراني: «عن العياشي عن الصادق أنه الإمام من آل محمد فلا تتخذوا من غيرهم إمامًا، وعن الكاظم ﷺ: هم الأوصياء والأئمة واحدًا واحدًا فلا تدعوا إلى غيرهم فتكونوا كمن دعا مع اللّه أحدًا»[١]

٩- وعند قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم:٥٤] يقول الكازراني: «ورد عن الأئمة (ع) أنه إسماعيل بن حزقيل وعد رجلًا فانتظره سنة وقد سلخ قومه فروة رأسه ووجهه فأتاه ملك وقال له مرني بما تريد فقال: لي أسوة بالحسين ﷺ»[٢]

١٠- وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤] يقول الكازراني: «إبليس يؤول بالثاني (يعني عمر بن الخطاب) فعن الأصبغ بن نباتة أن عليًّا (ع) أخرجه مع جمع فيهم حذيفة بن اليمان وذكر معجزة عنهم فقال علي: يا ملائكة ربي أئتوني الساعة بإبليس الأبالسة وفرعون الفراعنة، قال: فواللّه ما كان بأسرع من طرفة عين حتى أحضروه عنده فلما جروه بين يديه قام وقال: واويلاه من ظلم آل محمد، واويلاه من اجترائي عليهم، ثم قال: يا سيدي ارحمني فإني لا أحتمل هذا العذاب فقال علي (ع): لا رحمك اللّه ولا غفر لك أيها الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان، ثم التفت إلينا فقال: سلوه حتى يخبركم من هو، فقلنا له: من أنت؟ فقال: أنا إبليس الأبالسة وفرعون هذه الأمة، أنا الذي جحدت سيدي ومولاي أمير المؤمنين (ع) وخليفة رب العالمين، وأنكرت آياته ومعجزاته... الخبر»[٣]

وأستغفر اللّه من حكاية هذه الكفريات، فإن حاكي الكفر ليس بكافر كما هو مقرر ويكفيني هذا تمثيلًا لما في تفاسير الشيعة من أخبارهم عن الأئمة في تفسيرها،

---

(١) مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار للكازراني ص١١٧ .
(٢) مرآة الأنوار للكازراني ص١٢٥ .
(٣) مرآة الأنوار للكازراني ص٦٧ .

فإن تتبع مثله يطول فما من آية، بل ما من فقرة إلا وفيها من أخبارهم مثل ذلك، وأظن أن القارئ يشاركني الحكم بكل تأكيد على هذه الأخبار بالبطلان والكذب والافتراء، على اللّه وكتابه ورسوله والأئمة من آل البيت ﷺ. نعم خفت حدة هذه الأخبار قليلًا في تفسير المعتدلين منهم مثل الطبرسي والبلاغي وكادت أن تتوارى في تفسير مغنية، وهذا لا يمنع أنهم يشاركون في نقل البعض منها كما مر في الأمثلة من الطبرسي، وأما الكازراني والخراساني والقمي والكاشاني والأصفهاني والبحراني، فلا تكاد تخلو فقرة من آية من خبر على نحو ما مر.

النوع الثاني: من الموضوعات في تفسير الشيعة:

هو الأخبار التي حكم عليها أهل السنة بوضعها وكذبها لما تبين لهم من كذب رواتها، أو لمخالفتها لأصل من الأصول المقررة في الدين، أو لأمر مجمع عليه، أو نحو ذلك، فإن الوضع لا يشترط في واضعه تعمد الكذب، بل بعض الموضعات جاءت بحسن نية من أصحابها، بقصد الترغيب والترهيب، ومن هذا النوع مثلًا: أحاديث فضائل السور في القرآن مثل الحديث الذي ينسب إلى أُبي بن كعب في فضائل القرآن سورة سورة، فهو موضوع باتفاق أهل العلم، وقد نبه العلماء على هذه الموضوعات كلها، وألفت الكتب عند أهل السنة للتنبيه على هذه الموضوعات حتى لا يغتر بها إنسان، فلم يبق بعد ذلك حجة لمتنطع أن يحتج بمثل هذه الأكاذيب ويفسر بها كتاب اللّه، وله في الوارد الصحيح غنية عن ذلك إلا أن الشيعة لما وجدوا في هذه الموضوعات ما يخدم مدعاهم في كثير منها، نجدهم قد تلقفوه وفسروا به القرآن، واحتجوا به على أهل السنة والجماعة، على اعتبار أنه وارد في كتب أهل السنة وليت أنهم أخذوه ونبهوا على أن أهل السنة حكموا عليه بالوضع، بل سكتوا عنه تمويهًا للحقائق، بل زادوا في التمويه والكذب والتدليس حينما يصرحون بأنه صحيح في معيار أهل السنة في الرواية، وكأن الكذب أبي أن يفارق الشيعة لحظة من حياتهم، وإليك بعض النماذج من هذه الأنواع في تفسير الشيعة:

١- عند قوله تعالى: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ

﴿ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۚ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة:١٨٩]، والآية قد استعملت لفظ البيوت والأبواب في معناها الحقيقي الظاهري لم يختلف على ذلك اثنان من المسلمين، ولكن الشيعة يفسرونها على نحو آخر بناء على حديث موضوع، يقول البلاغي: «ومن هذا الباب ما اتفقت عليه رواية الفريقين- يريد الشيعة وأهل السنة- من قول النبي ﷺ: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها**»[1] وأورده الكازراني في تفسيره كذلك[2]، والطبرسي في تفسيره[3]

وأقول: نعم جاء هذا الخبر عند أهل السنة بعدة طرق تبين لهم أن جميعها باطل فلذلك حكموا عليه بأنه موضوع[4] فما الحجة في ذلك؟

٢- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢] يقول البلاغي «وفي اللآلئ المصنوعة عن ابن عدى مسندًا برجال الصحة عندهم- يقصد أهل السنة- عن محمد بن عبيد اللّه بن أبي رافع عن أبيه عن جده قال: «كانت راية رسول اللّه ﷺ يوم أحد مع علي وراية المشركين مع طلحة بن أبي طلحة، فذكر خبرًا طويلًا وفيه: وحمل راية المشركين سبعة ويقتلهم علي (ع) فقال جبريل: يا محمد هذه المواساة !! فقال النبي ﷺ: «**أنا منه وهو مني**»، ثم سمعنا صائحًا في السماء يقول: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي»[5]

ولا أدري كيف يفهم هذا المفسر؟ إنه نقل الخبر كما ذكر من كتاب اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، وهو كتاب موضوعات فكيف يكون هذا الخبر مسندًا برجال الصحة عند أهل السنة مع أن السيوطي في اللآلئ أكد بطلان الخبر وتابع

---

(١) آلاء الرحمن ج١ ص١٦٥ .

(٢) مرآة الأنوار ص٦٢ .

(٣) مجمع البيان ج٢ ص١٣٨ .

(٤) انظر: كتاب الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص٣٤٨ بتحقيق عبد الرحمن اليماني، وعبد الوهاب عبد اللطيف .

(٥) آلاء الرحمن ج١ ص٣٤٨ .

ابن الجوزي فيه، وكذا الشوكاني في الفوائد المجموعة[1] فانظر إلى هذا التمويه والتدليس والكذب حتى في النقل من الكتب؟.

٣- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] يقول البلاغي: «وفي اللآلئ المصنوعة: «**علي النفس فمن رأيته يقول في نفسه شيئًا**» مرفوعًا إلى النبي ﷺ[2] وأورد الطبرسي فيها خبرًا نحو ذلك، وخبر آخر: «**إن الناس خلقوا من شجر شتى وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة**[3]. كما أورد خبر جبريل المتقدم: «إن هذه لهى المواساة»[4] والأخبار كلها موضوعة والبلاغي نقل الخبر من اللآلئ المصنوعة وهو يعلم أنه كتاب موضوعات، فما الحجة في ذلك أيضًا؟.

٤- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾.. [النساء: ٤٣].

يقول البلاغي: «ولا يدخل في هذا النهى والتحريم رسول اللّه ﷺ وأهل بيته، وقد أخرج الترمذي في فضائل علي قال: قال رسول اللّه ﷺ لعلي: «**يا علي لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك**» وذكر البلاغي أن صاحب اللآلئ المصنوعة ذكر هذا الحديث وذكر ممن أخرجه البيهقي والبزار وغيرهما كما أورد من اللآلئ المصنوعة حديث: «**سدوا الأبواب الشارعة في المسجد إلا باب علي**» فكان يدخل ويخرج وهو جنب[5] أما خبر الترمذي ففي سنده عطية العوفي عن أبي سعيد، وكان مدلسًا هالكًا كني الكلبي الكذاب بأبي سعيد للتدليس بذلك على أبي سعيد الخدري الصحابي المعروف[6]، ولذلك قال الترمذي: «وقد سمع محمد بن

---

(١) الفوائد المجموعة ص٣٧٢.
(٢) آلاء الرحمن ج١ ص٢٩٤.
(٣) الفوائد المجموعة حيث حكم بوضعه ص٣٧٩.
(٤) مجمع البيان ج٣ ص١٠٢.
(٥) آلاء الرحمن ج٢ ص١٢٣.
(٦) الفوائد المجموعة ص٢٤٤.

إسماعيل- يعني البخاري- مني هذا الحديث واستغربه»[1] وأما بقية الطرق ففي إسناد البزار مجهولان، والحديث موضوع بجميع طرقه[2]. وقد نقله البلاغي من كتاب الموضوعات وهو يعلم ذلك، وأما الحديث الثاني: «**سد الأبواب إلا باب علي**» فكذلك وقد ذكر ابن الجوزي أنه من وضع الرافضة قابلوا به حديث أبي بكر في الصحيح[3].

٥- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى:٢٣]. ذكر الطبرسي في معناها أقوالا ثلاثة، ورجح الثالث وأورد له الآثار حيث قال «وثالثها أن معناه: إلا أن تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم. عن أبي أمامة الباهلي قال قال رسول اللّه ﷺ: «**إن اللّه تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتى وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها وأشياعنا أوراقها فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ومن زاغ عنها هوى، ولو أن عبدًا عبد اللّه بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام حتى يصير كالشن البالي، ثم لم يدرك محبتنا كبه اللّه على منخريه في النار**» ثم تلا الآية[4] والخبر موضوع باتفاق الحفاظ من أهل السنة وعلامة الوضع فيه ظاهرة[5].

٦- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ [الإنسان:٥] الآيات. يقول الطبرسي: وقد روى الخاص والعام أن الآيات من هذه السورة وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين وجارية لهم تسمى فضة وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وأبي صالح، وساق قصة مرض الحسن والحسين ونذر علي وفاطمة

---

(١) سنن الترمذي ج٥ ص٣٠٣ مناقب عليّ بن أبي طالب.
(٢) الفوائد المجموعة ص٣٦٦.
(٣) كتاب الموضوعات لابن الجوزي ج١ ص٣٦٦.
(٤) انظر: تفسير مجمع البيان للطبرسي ج٢٥ ص٥٠.
(٥) الفوائد المجموعة ص٣٧٩ والموضوعات لابن الجوزي ج١ ص٣٩٧.

صيام ثلاثة أيام إن شفاهما اللّه. . . إلى آخر القصة المعروفة، ورغم أنه عنوان للسورة بقوله «سورة الإنسان مكية» إلا أنه عند ذكر القصة هاجم من قال بمكيتها، وحمل عليه حملة شعواء، وجزم بأنها مدنية»[1]

وقال شبر: «المراد بهم علي وفاطمة وابناهما بإجماع أهل البيت وشيعتهم وتضافر روايات العامة والخاصة»[2]

والقصة موضوعة بجميع طرقها[3]. بصرف النظر عن كون السورة مكية أو مدنية والآيات فيها عامة، ولم يصح فيها سبب نزول.

٧- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة:٣٧] تجمع كتب الشيعة قاطبة على أن هذه الكلمات التي تلاقاها آدم من ربه أنه سأل بحق محمد وعلي وفاطمة إلا تبت علي فتاب عليه[4] وهو حديث موضوع باتفاق الحفاظ[5].

٨- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧]. ففي تفاسير الشيعة أن رسول اللّه هو المنذر وعلي هو الهاد[6] وهذا مبني على حديث موضوع باتفاق أهل العلم[7].

٩- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٢] فالأذن الواعية هي علي في تفاسير الشيعة[8] وهو مبنى على حديث موضوع باتفاق أهل العلم[9].

ومن تتبع هذا الضرب من الموضوعات في كتب التفسير عند الشيعة لا يكاد

---

(١) (٢) مجمع البيان ج٢٩ ص١٣٨ .
(٣) الفوائد المجموعة ص٣٧٦ والموضوعات لابن الجوزي ج١ ص٣٩٠ .
(٤) الصافي للكاشاني ج١ ص١٣٨ .
(٥) الفوائد المجموعة ص٣٩٤ .
(٦) البرهان ج٢ ص٥١٧ .
(٧) الفوائد المجموعة ص٣١٦ .
(٨) مرآة الأنوار ص٥٧ .
(٩) الفوائد المجموعة ص٣١٧ .

ينتهى، وقد رأينا كيف أنهم يدلسون ويموهون ويغالطون حيث يذكرون أنه حديث رواه الفريقان، بل وينقلونه من كتب الموضوعات نفسها عند أهل السنة ويحتجون به عليهم، وتبلغ البجاحة ببعضهم حين يذكر أن أهل السنة أخرجوه برجال موثقون مع أن الشيعة نقلوه من كتب الموضوعات، حيث حكم عليه أصحابها بأنه موضوع، وليس هذا بأول كذب وتمويه وتضليل تدعية الشيعة على أهل السنة، فكثيرًا ما يأخذون حديثًا صحيحًا عند أهل السنة، ويضيفون له زيادة تخدم مدعاهم، بأن يكون الحديث واردا بطريق صحيح في فضائل آل البيت -مثلًا- فيزيد الشيعة عليهم زيادة يثبتون بها مثلًا عقيدة من عقائدهم في آل البيت مثل حديث النبي لعلي حينما خرج إلى غزوة تبوك وخلفه على المدينة فقال علي: تخلفني مع النساء والصبيان فأحب النبي أن يطيب خاطره فقال له: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى**»[1] وهو حديث صحيح، لكن الشيعة لم تقنع بهذا الفضل لعلي، فزادوا في الحديث حتى صار على هذا النمط: «إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي».

وهذه الزيادات قطعًا باطلة وموضوعة[2] ولا تستقيم بحال، فكم خرج النبي ﷺ من المدينة وعلي معه !! وكم استخلف عليها في غزواته غيره!! بل لم يستخلف عليها عليًّا غير هذه المرة كما هو مقرر.

وبهذه المناسبة أحب أن أنبه في إيجاز عن نوع من تدليس الشيعة في التمويه في رواياتهم بذكر أسماء رجال يشتبه أسماؤهم بأسماء رجال عند أهل السنة موثقون، فيظن القارئ أن راوي الخبر من أئمة أهل السنة المعتبرين، ونوع آخر وهو أن يدَّعوا لرجل من رجالهم أنه من أهل السنة مع أنه رافضي كذاب مشهور بالكذب والوضع في الأخبار:

فمثال النوع الأول: السدي، فإنه رجلان: السدي الكبير وهو من ثقات أهل

---

(١) صحيح مسلم ج٢ ص٣٦٠ باب من فضائل عليّ رضي الله عنه.

(٢) انظر: الفوائد المجموعة ص٣٥٦ .

السنة، والسدي الصغير وهو وضاع كذاب رافضي غال محترق، انظر ترجمته في الميزان وقد ذكر له الذهبي: «عن نصر بن مزاحم- وهو منهم- حدثنا محمد بن مروان- وهو السدي- الصغير- عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ [يونس:٥٨] فضل اللَّه محمد، ورحمته علي[١] وهذا هو التفسير لهذه الآية عند الشيعة[٢] ومثل: عبد اللَّه بن قتيبة فإنه رجلان، عبد اللَّه بن مسلم بن قتيبة وهو من ثقات أهل السنة وهو صاحب التصانيف مثل مشكل القرآن، وتأويل مختلف الحديث وغيرهما توفي سنة ٢٧٦هـ[٣] وعبد اللَّه بن قتيبة وهو رافضي غال، وقد ألف الأول كتابًا سماه: (المعارف) فألف الثاني كتابًا سماه: (المعارف) أيضًا قصدًا للإضلال.

ومثل: محمد بن جرير الطبري فإنه رجلان، محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر الإمام الجليل المفسر صاحب التصانيف وهو من ثقات أهل السنة وأئمتهم توفي سنة ٣١٠هـ.

والثاني: محمد بن جرير بن رستم أبو جعفر الطبري وهو رافضي غال محترق له كتاب الرواة عن أهل البيت[٤] وكتاب الإيضاح للمسترشد في الإمامة[٥].

ومثل: محمد بن إدريس فإنه رجلان: محمد بن إدريس الشافعي الإمام الحجة الفقيه المشهور أشهر من أن يعرف، ومحمد بن إدريس الرافضي الكذاب.

ومثل محمد بن مسلم فإنه رجلان: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، الإمام الحجة المعروف، ومحمد بن مسلم الطحان الرافضي المحترق الذي كان يعتقد أنه تعالى لم يكن عالمًا في الأزل، وقد تقدمت ترجمته.

ومثال النوع الثاني: أخطب خوارزم وهو الموفق بن أحمد بن إسحاق له ترجمة

---

(١) ميزان الاعتدال ج٤ ص٣٢ .
(٢) تفسير القمي ص٢٨٧ .
(٣) ميزان الاعتدال ج٢ ص٥٠٣ .
(٤) نفس المرجع ج٣ ص٤٩٨ .
(٥) تفسير المنار ج٦ ص١٩٢ .

في روضات الجنات عند الشيعة[1] وهذا الشيعي قد افترى للشيعة حديث: «**يا علي لو أن عبدًا عبد اللَّه مثل ما قام نوح في قومه وكان له مثل أحد ذهبا فأنفقه في سبيل اللَّه وحج ألف حجة على قدميه ثم قتل بين الصفا والمروة ثم لم يوالك يا علي لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها**» وهذا خبر موضوع من غير شك[2] وقد فسر به حسن توني أحد مفسري الشيعة قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٥][3] وقد ألصق البلاغي هذا الرجل (أخطب خوارزم) بأهل السنة واحتج بروايته عليهم في تفسيره[4].

ومثل: هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وأبيه وهما رافضيان غاليان مشهوران[5]، والشيعة تحتج بمروياتهما على أنهما من أهل السنة فقد ذكر الطبرسي عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧] «عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أمر اللَّه محمدًا أن ينصب عليًّا للناس فيخبرهم بولايته فتخوف رسول اللَّه أن يقال حاب ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه فأوحى اللَّه هذه الآية»[6].

وتتبع هذا الضرب يطول فإن من استحل الكذب لا يبعد عليه شيء لذلك نجد تفاسير الشيعة قد قام أغلبها على هذا النسيج السقيم من الأكاذيب والمفتريات التي سيطرت عليها وحجبت جلال القرآن وجماله عن القلوب، وقد سقت نماذج قليلة لبيان نوع هذه الموضوعات وما تهدف إليه وأنبه الأذهان على أن هذا النمط يجري في تفسير جميع الآيات عند جمهرة المفسرين من الشيعة مثل تفسير الحسن العسكري، والقمي، والكازراني، والكاشاني، والخراساني، والأصفهاني،

---

(١) روضات الجنات ج١ ص٧٢٢ .
(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال ص٣١٢ .
(٣) تفسير بعض آيات الأحكام ص٢١٩ .
(٤) آلاء الرحمن ج١ ص٤٤ .
(٥) انظر: ميزان الاعتدال ج٣ ص٥٥٦ ، ج٤ ص٣٠٤ .
(٦) مجمع البيان ج٥ ص١٥٢ .

والبحراني وتخف حد هذه الأخبار قليلًا في تفسير الطبرسي وشبر والبلاغي ومغنية والذين اقتصر تفسيرهم على آيات الأحكام فقط مثل كنز العرفان للمقداد الحلي وحسن توني، لا إلى حد العدم بل كلما لاحت لهم فرصة من آية يستأنسون منها احتمال مطاوعتها لهم- بحسب وهمهم- ذكروا من هذه الأخبار ما يريدون به حمل الآية على عقيدتهم، وهذه الأخبار التي مرت يتضح منها أمور:

١- هذه الآثار هدم صريح للإسلام ولمعاني القرآن الذي يجب تنزيهه عن مؤثرات العقيدة، وحيث هدم الإسلام ومعاني القرآن فلا إسلام ولا قرآن وبالتالي لا شرف لأهل البيت ولا حرمة لأنهم إنما استمدوا هذا الشرف من الإسلام والقرآن ولو صح من هذه الأخبار خبرًا لذهبت كرامة أهل البيت أدراج الرياح، وعليه فهذه الأخبار تهدم ولا تخدم.

٢- هذه الآثار لا تعرفها الأمة واختصاص الشيعة بنقلها يفقد الثقة بها لأنها رواية مبتدع له ميوله المعروفة وقد روى ما يخدم بدعته، وهو داعية لبدعته، ولم يكن شيء من ذلك معروفًا قبل ظهور الخلاف في الأمة.

٣- هذه الآثار طابعها العام معارض لصريح القرآن ولما ثبت عن الرسول عليه الصلاة والسلام فهي موضوعة، سمات الوضع عليها بارزة ولا يصح أن يبنى دين على أمثال هذه الأباطيل.

٤- لا نص في الدين من قريب أو بعيد يلزم الناس بالأخذ بهذه الآثار إذ لا معصوم إلا صاحب الشرع ﷺ هو الذي ورد النص القرآني بالأخذ منه فقط قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧] وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب الرسالة ﷺ فإن وافقت رواية الأئمة من آل البيت الكتاب والسنة الصحيحة فعلى العين والرأس وإلا فلا.

٥- هذه المرويات اعتمادها على جماعة كانوا معروفين بالكذب وبالطعن في دينهم وكان الأئمة من آل البيت يتبرءون منهم ويطردونهم من مجالسهم لكذبهم عليهم وقد مرت تراجم البعض منهم مثل هشام بن الحكم، وهشام بن سالم

الجواليقي، وجابر الجعفي، والأصبغ بن نباتة، وزرارة بن أعين وأبو بصير[1] ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتب رجال الشيعة أنفسهم مثل رجال الكشي ومثل تنقيح المقال للمامقاني ليشاهد بنفسه أقوال الأئمة من آل البيت في كبار رجال الأخبار عندهم.

٦- دلت هذه الأخبار على صدق قول أهل السنة في الشيعة إنهم قوم يضعون الأحاديث ويتخذونها دينًا، وأنهم وضعوا على أهل البيت أكثر من ثلاثمائة ألف حديث ولو أحصينا ما في تفاسيرهم فقط لتجاوزت هذا العدد بكثير، مع أن كثيرًا من هذه الأخبار يحط من شأن أهل البيت ولا يرفعهم، مع أنهم في غنى عن هذا كله، فقد صحت في فضلهم ومناقبهم أخبار كثيرة ولذلك قال ابن الجوزي «فضائل علي الصحيحة كثيرة غير أن الرافضة لم تقنع فوضعت له ما يضع ولا يرفع»[2]

ولذا نجد الجهابذة من أهل السنة قد لفظوا هذه المرويات عند الشيعة لما وجدوهم يتعمدون الكذب لترويج معتقداتهم، يقول الإمام الحجة شيخ الإسلام ابن تيمية «والقوم من أكذب الناس في النقليات وأجهل الناس في العقليات ولهذا كانوا عند العلماء أجهل الطوائف، وقد دخل منهم على الدين من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، والنصيرية والإسماعيلية والباطنية من بابهم دخلوا، والكفار والمرتدة بطريقهم وصلوا فاستولوا على بلاد الإسلام، وسبوا الحريم وسفكوا الدم الحرام، والرافضة قد شابهوا اليهود في الخبث والهوى، وشابهوا النصارى في الغلو والجهل، فإن الرافضة في الأصل ليسوا أهل خبرة بطريق المناظرة ومعرفة الأدلة، وما يدخل فيها من المنع والمعارضة، كما أنهم جهلة بالمنقولات، وإنما عمدتهم على تواريخ منقطعة الإسناد، وكثير منها من وضع المعروفين بالكذب فيعتمدون على نقل أبي مخنف لوط بن يحيى وهشام بن الكلبي وغيرهم.

قال يونس بن عبد الأعلى قال أشهب: سئل مالك رضي الله عنه عن الرافضة فقال: «لا

---

(١) انظر: ص٤٧ وما بعدها من الرسالة.

(٢) انظر: كتاب ابن الجوزي في الموضوعات ج١ ص٣٣٨.

تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون»، وقال حرملة سمعت الشافعي ﷺ يقول: «لم أر أحدًا أشهد بالزور من الرافضة وقال مؤمل بن إهاب سمعت يزيد بن هارون يقول: «يكتب عن كل مبتدع إذا لم يكن داعية إلا الرافضة فإنهم يكذبون»، وقال محمد بن سعيد الأصفهاني: سمعت شريكًا يقول: «احمل العلم عن كل من لقيته إلا الرافضة فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه دينًا».

وقال أبو معاوية سمعت الأعمش يقول: «أدركت الناس وما يسمونهم إلا الكذابين» يعني أصحاب المغيرة بن سعيد ورد شهادة من عرف بالكذب متفق عليه.

ومن تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عند مصنفيها بالكذب في الشيعة أكثر منهم في جميع الطوائف والخوارج مع مروقهم من الدين فهم من أصدق الناس حتى قيل إن حديثهم من أصح الحديث، والرافضة يقرون بالكذب حيث يقولون: ديننا التقية، وهذا هو النفاق، ثم يزعمون أنهم هم المؤمنون، ويصفون السابقين الأولين بالردة والنفاق، فهم كما قيل: رمتني بدائها وانسلت»[1] وكلام شيخ الإسلام حق لا ريب فيه وقد مر مصداقه في أخبار الشيعة، وفيما يعتمدون عليه من رجال في نقل هذه الأخبار، ونسبتها إلى آل البيت الأطهار، وهم منها براء.

والآيات التي فسروها بهذه الأخبار غنية بوضوحها عن البيان، كما أن أخبار الشيعة في تفسيرها واضحة البطلان، لمجافاتها لمعاني الآيات ولاشتمالها على الكذابين والوضاعين ولما تحمله هذه الأخبار من طعن قبيح وكفر صريح لخيرة أصحاب رسول اللّه، وقد تقدم ثناء الأئمة عليهم. فضلًا عن القرآن.

★★★

(١) انظر: المنتقى من منهاج الاعتدال من ص١٩ إلى ص٢٣ .

المبحث السادس

أسباب النزول عند الشيعة وتأثرها بعقائدهم

من المعلوم أن كثيرًا من آيات الكتاب العزيز نزلت على حسب الحوادث والأحوال التي كانت تجري أيام نزول القرآن، فكان القرآن ينزل جوابًا لسؤال، أو حلًا لإشكال، أو بيانًا لحكم وقع أو أمر حدث، ولذلك فوائد جمة ذكرها العلماء في محلها.

ومن المعلوم أيضًا أن الكثير من الآيات نزل ابتداء من غير سبب خاص أو حدث معين.

والمهم أن العلماء قد اتفقوا على أنه لا يجوز القول في أسباب النزول إلا بالنقل الصحيح والنص الصريح عمن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على معرفة الأسباب من الصحابة، يقول الواحدي «ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلاب، وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار، في هذا العلم بالنار، - وأورد خبرًا - عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«اتقوا الحديث إلا ما علمتم فإنه من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار، ومن كذب على القرآن من غير علم فليتبوأ مقعده من النار»**.

وأورد خبرًا آخر عن محمد بن سيرين قال: «سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال: اتق الله وقل سدادًا، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل القرآن»[1]

وقال السيوطي: «معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا وربما لم يجزم بعضهم فقال: أحسب هذه الآية نزلت في كذا كما قال

---

(١) أسباب النزول للواحدي ص٤ .

الزبير في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. وقال الحاكم في علوم الحديث: إذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فإنه حديث مسند، ومشى على هذا ابن الصلاح وغيره، وقال ابن تيمية: قولهم نزلت الآية في كذا يراد به تارة أنه سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول: عنى بهذه الآية كذا، وقد تنازع العلماء في قول الصحابي: نزلت هذه الآية في كذا، هل يجري مجرى المسند كما لو ذكر السبب الذي أنزلت لأجله، أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند؟

فالبخاري يدخله في المسند، وغيره لا يدخله فيه، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره بخلاف ما إذا ذكر سببًا نزلت عقبه فانهم كلهم يدخلون مثل هذا في المسند، ثم قال السيوطي: والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء بل هو من باب الأخبار عن الوقائع الماضية»[1]

أن المعول عليه في معرفة أسباب النزول هو قول الصحابة الذين شاهدوا التنزيل بشرط صحة السند وأن يصرح بالسبب، فإن قال: نزلت هذه الآية في كذا، فإن كان ما ذكره قد نزلت عقبه الآية فهو سبب لنزولها، وإن لم يكن فحمله على دخوله في حكمها أولي من دخوله في بيان السبب، ويكون حينئذ من باب التفسير لا من باب أسباب النزول، هذا مع ملاحظة أن العبرة في معنى الآية هو عموم اللفظ لا خصوص السبب، نعم يدخل السبب فيها دخولًا أوليًا.

هذا هو ما عند أهل السنة في القول في أسباب النزول، فما عند الشيعة يا ترى؟ الشيعة لا يعنيهم هذا المبحث بهذه الصورة وذلك لا يعتمدون على ما ينقل عن

---

(١) أسباب النزول للسيوطي ص٥ إلى ص٨ .

الصحابة ولا حتى ما ينقله الصحابة عن الرسول ﷺ، وذلك لعقيدتهم المعروفة في الصحابة لذلك كان لابد من بحثهم عن أسباب نزول توافق مشاربهم، فنقلوا أخبارًا نسبوها إلى آل البيت وزعموا صحتها مع أنها تبدو مجافية لمعاني الآيات مناقضة لظاهر القرآن، ليحمل غالبها طعنًا صريحًا في الصحابة، ومغالطة ظاهرة للحقائق التاريخية، وإليك نماذج منها.

١- عند قول اللّه ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ:٢٠] قال القمي بسنده عن أبي عبد اللّه الصادق قال: «لما أمر اللّه نبيه أن ينصب أمير المؤمنين للناس في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ في علي بغدير خم، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فجاءت الإبالسة إلى إبليس الأكبر وحثوا التراب على رءوسهم فقال لهم إبليس ما لكم؟ قالوا: إن هذا الرجل قد عقد اليوم عقدة لا يحلها شيء إلى يوم القيامة، فقال لهم: كلا، إن الذين حوله قد وعدني فيه عدة لن يخلفوني، فأنزل اللّه على رسوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ الآية[1]

ومراده أن أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم ممن كانوا حول الرسول قد وعدوا إبليس أن ينقضوا بيعة علي وأن لا يمكنوه من الولاية أبدًا، فانظر إلى هذه الخرافة كيف سيطرت على عقول الشيعة والذي بعث عليها هو افتتانهم بعلى وولايته، فأعماهم ذلك عن الحقائق التاريخية الثابتة، وهو أن الآية مكية نزلت قبل الهجرة، وغدير خم المزعوم كان يوم ١٨ ذي الحجة سنة ١٠هـ من الهجرة، وهذا يصرف النظر عما في الخبر من طعن قبيح على خيرة أصحاب رسول اللّه ﷺ، والآية واردة في معرض قصة سبأ كما لا يخفى، ونحن ننزه أبا عبد اللّه الصادق قطعًا عن هذه الخرافة، وأظن أن الذي حدث بها القمي هو إبليس الأبالسة نفسه.

٢- عند قول اللّه ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾

(١) انظر: تفسير القمي ص٥٣٨.

[النور:١١] تجمع أكثر تفاسير الشيعة على أنها نزلت في مارية القبطية وتبرئتها مما رمتها به عائشة من الزنا وينسبون ذلك إلى الأئمة من آل البيت يقول القمي: «عن أبي جعفر الباقر قال: لما أهلك اللّه إبراهيم ابن رسول اللّه ﷺ حزن عليه حزنًا شديدًا، فقالت عائشة: ما الذي يحزنك عليه فما هو إلا ابن جريج القبطي فبعث رسول اللّه عليًا وأمره بقتله فذهب علي إليه ومعه السيف، وكان جريج القبطي في حائط، فضرب علي باب البستان فأقبل جريج ليفتح الباب فلما رأى عليًا عرف في وجهه الشر، فأدبر راجعًا ولم يفتح الباب، فوثب علي على الحائط ونزل إلى البستان وأتبعه وولى جريج مدبرًا، فلما خشي أن يرهقه صعد في نخل وصعد علي في إثره فلما دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة فبدت عورته فإذا ليس له ما للرجال ولا ما للنساء، فانصرف علي إلى النبي فقال: يا رسول اللّه إذا بعثتني في الأمر أكون فيه كالمسمار المحمي في الوبر أم أثبت؟ قال: «**بل اثبت**»، فقال: والذي بعثك بالحق ما له ما للرجال ولا ما للنساء، فقال: «**الحمد للّه الذي يصرف عنا السوء أهل البيت**»[1]

وقد نقل هذه القصة في سبب نزول الآية أغلب مفسريهم حتى المعتدلين منهم مثل شبر[2].

بل وذكرها الطبرسي أيضًا لكن ليس في موضعها عند تفسير الآية بل ذكرها بمناسبة آية أخرى هي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات:٦]. حيث جعل الفاسق فيها هو عائشة، والنبأ هو القصة المتقدمة لمارية مع جريج[3].

فانظر إلى هذه المغالطات الواضحة وما تحمله من طعن قبيح على الصديقة بنت الصديق أحب أزواج النبي إليه، مع قلب آيات المدح والثناء قدحا، فالآيات بإجماع الأمة نزلت في تبرئة ساحة السيدة أم المؤمنين عائشة مما رماها به المنافقون من

---

(١) انظر: تفسير القمي ص٤٥٣ .

(٢) انظر: تفسير القرآن لشبر ص٣٣٨ .

(٣) انظر: مجمع البيان للطبرسي ج٢٦ ص٨٧ .

الفاحشة في غزوة بني المصطلق سنة ست من الهجرة حيث سجل اللّه ذلك قرآنا يتلى على مسامع الزمن إلى يوم القيامة وتوج القصة بقوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور:٢٦] القصة نقلتها الأمة جيلًا عن جيل وامتلأت بها كتب الأخبار والسير ولا يجهلها حتى الصبيان، لكن ذنب عائشة مع الشيعة هي أنها خرجت في موقعة الجمل وحاربت عليًّا فكان جزاؤها أن يخترع لها قصة تقلب ما مدحت به في القرآن قدحًا، ومارية القبطية أقل شأنًا من أن ينزل في شأنها قرآن يتلى، ولم تأت إلى النبي إلا سنة ثمان من الهجرة ولم يمت ولدها إلا سنة عشر والآيات كانت قد نزلت في سنة ست كما مر هذا مع ما فيه من الطعن في النبي نفسه وعلي كرم اللّه وجهه، ألا قاتل اللّه الهوى!

٣- وعند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٣] يقول المقداد الحلي: «سبب نزولها أنه لما نزلت آية الحجاب قال طلحة بن عبيد اللّه: أنهينا أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب؟ لئن مات لأتزوجن فلانة»[1] وقد وضح هذا المعنى أكثر القمي حيث قال: «كان سبب نزولها أنه لما أنزل: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب:٦] وحرم اللّه نساء النبي على المسلمين غضب طلحة فقال يحرم محمد علينا نساءه ويتزوج نساءنا؟ لئن أمات اللّه محمدًا لنركضن بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا فأنزل اللّه: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ الآية[2] والآية نزلت للتشريع العام، وما نظن أن أحدًا من أصحاب رسول اللّه ﷺ يجرؤ أن يقول ذلك، فضلًا عن أن يكون طلحة بن عبيد اللّه أحد العشرة المبشرين بالجنة هو الذي قال ذلك، وكيف وقد نزل فيه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣][3] لكن ذنب

---

(١) انظر: كنز العرفان في فقه القرآن ص٣٣٢ .

(٢) انظر: تفسير القمي ص٥٣٣ .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ج٣ ص٤٧٥ .

طلحة مع الشيعة معروف: وهو أنه ممن حارب عليًّا في موقعة الجمل، فلا أقل من أن يخترعوا له قصة تحمل له ذمًّا في القرآن!

٤- وقوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ [التوبة: ١٢] يقول الكاشاني: «نزلت في طلحة والزبير يوم الجمل»[١] وكذا قال القمي، والحلي، ويروون في ذلك خبرًا عن أمير المؤمنين[٢].

ولا يخفى أن موقعة الجمل كانت سنة ست وثلاثين من الهجرة والآية نزلت سنة تسع حيث هي في صدر سورة براءة التي ذهب بها علي ليقرأها على الناس في موسم الحج عام أن حج أبو بكر بالناس نيابة عن رسول الله ﷺ، فكيف يكون ما نزل سنة تسع سببا فيما سيحصل سنة ست وثلاثين؟ وهل طلحة والزبير أئمة في الكفر ناكثين للعهود كرؤوس الشيعة؟

٥- وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ٦٠﴾ [الإسراء: ٦٠] يقول الشيعة في تفسيرها: «نزلت لما رأى النبي في نومه كأن قرودًا تصعد منبره فساءه ذلك وقد غمه غما شديدا ويفسرون الشجرة المعلونة ببنى أمية»[٣]

والرؤيا في الآية هي رؤيا عين التي أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به كما جاء في البخاري وغيره والشجرة المعلونة هي شجرة الزقوم[٤] وقد أوضحتها آية أخرى هي قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ٦٣﴾ [الصافات: ٦٢، ٦٣] وليس بعد بيان الله بيان.

٦- وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢﴾

---

(١) انظر: تفسير الصافي للكاشاني ج٢ ص٢١٩ .
(٢) انظر: تفسير القمي ص٢٥٩ ، وانظر كنز العرفان في فقه القرآن للحلي ص٢٠٣ .
(٣) انظر: تفسير القرآن لشبر ص٢٨٤ ، القمي ٣٨٣ .
(٤) انظر: صحيح البخاري ج٣ ص١٥١ تفسير سورة بني إسرائيل .

[الإسراء: ٧٢] تروي الشيعة: «عن علي بن أبي طالب أنها نزلت في ابن عباس وأبيه»[١] والآية عامة في الكفار، وليس لها سبب نزول معين، وما ذنب عم النبي وقد أسلم؟ وما ذنب ابنه ترجمان القرآن والحبر والبحر الذي دعا له النبي بأن يفقهه اللّه في الدين ويعلمه التأويل، والآية نزلت بمكة وابن عباس فيما أحسب كان ضميرًا مستترًا في صلب أبيه فإن كان قد ولد وقت نزولها فهو كان مازال طفلا يحبو، إذ مات النبي ﷺ وابن عباس غلام لم يبلغ الحلم، ألا أعمى اللّه بصائر الشيعة ! لقد لازم ابن عباس عليًا في حياته ولم يفارقه في خلافته وكان واليه على البصرة، الا يشفع له ذلك عند الشيعة؟ وذنبه في نظري عند الشيعة أنه حد الخلفاء من بني العباس وعلي فرض أنهم كانوا مدينين في نظر الشيعة، فهل يؤخذ الآباء بذنب الأبناء؟

٧- قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء: ٢٦] تجمع كتب التفسير الشيعي على أنها نزلت في حق فاطمة وما أفاء اللّه على النبي من فدك بأن يدفعه إلى فاطمة حسب رواية عندهم في الكافي عن الصادق والباقر[٢].

والخبر أورده ابن كثير في تفسيره عن البزار بسنده عن عطية عن أبي سعيد، وقال ابن كثير: «وهذا الحديث مشكل لو صح إسناده لأن الآية مكية وفدك إنما فتحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة فكيف يلتئم هذا مع هذا؟ فهو إذًا حديث منكر والأشبه أنه من وضع الرافضة»[٣]

وأقول: بل السند لم يصح بكل تأكيد، إذ فيه عطية عن أبي سعيد، وهو عطية العوفى الذي كنى الكلبي الكذاب بأبي سعيد مدلسًا بذلك على أبي سعيد الخدري كما تقدم في الموضوعات وقد نبه على ذلك الحفاظ وعلماء الجرح والتعديل[٤]. وعليه فالحديث ساقط سندًا ومتنًا، والآية عامة في ذوى قرابة الإنسان كما هو واضح، وإلا

---

(١) انظر: تفسير القمي ص٣٨٥ .

(٢) انظر: تفسير الصافي ج٢ ص٢٩٥ وانظر مجمع البيان ج١٥ ص٤٠، القمي ص١٢٨ .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ج٣ ص٣٦ .

(٤) انظر: ميزان الاعتدال ج٣ ص٧٩، من الرسالة .

فأي حق لفاطمة في فدك حتى ينزل في ذلك قرآن يأمر النبي بدفع حقها إليها؟ وبحسب ظني أن الشيعة اخترعت هذه القصة لتطعن بها على الصديق ﷺ وتظهيره بصورة من اغتصب الزهراء حقها !

٨- قوله تعالى: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف: ٥٧، ٥٨، ٥٩] يذكر مفسرو الشيعة في سبب نزولها: «أن النبي ﷺ قال لعلي (ع): **«لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالته النصارى في عيسى لقلت فيك قولًا، لا تمر بملإ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون البركة ويستسقون به»**، فغضب من سمع ذلك من قريش وقالوا: ما رضي أن يضرب لابن عمه مثلًا إلا عيسى بن مريم؟ فأنزل اللّه علي نبيه: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزخرف: ٦٠]. يعني من بنى هاشم، فغضب الحارث بن عمرو الفهرى وقال: اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك أن بنى هاشم يتوارثون هرقلًا بعد هرقل فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم... الخبر»[1].

ولا أدري كيف يستقيم هذا مع: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۚ﴾؟ فالضارب للمثل هم المشركون بنص الآية، وفي سبب نزول الشيعة هو النبي، والمضروب له المثل هم الآلهة كما هو نص الآية والمضروب له في سبب النزول المذكور هو علي، ثم ما معنى قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾؟ إن كان في عيسى، فما هو محله من السبب المذكور؟ وإن كان في علي فما معنى قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؟

وأصح ما ورد في سبب نزول الآية ما ذكره السيوطي قال: «أخرج أحمد بسند صحيح والطبراني عن ابن عباس أن رسول اللّه ﷺ قال لقريش: إنه ليس أحد يعبد من

---

(١) انظر: تفسير البرهان للبحراني ج٤ ص١١٤٦ .

دون اللَّه فيه خير، فقالوا ألست تزعم أن عيسى كان نبيًّا وعبدًا صالحًا وقد عبد من دون اللَّه؟ فأنزل اللَّه: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾..[1]. الآية ومن أراد المزيد فليرجع إلى تفسير ابن كثير في الآية، وفي قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء:٩٨][2]

٩- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [البينة:٧] قال البحراني والطبرسي: «عن علي قال: قبض رسول اللَّه وأنا مسنده إلى صدري فقال: يا علي ألم تسمع قول اللَّه تعالى، وتلا الآية، هم شيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذ اجتمعت الأمم للحساب يدعون غرًّا محجلين شياعًا مقربين، وعن ابن عباس قال: نزلت في علي وأهل بيته»[3]

والآية عامة، ولم يرد فيها سبب نزول خاص، كما لا يخفى ذلك على بصير والخبر واضح البطلان تجر الشيعة به الآية إلى غرضها جرًّا، بل ولا يصح حملها على علي وحده كذلك وما ورد في ذلك فهو خبر موضوع باتفاق الحفاظ[4]، بل ولا يجوز إطلاق لفظ: «خير البرية» على علي لما ورد عن النبي ﷺ- وهو خير البرية- أن رجلًا جاء إليه فقال لرسول اللَّه ﷺ: يا خير البرية فقال رسول اللَّه ﷺ: «ذاك إبراهيم عليه السلام»[5].

هذا مع ما في القصة من الكذب الواضح فإن النبي لم يقبض وهو على صدر علي وإنما قبض وهو مسند إلى صدر عائشة رضي الله عنها كما هو ثابت[6]. لكن الشيعة نفت هذا الفضل على عائشة فأرادوه لعلي بن أبي طالب دونها، ولا يجوز تكذيب الحقائق بأمثال هذه المفتريات.

هذا هو نوع أسباب النزول في تفاسير الشيعة، وتتبعه يطول، وهي كما يرى

---

(١) أسباب النزول للسيوطي ص١٥١ .
(٢) تفسير ابن كثير ج٣ ص١٩٨ .
(٣) انظر: البرهان للبحراني ج٤ ص١٢٠٨ ، ومجمع البيان ج٣٠ ص٢٠٣ .
(٤) انظر: الفوائد المجموعة ص٣٨٠ .
(٥) انظر: صحيح مسلم ج٢ ص٣٤٢ باب من فضائل إبراهيم الخليل .
(٦) صحيح مسلم ج٢ ص٣٧٣ باب في فضائل عائشة رضي الله عنها .

البصير مجافية لمعاني الآيات، فوق أنها مغالطة للحقائق الثابتة، والوقائع التاريخية، فضلًا عما تحمله من حقد دفين وطعن مشين لخيرة الصحابة، فرضت بها الشيعة عقيدتها الزائفة على القرآن الكريم، فحملوه ما يجب تنزيهه عنه، بل أفسدوا به معناه، وجعلوه كتابًا شيعيًّا، بدل أن يكون نورًا ربانيًّا.

★ ★ ★

المبحث السابع

مبهمات القرآن وتفسيرها عند الشيعة

المبهم في اللغة: هو الأمر الذي لم يدر الإنسان ما هو، يقال استبهم الأمر أي: استعجم واستغلق ولم يكن له وجه يعرف به، أو اشتبه فلا يعرف وجيهه[1].

وقد جاء في القرآن شيء من هذه المبهمات وقد ذكر العلماء للمبهمات في القرآن أسبابًا منها، الاستغناء ببيانه في موضع آخر، ومنها قصد الستر على صاحبه ليكون أبلغ في استعطافه، ومنها اشتهاره، ومنها أن لا يكون في تعيينه كثير فائدة وهو الغالب، ومنها التنبيه على التعميم وأنه غير خاص بخلاف ما لو عين، ومنها تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم ومنها تحقيره بالوصف الناقص... إلخ[2] ومن أراد المزيد فليطلبه في مظانه.

والمرجع في تعيين المبهم هو النقل الصحيح حيث لا مجال للرأي فيه قال السيوطي: «اعلم أن علم المبهمات مرجعه النقل المحض لا مجال للرأي فيه»[3] كما ذكر الزركشي: «أنه لا يبحث عن مبهم أخبر اللَّه باستئثاره بعلمه، كقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] والعجب ممن تجرأ وقال إنهم قريظة وقيل: من الجن»[4]

والحق أن كثيرًا مما عين من هذه المبهمات، هو من قبيل التكلف الذي يبعث عليه فضول العلم أحيانًا، وبعضه مأخوذ من الإسرائيليات، وأكثره لم يصح فيه خبر، والأولى في مثل هذا أن يحمل على العموميات التي لا يراد بها شخص معين، إذ أن

---

(١) (٢) انظر: لسان العرب لابن منظور ص٣٧٦ .

(٣) الإتقان ج٤ ص٩٥ .

(٤) انظر: البرهان للزركشي ج١ ص١٥٥ .

تعيينه لا يتعلق به كبير فائدة، والمقصود من الكلام يتحقق بدونه، فلا داعي لهذا التكلف حيث لا ثمرة تجنى من ورائه ما دام لم يصح فيه خبر يعتمد عليه.

هذا ولقد كانت المبهمات مجالًا رحبًا للشيعة في التفسير حيث يجدون فيها بغيتهم فيما يريدون إقحامه في القرآن من معان تخدمهم في معتقداتهم، واستعانوا على ذلك بأخبار نسبوها إلى الأئمة من آل البيت لتحقيق هذا الغرض وحملوا الكثير من كتاب اللّه على ذلك، مع أن طابع هذه الأخبار البعد عن معاني الآيات، والمناقضة الصريحة بما صح من أخبار، وإليك بعض نماذج من هذا النوع في تفاسير الشيعة.

١- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨] تفسر الشيعة هذا الإبهام بأبي بكر وعمر وعثمان[1].

والآية ليست من باب المبهمات في شيء والمقصود بها المنافقون، حيث تحدثت الآيات قبلها عن المؤمنين وصفاتهم، ثم عن الكافرين، ثم عن المنافقين وأمرهم أشهر من أن يذكر وتفسير الشيعة لها بالخلفاء الثلاثة مبني على عقيدتهم الفاسدة.

٢- قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة:٣١]، في تفسير الحسن العسكري «هى أسماء الأئمة الاثنى عشر من آل محمد»[2].

وأقول: ولشيعي من غير الاثنى عشرية أن يدعى أنها في أسماء أئمته من غير الاثنى عشر، فيصبح القرآن غرضا لكل صاحب هوى حينئذ، وليس في ذلك تعجيز للملائكة ولا إظهار لفضل آدم، ولا يتأتى ذلك إلا بتعليمه أسماء المخلوقات والأشياء وخواصها.

---

(١) تفسير الحسن العسكري ص٤١ ، تفسير الأصفهاني ص٢٢٦ ، تفسير الصافي ج١ ص٦١ .
(٢) تفسير الحسن العسكري ص٨٧ ، آلاء الرحمن ج١ ص٨٤ .

٣- قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:٣٧] هي في تفسير الشيعة أسماء الخمسة النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين»[١] وقد تقدم أن هذا مبناه على حديث موضوع، وأيضًا فإن ما أبهم هنا بين في آية أخرى فلا داعي لهذه المغالطة، قال تعالى حكاية عن ذلك: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

٤- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة:٢٠٤]، فذاك أبو بكر وعمر في تفسير الشيعة[٢].

وبصرف النظر عما في ذلك من سوء أدب الشيعة مع وزيري النبي ﷺ، فإن الآية نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، أقبل إلى النبي ﷺ فأعلن إسلامه متظاهرًا ثم خرج فمر بزرع للمسلمين فأحرقه وعقر لهم حمرًا، وفر هاربًا إلى قومه، ولكنه أسلم بعد وحسن إسلامه[٣].

٥- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٠٧] فذاك علي بن أبي طالب في تفسير الشيعة[٤]، وطبعا جئ به من قبيل المقابلة لما ذكروه في سابقتها، ولكن الوارد الصحيح يكذب ذلك، فإنها في صهيب بن سنان الرومي، أسلم وأراد أن يهاجر وكان ذا مال فلم تتركه قريش حتى افتدى نفسه منهم بماله، فنزلت الآية فلما قدم على النبي ﷺ قال له: «أبا يحيى ربح البيع ربح البيع»[٥]

٦- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء:٤٩] يقول القمي: «الذين يسمون أنفسهم بالصديق والفاروق وذي النورين»[٦]

---

(١) مجمع البيان ج١ ص٢٧ ، القمي ص٣٥ .
(٢) انظر: البرهان للبحراني ج١ ص١٢٧ ، والقمي ص٣١ .
(٣) انظر: أسباب النزول للسيوطي ص٣٨ ، والواحدي ص٣٩ .
(٤) القمي ص٣١ ، وآلاء الرحمن ج١ ص١٨٤ .
(٥) أسباب النزول للسيوطي ص٢٨ .
(٦) القمي ص١٢٨ .

مع أن الآية نزلت في رجال من اليهود كانوا يزعمون أن لا ذنوب عليهم، والسياق يؤيد ذلك[1].

٧- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء: ٥١] فالجبت والطاغوت هما أبو بكر وعمر في تفسير الشيعة[2]، مع أن الآية نزلت في كعب بن الأشرف حينما خرج في سبعين راكبًا من اليهود إلى مكة لتأليب قريش على الرسول، فسألتهم قريش: أديننا خير أم دين محمد؟ فقالوا لهم أنتم أهدى منهم سبيلًا؟[3] والسياق يؤيد ذلك إذ أنه من أهل الكتاب.

٨- قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]، المؤذن هو علي في تفسير الشيعة، ففي مرآة الأنوار: «ورد في أخبار عديدة أن المؤذن والأذان هو علي، فقد ورد عنه قال أنا المؤذن في الدنيا والآخرة، قال اللّه تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ أنا ذلك المؤذن، وقال تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [التوبة: ٣] أنا ذلك الأذان[4].

وأقول: ما شأن علي والأذان يوم فصل الخطاب هل له دور يومها كما تعتقد النصارى في المسيح؟ وكيف يكون هو الأذان يوم الحج الأكبر؟ نعم هو الذي تلا هذه الآيات على مسامع الناس نيابة عن الرسول- أعني صدر براءة- سنة تسع في عرفات، وأبو بكر أمير الحج يومئذ.

٩- قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: ١٧]، تروى الشيعة عن أمير المؤمنين والباقر والرضا أن الشاهد منه علي بن أبي طالب يشهد للنبي وآله وهو منه[5]. مع أن الوارد فيه أن

---

(١) أسباب النزول للسيوطي ص٥٤ والواحدي ص١٠٣ .
(٢) القمي ص١٢٨ ، ومرآة الأنوار ص٧٧ .
(٣) أسباب النزول للسيوطي ص٥٤ والواحدي ص١٠٣ .
(٤) مرآة الأنوار ص٥٧ ، والقمي ص٢١٦ .
(٥) الصافي ج٢ ص٢٤٣ .

جبريل أو الرسول أو القرآن وما ورد أنه علي فقد قال عنه ابن كثير هو ضعيف لا يثبت له قائل[1].

١٠- قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٤٣] والذي عنده علم الكتاب هو علي في تفسير الشيعة حسب مروياتهم عن الأئمة[2].

مع أن الآية قيل إنها نزلت في عبد اللّه بن سلام أحد أحبار اليهود الذي أسلم وقد اختار ابن كثير أن (مَن) اسم جنس يشمل جميع أهل الكتاب من اليهود والنصارى لما يجدونه في كتبهم من صفة نبينا[3].

١١- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفرقان:٢٧، ٢٨]، فالظالم في تفسير الشيعة- ونعوذ باللّه من ذلك- هو أبو بكر (وفلانًا) وهو عمر[4].

وبصرف النظر عن هذا الإلحاد فإن الظالم هو عقبة بن أبي معيط، (وفلانا) هو أمية بن خلف، وقيل أبيّ فقد روى أن أبي بن خلف كان يجالس النبي ويستمع إليه فزجره عقبة بن أبي معيط عن ذلك[5].

١٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الاحزاب:٧٢]، فالأمانة في تفسير الشيعة هي الولاية لآل البيت عرضت على السموات والأرض والجبال كما في خبر عن الباقر عندهم، والإنسان الذي حملها هو أبو بكر[6].

والمعنى الصحيح للآية أن الأمانة هي التكاليف الشرعية، أما الإنسان فقد قيل

---

(١) ابن كثير ج٢ ص٤٤٠ .
(٢) القمي ص٣٤٣ .
(٣) ابن كثير ج٢ ص٥٢١ .
(٤) القمي ص٤٦٦ .
(٥) الإتقان ج٤ ص١٠٤ .
(٦) مرآة الأنوار ص٥٨ .

إنه آدم[1] وفي النفس من ذلك شيء، إذ كيف يوصف بأنه كان ظلومًا جهولًا، وقد قال اللَّه تعالى فيه: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣]، ولم لا يكون المراد بالإنسان اسم جنس؟

١٣- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر: ٧]، هم في تفاسير الشيعة رسول اللَّه والأوصياء الاثنى عشر في عقيدتهم من بعده[2].

والآية صريحة في حملة العرش من الملائكة، وليس فيها إبهام، وما شأن الأئمة والعرش؟

١٤- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦- ٣٠] في تفسير الشيعة منسوبًا إلى آل البيت أن الإنسان هو أبو بكر، والقرين في قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ هو عمر، ويعبرون عنه بزفر، وأن هذه الآيات إلى قوله: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ فيهما وكانوا أحق بها وأهلها، وأما قوله: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ فهما النبي وعلي يلقيان في جنهم أبا بكر وعمر وأصحابهما ويذكرون في ذلك حديثًا موضوعًا عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة قال اللَّه لي ولعلي بن أبي طالب أدخلا الجنة من أحبكما وأدخلا النار من أبغضكما وذلك قوله: : ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾»[3].

ولا أظن أن بغض الشيعة لأبي بكر وعمر كان سيبلغ إلى هذا الحد الذي أجروا عليه كل آيات القرآن الواردة في شأن الكفار والمشركين، ألا لعنة اللَّه على الظالمين.

١٥- قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: ١- ٤] في تفسير الشيعة الإنسان هو علي[4]، ولا يخفى أن المراد به الجنس وليس في الآية إبهام، وأي آية في خلق علي وتعليمه البيان دون

---

(١) الإتقان ج٤ ص١٠٦ .

(٢) تفسير القمي ص٥٨٣ .

(٣) تفسير البرهان ج٤ ص١٠٣٧، شبر ص٤٨٥ وانظر الموضوعات لابن الجوزي ج١ ص٤٠٠ .

(٤) القمي ص٦٥٨ .

سائر الناس؟!!

١٦- قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن: ١٩- ٢٢] في تفسير الشيعة «مرج البحرين علي وفاطمة والبرزخ رسول الله واللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين»[١]

مع أن الآية واضحة ولا إبهام فيها والألفاظ فيها على ظاهرها، ولا معنى لها سوى ذلك وتفسير الشيعة هو الذي أبهمها.

١٧- قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم: ٤] وصالح المؤمنين في تفسير الشيعة هو علي بن أبي طالب[٢] مع أنه أبو بكر وعمر والقصة والروايات تشهد لذلك وما ورد من أنه علي فقد قال عنه ابن كثير سنده ضعيف وهو منكر جدًّا[٣].

وبعد، فهذا هو ما في تفسير الشيعة من هذه المسائل، ويتلخص في الآتي:

١- حرص الشيعة على تصحيح مدعاهم في التفسير، وذلك بنسبة ما أخذوه إلى الأئمة من آل البيت الذين هم أدرى بما في البيت، فهم أهل التأويل والتنزيل، الذين كان ينزل في بيتهم جبريل، فلا يجوز أخذ التفسير إلا عنهم، لأنهم خزان علم الله وأمناء وحيه، فهم وحدهم يعلمونه كله، أما غيرهم فهم قاصرون عن أدراك محكمة فكيف بمتشابهه، وعليه فلا يجوز الخوض في التفسر بالرأي، لم يشذ عن ذلك منهم إلا القليل، وليت ما أسندوه إلى الأئمة في ذلك كان معقولا بل قد رأينا أن طابعه العام هدم لمعاني القرآن وشرائع الإسلام.

٢- لقد برهنت الأخبار التي فسروا بها القرآن على أنها إن صحت نسبتها إلى الأئمة فإنه لا علم عند الأئمة ولا يعلمون من معاني القرآن شيئا فضلًا عن اختصاصهم بمعرفة تفسيره.

---

(١) القمي ص٦٦٠ .
(٢) مجمع البيان للطبرسي ج٢٨ ص١٢٣ وشبر ص٥٢٣ .
(٣) ابن كثير ج٤ ص٣٨٩ .

٣- دعوى اختصاص الأئمة بعلم القرآن مناقضة صريحة لنصوص القرآن وما صح عن الأئمة أنفسهم ﷺ، ولذا نجد بعضهم قد تحرر من هذا القيد، فأعمل الرأي في التفسير.

٤- أدارت الشيعة القرآن في فلك الولاية بحمل آيات المدح على الأئمة وشيعتهم، وآيات القدح على مخالفيهم، مع أن الوارد في شأن آل البيت عامة لا يتجاوز ثلاث آيات، وليس في واحدة منها، ما يخدم الشيعة في مدعاهم في قليل ولا كثير.

٥- يقوم تفسير الشيعة على هدم معاني الآيات المفهومة منه بحسب اللغة، ويبدو القرآن لهم مفكك السياق مشتت الآيات، غير مترابط ولا متناسق، بخلاف بعض المعتدلين منهم.

٦- طعنهم على القراء السبعة وعلى قراءاتهم والطعن على نزول القرآن على سبعة أحرف والخلط بين القراءات وبين نزوله على سبعة أحرف، وتجويزهم القراءة بكل وارد وإن لم يصح سنده مع أن الوارد عندهم على نقيض ذلك كله، وأربعة من السبعة أخذوا قراءاتهم عن آل البيت.

٧- كثرة الإسرائيليات مع نسبتها لآل البيت أعطاها حصانة من النقد إلا ما سجل عن الطبرسي في مواضع، واعتماد تفسيرهم على الموضوعات حيث يجدون فيها بغيتهم، ويغالط بعضهم فيدعى أنها موثقة عند أهل السنة، مع تدليسهم في أسماء الرواة قصد للتضليل كأن تفسيرهم لا يقوم إلا على هذه الأباطيل.

٨- مغالطة أسباب النزول عندهم للحقائق التاريخية الثابتة، ومعارضتها الصريحة لظاهر القرآن وما صح من أسباب النزول، فضلًا عما تحمله من طعن صريح وكفر قبيح للصحابة.

٩- كانت مبهمات القرآن مجالًا رحبًا للشيعة حاولوا من خلاله دس ما يمكن دسه من عقائدهم اعتمادًا على ما في بعض الألفاظ من عموم أو إبهام، لم يكن هناك ضرورة لتعيينه أو بيانه.

١٠- أساء الشيعة بتفسيرهم هذا إلى القرآن والإسلام وإلى الأئمة من آل البيت ﷺ ولو أنهم كفوا أنفسهم عن تسويد هذه الصفحات لأحسنوا إلى أنفسهم وإلى القرآن وإلى آل البيت الكرام !

★ ★ ★

الفصل الثاني: التفسير الباطني عند الشيعة وأثره في تلاعبهم بنصوص القرآن

يؤمن الشيعة الاثنى عشرية بأن للقرآن ظهرا وبطنا، بل يؤمنون بأن لكل آية سبعة أبطن وبعضهم يبالغ فيزعم أن لها سبعة وسبعين بطنا، ويجمعون على أن الإيمان بهذا الباطن واجب كالإيمان بالظاهر على حد سواء، وكما أن من كفر بالظاهر فقد خرج عن الإسلام فكذلك من كفر بالباطن، كما يؤمنون بأن الظاهر وارد في التوحيد والنبوة، أما الباطن فكله وارد في الولاية والإمامة، وهم بذلك قد التقوا بالباطنية من الإسماعيلية في هذه الدعوى تمامًا بل سنرى أن الباطن الذي يؤولون به الآيات هو بعينه الباطن الذي تقول به ملاحدة الباطنية، غير أن الفارق بين هؤلاء وهؤلاء هو أن الاثنى عشرية يوجبون الإيمان بالظاهر والباطن معا بحيث لا يكفي الإيمان بأحدهما عن الآخر، أما الباطنية فإنهم قالوا: المطلوب هو الإيمان بالباطن فقط، أما الظاهر فغير مراد ولا مطلوب.

وحرصًا من الشيعة على تسليم المسلمين لهم بما يدعون في ذلك زعموا أن جميع معاني القرآن لا سيما المعنى الباطني اختص بها النبي والأئمة من بعده، أما من عداهم فلا شبهة في قصور علمهم بالظاهر فضلًا عن الباطن وعليه فلا يجوز الأخذ بهذا الباطن إلا من طريق الأئمة، كما لا يجوز الرد على الأئمة في شيء من ذلك، لأن الرد عليهم كالرد على الرسول، والرد على الرسول رد على اللَّه ﷻ، وبهذه المقدمات ظن الشيعة أن ادعاءهم هذا قد حاز القبول ولكن من اطلع على شيء من هذا التفسير الباطني لا يتردد في الحكم ببطلانه لأنه هدم صريح لمعاني القرآن ولشرائع الإسلام والأمة لا تعرف للقرآن معان غير ما يفهم منه صراحة أو بخبر صحيح عمن أنزل عليه القرآن ليبين للناس ما نزل إليهم.

ولأهمية هذا الموضوع، ولتعويل الشيعة عليه كثيرا في تفاسيرهم، قد يتطلب

الأمر الإسهاب في ذكر أقوالهم، ونماذج من تفاسيرهم لبيان أهميتها عند الشيعة وغرضهم منها وأثرها على تفسير كتاب اللّه، وتلاعبهم بمعانيه، وبيان محاولتهم الفاشلة في تركيز عقيدتهم من خلال التفسير وسأبدأ بنقل آراء مفسريهم تعبيرًا عن هذه العقيدة ثم بنماذج من هذا النوع من التفسير ثم أردفه ببيان رأيي في هذا التفسير ومدى خطورته على معاني القرآن فأقول:

١- يقول الكازراني في مقدمة تفسيره:

«إن من أبين الأشياء وأظهرها، وأوضح الأمور وأشهرها أن لكل آية من كتاب اللّه المجيد، وكل فقرة من كتاب اللّه الحميد، ظهرًا وبطنًا وتفسيرًا وتأويلًا، بل لكل واحدة منها كما يظهر من الأخبار المستفيضة- سبعة بُطون وسبعون بطنا وقد دلت أحاديث متكاثرة، كادت أن تكون متواترة، على أن بطونها وتأويلها، بل كثيرًا من تنزيلها وتفسيرها، في فضل شأن السادة الأطهار، وإظهار جلالة حال القادة الأخيار أعني النبي المختار، وآله الأئمة الأبرار، عليهم صلوات اللّه الملك الغفار، بل الحق المتين والصدق المبين كما لا يخفى على البصير الخبير بأسرار كلام العليم القدير، المرتوي من عيون علوم أمناء الحكيم الكبير، أن أكثر آيات الفضل والإنعام والمدح والإكرام بل كلها فيهم وفي أوليائهم نزلت وأن جل فقرات التوبيخ والتشنيع والتهديد بل جملتها في مخالفيهم وفي أعدائهم وردت، بل التحقيق الحقيق أن تمام القرآن إنما أنزل للإرشاد إليهم والإعلام بهم وبيان العلوم والأحكام لهم والأمر بإطاعتهم وترك مخالفتهم وأن اللّه جعل جملة بطن القرآن في دعوة الإمامة والولاية، كما جعل جل ظهره في دعوة التوحيد والنبوة والرسالة[1] ثم ذكر أن الهدف من تأليف تفسيره هو أنه جعله يدور على ما يتعلق بالباطن لخلو كثير من التفاسير عنه وجعل مقدمة تفسيره تقوم على ثلاث مقدمات، الأولى منها في بيان ما يوضح حقيقة ورود بطن القرآن فيما يتعلق بدعوة الولاية والإمامة، وأن الأصل في تنزيل آيات القرآن إنما هو الإرشاد إلى الولاية إعلامًا بشأن الأئمة وعقد المقدمة الأولى على فصول:

---

(١) انظر: مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار للكازراني ص٢ .

الفصل الأول: «في بيان نبذ مما يدل على أن للقرآن بطونًا ولآياته تأويلات وأن مفاد فقرات القرآن غير مقصور على أهل زمان واحد بل لكل منها تأويل يجري على أهل كل زمان، وأورد من الآثار نذكر منها:

ما رواه العياشي عن جابر الجعفي[1] قال: سألت أبا جعفر الباقر عن شيء من تفسير القرآن فأجابني، ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت جعلت فداك كيف أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟ فقال: لي يا جابر إن للقرآن بطنًا وللبطن بطنًا وظهرًا يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن إن الآية ليكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه، ثم عقب الكازراني بقوله دلالة مبدأ هذا الخبر على وجود تأويل له باطن وظاهر وعلى تعدد تأويل آية واحدة وعلى عدم تنافي تأويل أول آية في شيء وآخرها في آخر، بل عدم تنافى التفسير بالظاهر في أولها والباطن في آخرها أو بالعكس فإذا سمعت شيئًا من ذلك فلا تنكره لأنهم (ع) أعلم بالتنزيل والتأويل.

ثم أورد خبرًا آخر عن أبي عبد اللّه الصادق قال: «بينما أمير المؤمنين (ع) مارًّا بفناء الكعبة إذ نظر إلى رجل يصلي فاستحسن صلاته فقال: يا هذا الرجل إن اللّه ما بعث نبيه بأمر من الأمور إلا وله متشابه وتأويل وتنزيل فمن لم يعرف تأويل صلاته فصلاته خداج». وفسر الكازراني هذا الخبر بقوله: والمعنى أن كل ما جاء به النبي وأمر به في الظاهر فله شبيه ونظير مأمور به في الباطن ويلزم الإيمان بهما جميعًا، فمن لم يعرف شبيه الصلاة وباطنها الذي هو الإمام وإطاعته فصلاته الظاهرية ناقصة[2].

ولعل القارئ يلمس مدى التطابق بين مذهب الباطنية ومذهب الاثنى عشرية في أن المراد بالصلاة هو الإمام وطاعته كما أشرت إلى ذلك في التمهيد فإن الباطنية يفسرون الصلاة بذلك أي: بموالاة الإمام[3]. وسيتضح أكثر مدى التطابق فيما ذكره الكازراني فيما يأتي.

---

(١) تقدمت ترجمته في كيار الشيعة الذين صحبوا الأئمة فارجع إليها في ص٥٠ من الرسالة.

(٢) انظر: مرآة الأنوار ص٣، ص٤.

(٣) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي ج٢ ص٢٤١ في تفسير الباطنية.

قال: «الفصل الثاني: في أن بطن القرآن وتأويله إنما هو في الأئمة وولايتهم وأتباعهم وما يتعلق بذلك، وأورد فيه أخبارًا كثيرة نذكر منها:

ما نقله عن الكافي وتفسير العياشي عن محمد بن ميمون عن الكاظم (ع) في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣] قال: القرآن له ظهر وبطن فجميع ما حرم اللّه في الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الجور وجميع ما أحل اللّه في الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق وما رواه بسنده عن زريح المحاربي قال: سألت أبا عبد اللّه يعني الصادق عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ﴾ [الحج:٢٩] فقال المراد لقاء الإمام، فأتاه عبد اللّه بن سنان فسأله عنهما فقال: أخذ الشارب وقص الأظافر وما أشبه ذلك، ثم سأله عن كلام زريح فيها عنها فقال: صدق زريح وصدقت: إن للقرآن ظاهرًا وباطنًا ومن يحتمل ما يحتمل زريح؟ ثم عقب الكازراني بقوله: الكلام من الإمام صريح في أنهم (ع) كانوا يكتمون أمثال هذه التأويلات عن أكثر الناس حتى عن ابن سنان الذي كان من فضلاء أصحابه[1].

ولعل القارئ يلحظ مدى التوافق لمذهب الباطنية فإنهم يجعلون المحرمات أسماء رجال أمروا باجتنابهم والطاعات أسماء رجال أمروا بموالاتهم، ولقد بدا القرآن في نظر الشيعة من الاثنى عشرية بهذه النظرة على أنه عبارة عن رموز وألغاز لهذه المعاني التي يذكرونها، ونحن نجل الأئمة من آل البيت عن هذه الأقوال التي يذكرها الشيعة عنهم.

ثم ذكر الكازراني الفصل الثالث «في نماذج مما يدل على وجوه تناسب الظواهر مع الباطن ومن وجوه خمسة وأورد فيها من الأخبار عن الأئمة منها: عن نصر بن قابوس قال سألت أبا عبد اللّه عن قول اللّه ﷻ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة:٣٠- ٣٣] قال: يا نصر: إنه ليس حيث يذهب الناس إنما هو العالم وما يخرج منه، ثم فسر الكازراني قول الإمام بقوله: لعل المعنى ليس حيث يذهب الناس من انحصار جنة المؤمنين في الجنة

---

(١) انظر: مرآة الأنوار ص٥ .

الصورية الأخروية، بل لهم في الدنيا أيضًا ببركة أئمتهم (ع) جنات روحانية من ظل حمايتهم ولطفهم المحدود في الدنيا والآخرة وماء مسكوب من علومهم الممتعة التي بها تحيل النفوس والأرواح، وفواكه كثيرة من أنواع معارفهم التي لا تنقطع عن شيعتهم وفرش مرفوعة مما يتلذذون به من حكمهم وآدابهم، بل لا يتلذذ المقربون في الآخرة في الجنان الصورية إلا بتلك الملاذ المعنوية التي كانوا يتنعمون بها في الدنيا كما تشهد به الأخبار، وكذا كل ما ورد ظاهره في العذاب والمسخ والهلاك والموت البدني ونحو ذلك، فباطنه في الهلاك المعنوي بضلالاتهم وحرمانهم من العلم، وموت قلوبهم ومسخها وعميها عن إدارك الحق،وكذا كل ما كان في القرآن مما ظاهره في النهي عن القبائح الصورية وتحريم الخبائث الظاهرية كالزنا والسرقة والخمر والميتة والدم ونحوها، فبطنه في النهي عن القبائح الباطنة التي هي معاداة الأئمة (ع) والزجر عن الخبائث المعنوية التي هي أعداء الأئمة ومنكروا ولايتهم، وبالجملة فالمدار على تشبيه الأمور المعنوية بالصورية، ولاخفاء في كون النبي والأئمة (ع) وسائط معرفة العبادات والمأمورات وأنهم الأصل في قبولها، فلا بعد إن أريدوا بها في بطن القرآن وكذا لا بعد في كون أعدائهم من حيث مضادتهم لهم من المراد بالخبائث والمنهيات[1]، ولا شك أن ما ذكره الكازراني هو باطن الباطنية من الملاحدة بعينه وكتاب اللّه أنزه من هذه المهاترات وما ذكره من الجنان المعنوية والنعيم الروحى هو وهم وسراب وشطحات أوهام ثم علل الكازراني ما ورد من تأويل معرفة اللّه وعبادته، ومخالفته وأسفه وظلمه ورضاه وسخطه ونحوها بمعرفة الإمام وإطاعته ومخالفته وأسفه وظلمه ورضاه وسخطه، وكذا تأويل الإمام بيد اللّه وعينه وجنبه وقلبه وكل ما نسبه اللّه إلى نفسه يؤول بالإمام بل لقد ورد عندهم من أخبار بتأويل روح اللّه ونفسه ولفظ الجلالة والإله والرب بالإمام، قال الكازراني: «جرى من عادة الأعاظم والملوك والأكابر أن ينسبوا ما وقع من خدمهم بأمرهم إلى أنفسهم تجوزًا وكذا قد ينسب مجازًا ما يصيب خدمهم ومقربيهم من الإطاعة والخير والشر إلى أنفسهم، إظهار الجلالة حال أولئك الخدم عندهم، وإشعارًا بأنهم في لزوم

(١) انظر: مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ص٨ .

المراعاة والإطاعة ودفع الضر عنهم وجلب النفع إليهم بمنزلة مخاديمهم وفي حكمهم بحيث إن كل ما يصل إليهم فهو كالواصل إلى المخاديم، وأورد الكازراني من الأخبار عندهم دلالة على ذلك عن الصادق قال: «إن اللّه تعالى لا يأسف كأسفنا، ولكن خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه، لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه» وفي رواية أخرى: «ولكن اللّه خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته، ثم أنزل بذلك قرآنا على نبيه. . .» الخبر ثم قال الكازراني: وهكذا كثيرًا ما يطلق تجوزًا على مقربي الرجل وأعوانه أسامي جوارحه وأعضائه وسائر ما يختص به في النفع، كما يقال للوزير أنه يد السلطان وسيفه ويمينه، بل ربما يقال إنه السلطان تجوزًا»[1]

وهذه دعوى من الكازراني ينقضها الدليل فضلًا عما فيها من قياس الرب على المربوب والخالق على المخلوق، فإن ذلك لا يجوز لنبي مرسل فضلًا عن ملك مقرب فضلًا عن إمام لم يقم دليل واحد على إمامته، وأي ضرورة تدعو أن يطلق لفظ الجلالة أو الرب والإله على الإمام؟

وأي مجاز هذا في اللغة يبيح ذلك؟

ثم ذكر الكازراني: «الفصل الرابع: في بيان على أن الواجب الإيمان بظاهر القرآن وباطنه وتنزيله وتأويله كما أن الواجب أن يؤمن بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه تفصيلًا وإجمالًا إن لم يعلم التفصيل من طريق أهل البيت الذين هم أدرى بما في البيت، وأن من أنكر الظاهر فهو كافر وإن أقر بالباطن، كما هو مذهب الباطنية من ملاحدة الخطابية والإسماعيلية، وكذا بالعكس أي: إنكار الباطن وإن أقر بالظاهر وهو كفر، وعلى كل مؤمن أن لا يجترئ بإنكار ما نقل عن الأئمة تفسيرًا أو تأويلًا وإن لم يفهم معناه ولم يدرك مغزاه»[2]

ولا أدري ما دام قد حكم بالكفر والإلحاد على الباطنية، فلماذا يقول هو بهذا

---

(١) (٢) انظر: مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ص٩ .

الباطن الذي هو عين ما ألحدت به الباطنية؟ أليست هذه مغالطة وضلال واضح؟.

ثم ساق الكازراني من أخبارهم في ذلك: «ما روي عن الباقر (ع) قال: «إن اللّه قد أرسل رسله بالكتاب وبتأويله فمن كذب أو كذب بما أرسل به رسله من تأويل الكتاب فهو مشرك» وما روي عن الهيتم التميمي عن أبي عبد اللّه قال: «يا هيتم: إن قوما آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم ذلك شيئًا وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئًا لا إيمان بظاهر إلا بباطن، ولا بباطن إلا بظاهر[1].

وخبر الباقر لا دلالة للكازراني فيه، وهو مسلم إذا صح عن الرسول شيئًا من ذلك، وأما خبر أبي عبد اللّه فغير مسلم لأن الباطنية إنما كفرت لقولهم بالباطن، آمنوا بالظاهر أم لم يؤمنوا، ولا يخفى أن الباطن الذي تقول به الاثنى عشرية هو بعينه باطن الملاحدة من الإسماعيلية، الذين حكم بكفرهم الكازراني آنفًا ثم قال الكازراني: «إنه من باب لطف اللّه أن جعل باطن القرآن فيما يتعلق بالولاية والإمامة وأن ذلك أبلغ في الإعجاز وأجمل للإيجاز وقد جاءت الإشارة في الظاهر دلالة على هذه البطون حسب أخبار الأئمة فمن ذلك ما رواه الطبرسي في الاحتجاج عن علي (ع) قال في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [الإنشقاق:١٩] «أي: لتسلكن سبيل من كان قبلكم من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء» وما رواه الكليني في الصحيح عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر (ع) في الآية قال: «يا زرارة أي لتركبن هذه الأمة بعد نبيها طبقًا عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان) وفسر ذلك الكازراني بقوله أي: كانت ضلالتهم بعد نبيهم مطابقة لما صدر من الأمم السابقة في ترك الخليفة واتباع العجل السامري، وأشباه ذلك، ويحتمل أن يكون المعنى تطابق أحوال خلفاء الجور في الشدة والفساد[2] ونحن إذا سلمنا صحة هذه الأخبار فإنها لا تنطبق إلا على الشيعة فإنهم هم الذين غدروا بالأئمة من آل البيت، فغدروا بعلي

(١) انظر: مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ص٩ .
(٢) انظر: مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار للكازراني ص٢٣ .

ﷺ، وبابنه الحسن حتى ألجئوه إلى التنازل عن الخلافة لمعاوية وغدروا بالحسين حيث كاتبوه على البيعة ثم سرعان ما نقضوا البيعة وانضموا لجيش ابن زياد فقتلوا الحسين، ثم فعلوا مثلهما مع زيد بن علي وابنه يحيى وغيرهم، أما فلان وفلان وفلان، وهم أبو بكر، وعمر وعثمان الذين عبر عنهم الكازراني بقوله العجل والسامري، فلم يغدر بهم أحد فعلى نفسها جنت براقش.

وأبو جعفر أتقى للّه من أن يذكر الصديق والفاروق بسوء، كيف وهو القائل فيهما: ما أدركت أحدًا من أهل بيتي إلا ويتولاهما، وقد كان أيضًا زوجًا لبنت الصديق ﷺ»[1] ثم ذكر الكازراني: «أن أغلب المعاني الباطنية الواردة في الأئمة وشيعتهم، أو في أعدائهم ومخالفيهم عبَّر الله عنهما بطريق المجاز أو الكناية أو بطريق العموم كما في التعبير بالكافرين وإرادة من كفر بالولاية، والمنافقين وإرادة من نافق فيهما وهكذا، أو بالتعبير عن وصف صادق على الماضين وإرادة من صدق عليهم الوصف من هذه الأمة بالنظر إلى أمر الولاية والإمامة وأورد من الشواهد ما جاء في تفسير العياشي عن عبد اللّه بن سنان عن أبي عبد اللّه في قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف:١٥٩] قال: «قوم موسى هم أهل الإسلام) وفسره الكازراني بقوله: الظاهر أن مراده أن نظيره جار فيهم، وإنما ذكر في الآية تمثيلًا لحال هذه الأمة، ولا ينافي هذا ما هو الظاهر من وجود جماعة من قوم موسى هادين إلى الحق كما يظهر من بعض الأخبار»[2].

وأقول: ولماذا يحمل الكازراني كلام أبي عبد اللّه على أن الشيعة هم الذين يهدون بالحق وبه يعدلون دون سواهم؟ أليس أهل السنة أولي بذلك لأنهم هم الذين لزموا ما كان عليه الرسول وأصحابه والأئمة من آل بيته، وقد جعل اللّه علامة صدق إيمان التابعين الاستغفار للمهاجرين والأنصار في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠] أما الشيعة فهم

---

(١) انظر: ترجمة الباقر ص٦٢.

(٢) انظر: مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار للكازراني ص٣٧.

أبعد عن ذلك حيث يتبرءون منهم ويطعنون فيهم.

ثم قال الكازراني: «إن اللّه قد يريد بحسب الباطن غير ما يفهم من الظاهر ففي الكافي عن أبي عبد اللّه قال: «نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة» وفيه عنه أيضًا: «ما خاطب اللّه به فهو يعني به من قد مضى ذكره في القرآن مثل قوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء:٧٤] عنى بذلك غيره» قال الكازراني لعل المراد من مضى ذكره في القرآن من الذين اسقط أسماءهم الملحدون، وفي كنز الفوائد عن الأعمش عن عطاء قال سئل رسول اللّه ﷺ عن قوله: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ [ق: ٢٤] فقال: «أنا وعلى نلقى في جهنم كل من عادنا»[1].

وأقول: لا يصح حمل كتاب اللّه على هذه الأمثال والموضوعات، وما هي الأسماء التي أسقطها الملحدون بزعمه من القرآن؟ إن الملحد هو من يزعم أن في القرآن سقطًا.

ثم قال الكازراني: «إنه قد يرجع الضمير إلى غير مذكور أو من لم يسبق له ذكر بالمرة، وذلك بحسب التأويل الباطني يعتبر معهودًا تأويلًا ولا غضاضة في ذلك، ففي الكافي عن المفضل قال سألت أبا عبد اللّه عن قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس:١٥] قال: يعني أو بدل عليًّا»[2]

وأقول: أبو عبد اللّه أعقل من أن يرجع الضمير إلى غير مذكور ومرجع الضمير هنا مذكور قبله مباشرة، فهو أعلم من أن يقع في هذه المخالفة التي لا يقع فيها أجهل جاهل.

ثم قال الكازراني: «وورد في كنز الفوائد من تأويل أهل البيت قالوا: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: شكر النعمة التي رزقكم وما مَنَّ عليكم بمحمد وآله: ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ بوصيته: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ إلى وصية علي (ع)،

---

(١) انظر: مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار للكازراني ص٣٧.

(٢) انظر: مرآة الأنوار للكازراني ص٣٨.

يبشر وليه بالجنة: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ يعني أقرب إلى أمير المؤمنين علي منكم: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ أي: لا تعرفون فضيلته، [الواقعة: ٨٢- ٨٥][1].

وأقول: سبحان واهب العقول. حيث جعلوا عليًّا بدل الميت، والنظر إلى وصيته بدل النظر إلى الميت، وجعلوا الضمير الراجع إلى المذكور في الكلام راجعًا إلى ما لم يجر له ذكر في القرآن كله فضلًا عن الآيات.

ولا يخفى أن السياق في المحتضر الذي بلغت روحه الحلقوم والناس من حوله ينظرون، فلا يملكون له حيلة واللَّه أقرب إليه منهم ولكن الناس لا يبصرون ذلك.

ثم قال الكازراني: «وفي تفسير القمي عن أبي جعفر في قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝٣٦﴾ [المدثر: ٣٥، ٣٦] قال: «يعني فاطمة وكذا الضمائر التي في السورة»[2].

وأقول: أبو جعفر أعقل من أن يجعل الضمير الراجع إلى جهنم راجعًا إلى فاطمة عليها السلام.

ثم قال الكازراني: «إن صيغة الجمع المسندة إلى اللَّه مراد بها إدخال النبي والأئمة فيها، بل إنهم المقصودون وحدهم في كثير منهما مثل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]، ومثل: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦] ففي الكافي عن أبي عبد اللَّه قال: «إن اللَّه لا يأسف كأسفنا ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون. . .» الخبر ثم ذكر أن هذا ليس بمستبعد ففي الكافي عن زرارة عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ قال: إن اللَّه أعظم وأعز وأجل من أن يظلم، ولكن خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته حيث يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥]، يعني الأئمة منا[3].

وأقول: هذه مهاترات فوق أنها مغالطة، فآية الأسف تتحدث عن فرعون وقومه وأين ذلك من الأئمة، ثم ما شأن الأئمة بالحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين؟

---

(١) (٢) انظر: مرآة الأنوار للكازراني ص٣٨.

(٣) انظر: مرآة الأنوار للكازراني ص٣٩.

وهل هناك من حد فاصل بين الإمام والرب في اختصاص كل، أم لا فرق؟

ثم قال الكازراني: «إنه قد يطلق لفظ الجلالة والإله والرب ويراد به بحسب الباطن الإمام، بل كذلك حال بعض الضمائر الراجعة بحسب الظاهر إليه تعالى، يراد بها الإمام بحسب الباطن وذلك من قبيل المجاز العقلي والتجوز في الإسناد، بل من قبيل المجاز اللغوي أو التشبيه حسب روايات الأئمة، فعن علي (ع) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤] وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] فإنما أراد بذلك استيلاء أمنائه بالقدرة التي ركبها فيهم على جميع خلقه وأن فعلهم فعله... الخبر وما رواه العياشي في تفسيره عن أبي بصير[1] قال سمعت أبا عبد الله يقول في قوله الله تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل:٥١] يعني بذلك: لا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد، وعن أبي الجارود عن أبي عبد الله قال في قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:٦١] قال: إمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد؟، وفي كنز الفوائد عن أمير المؤمنين في قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الكهف:٨٧] قال: هو يرد إلى أمير المؤمنين (ع) فيعذبه عذابًا نكرًا، ثم يقول: يا ليتني كنت ترابًا أي: من شيعة أبي تراب»[2].

وأقول: لقد برهن الشيعة بذلك على أنهم أخذوا دينهم من بولس، أما الأئمة من آل البيت فعقيدتنا فيهم أنهم أعقل وأدين لله ﷻ من أن يتفوهوا بهذا الكفر الصريح، حيث لا محمل لهذا الكلام على حقيقة ولا على مجاز، وماذا بقي لله ﷻ من اسم أو صفة أو فعل يختص به تعالى؟ وهل بقي لملاحدة الباطنية من معنى لم يقل بمثله الاثنى عشرية؟ وماذا بقي من جلال لله ﷻ يختص به لم يشاركه فيه ذلك الإمام الموهوم.

٢- التفسير المنسوب إلى الحسن العسكري الإمام الحادي عشر في عقيدة الاثنى

---

(١) انظر: ترجمته ص٥٢ من الرسالة.

(٢) انظر: مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ص٤١.

عشرية وهذا التفسير قد نهج نفس المنهج بل هو الأصل فيه باعتباره أقدم تفسير عندهم ومنسوب إلى إمام من الأئمة المعصومين المفوضين في تفسير القرآن عند الشيعة وهو تفسير كله خرافات يكفي أن أذكر بعض النماذج لما جاء فيه لأنه كله تفسير باطني أغرق في الضلال عما ذكره الكازراني:

فمثلًا عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨] قال العالم موسى بن جعفر إن رسول اللَّه لما أوقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في يوم الغدير موقفه المشهور المعروف ثم قال: يا عباد اللَّه انسبوني، فقالوا أنت محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ثم قال: ألست أولي بكم من أنفسكم؟ قالوا بلى يا رسول اللَّه، فنظر إلى السماء وقال اللَّهم اشهد بقول هؤلاء- ثلاث مرات- ثم قال: ألا فمن كنت مولاه وأولي به فهذا على مولاه وأولى، اللَّهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، ثم قال: قم يا أبا بكر فبايع له بإمرة المؤمنين، فقام وبايع له، ثم قال: قم يا عمر فبايع له بإمرة المؤمنين، فقام وبايع له، ثم قال بعد ذلك لتمام التسعة رؤساء المهاجرين والأنصار فبايعوا كلهم، فقام من بين جماعتهم عمر بن الخطاب فقال: بخ بخ يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، ثم تفرقوا عند ذلك وقد وكدت عليهم العهود والمواثيق، ثم إن قوما من متمرديهم وجبابرتهم تواطئوا بينهم لئن كانت بمحمد كائنة ليدفعن هذا الأمر من علي ولا يتركونه، فعرف اللَّه ذلك من قبلهم وكانوا يأتون رسول اللَّه ويقولون: لقد أقمت علينا أحب خلق اللَّه إلى اللَّه وإليك وإلينا فكفيتنا مؤنة الظلمة والمتجبرين في سياستنا، فعلم اللَّه من قلوبهم خلاف ذلك فاخبر اللَّه محمدا عنهم فقال: يا محمد ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ الذي أمرك بنصب على إمامًا وسايسًا لأمتك ومدبرًا: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ بذلك، ولكنهم يتواطئون على إهلاكك وإهلاكه، ويوطنون أنفسهم على التمرد على علي إن كانت بك كائنة[1].

(١) انظر: تفسير الحسن العسكري ص٤١.

وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة:١٣] يقول «قال موسى بن جعفر: إذا قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة، قال لهم خيار المؤمنين، سلمان، والمقداد، وأبو ذر، وعمار، آمنوا برسول اللّه وعلي الذي أوقفه موقفه وأقامه مقامه وأناط مصالح الدين والدنيا كلها به، وآمنوا بهذا النبي وسلموا لهذا الإمام في ظاهر الأمر وباطنه، كما آمن المؤمنين سلمان والمقداد وأبو ذر وعمار ﴿قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ يعنون سلمان وأصحابه ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ حيث لم ينظروا في أمر محمد فيعرفوا نبوته ويعرفوا صحة ما ناطه بعلي من أمر الدين والدنيا ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ أن اللّه يطلع نبيه على أسرارهم فيخشاهم ويلعنهم ويسقطهم[1].

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩] يقول: «أى من صفة محمد وصفة علي وحليته، والذي أنزله من البينات هو ما أظهره من الآيات على فضلهم، كالغمامة تظل الرسول في أسفاره والمياه الأجاجة التي كانت تعذب بريقه، وكالآيات التي ظهرت على علي من تسليم الجبال والصخور والأشجار قائلة يا ولي اللّه ويا خليفة رسول اللّه، وكالسموم التي تناولها من تسمى باسمه ولم يصبه بلاؤها.. إلخ[2].

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥] يقول: «شجرة علم محمد وآل محمد الذين آثرهم اللّه به دون سائر خلقه، فإنها لهم خاصة ولا يتناول منها بأمر اللّه إلا هم، فكان النبي يتناول منها وعلي وفاطمة والحسن والحسين بعد إطعامهم المسكين واليتيم والأسير حتى لم يحسوا بعد بجوع ولا عطش ولا تعب ولا نصب... إلخ[3].

ولا يخفى أن هذه خرافات يتنزه كتاب اللّه عنها، ولو صحت نسبتها إلى الحسن العسكري لكانت أكبر دليل على أنه لا علم له، لأنها لا تصدر عن مسلم فضلًا عن

---

(١) نفس المرجع ص٤٤ .

(٢) نفس المرجع ص٢٣٦ .

(٣) انظر: تفسير الحسن العسكري ص٨٩ .

رجل من آل البيت تعتقد الشيعة إمامته وعصمته، وتدعي أن عنده علم الكتاب كله، وإن لم تصح نسبتها إليه فتلك أكبر شهادة على أن الشيعة أكذب خلق اللّه على اللّه ورسوله والأئمة من آل البيت ولا مناص من واحدة من الاثنين.

ولحسن ظني بالحسن العسكري، ولما ثبت أن الرجل لم يؤثر عنه علم ولا اشتغل به قط فإني أرجح الثانية، خاصة وقد صرح بعض مفسريهم بأنه تفسير مكذوب على الحسن العسكري[1].

٣- تفسير علي بن إبراهيم القمي:

وهذا التفسير رائد في المعاني الباطنية، فهو كسابقيه لم يعن بمعنى غير الباطن إطلاقًا، فلا التوحيد له مجال فيه، ولا النبوة، ولا شيء من حلال وحرام، ولا هداية ولا أحكام، وإنما القرآن كله عنده نوعان: إما مدح فهو في الأئمة وشيعتهم، وإما قدح في مخالفيهم وأعدائهم- بزعمهم- ولا مزيد، هذا مع حمل ألفاظ منه على أحد النوعين ولا يمكن أن يكون لها علاقة بوجه بمدح ولا ذم وإليك أمثلة منه: قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ الكتاب على: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ لا شك في إمامته: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ بيان لشيعتنا[2] [البقرة:١، ٢] وعلى هذا النمط كل القرآن، وإنما أذكر مجرد أمثلة فقط فعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ [البقرة:٢٦]، يقول: «حدثني أبي بسنده عن أبي عبد اللّه قال: إن هذا المثل ضربه اللّه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فالبعوضة أمير المؤمنين وما فوقه رسول اللّه، والدليل على ذلك قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ﴾ إلى قوله: ﴿كَثِيرٗا﴾ فدل اللّه عليهم فقال: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ في علي: ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾. يعني من صلة أمير المؤمنين والأئمة (ع)»[3].

---

(١) انظر: آلاء الرحمن للبلاغي ج١ ص٤٩.

(٢) انظر: تفسير القمي ص٢٧.

(٣) انظر: تفسير القمي ص٣١.

وأقول: ونحن نجل أمير المؤمنين عن أن يكون بعوضة ونجل الرسول ﷺ عن أن يكون ما فوقها.

وعند قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾ [النساء:٤٤] «قال: يعني: ضلوا في أمير المؤمنين: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ يعني: أخرجوا الناس من ولاية أمير المؤمنين وهو الصراط المستقيم[1]

ولا أدري ما علاقة أهل الكتاب بأمير المؤمنين؟ وعند قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [النساء:١١٣] قال: «الفضل رسول اللّه والرحمة أمير المؤمنين»[2] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة:١] قال: «أي التي عقدت عليكم لأمير المؤمنين»[3] وكأنه لا عقد إلا ما عقد لأمير المؤمنين مع أنه لم يعقد له شيء.

وعند قوله تعالى: ﴿۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [يونس:٥٣] قال «ويستنبئونك يا محمد أهل مكة في على أإمام هو، قل إي وربي إنه إمام،[4] وقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس:٥٨] قال: «الفضل رسول اللّه ورحمته أمير المؤمنين فبذلك فليفرح شيعتنا هو خير مما أعطي أعداؤنا من الذهب والفضة»[5]

وعند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد:٣٦] قال: «فرحوا بكتاب اللّه إذا تلي عليهم وإذا تلوه تفيض أعينهم دمعا من الفزع والحزن وهو علي بن أبي طالب وفي قراءة ابن مسعود والذي أنزلنا إليك الكتاب هو الحق فمن يؤمن به علي بن أبي طالب يؤمن به»[6] ولا أدري ما هذه الرطانة؟

---

(١) انظر: تفسير القمي ص١٢٨.
(٢) انظر: تفسير القمي ص١٣٣.
(٣) انظر: تفسير القمي ص١٤٨.
(٤) تفسير القمي ص٢٨٦.
(٥) تفسير القمي ص٢٨٧.
(٦) تفسير القمي ص٣٤٢.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم:٢٤] قال: «حدثني أبي بسنده عن أبي جعفر قال: الشجرة رسول اللّه ونسبه ثابت في بنى هاشم، وفرع الشجرة على ابن أبي طالب وغصن الشجرة فاطمة وثمرتها الأئمة من ولد علي وفاطمة وشيعتهم سلام اللّه عليهم ورقها، وإن المؤمن من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقة وإن المؤمن ليولد فتورق الشجرة ورقة، قيل له أرأيت قوله: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ قال يعني بذلك ما يفتي به الأئمة في كل حج وعمرة من الحلال والحرام، ثم ضرب اللّه مثلًا لأعداء آل محمد فقال: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾.. إلخ أي: الكافرون لا تصعد أعمالهم إلى السماء، وبنو أمية لا يذكرون اللّه في مجلس ولا مسجد ولا تصعد أعمالهم إلى السماء»[1]

وعند قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:١٢] قال: «عن أمير المؤمنين واللّه أنا الإمام المبين أبين الحق من الباطل ورثته من رسول اللّه»[2]

وعند قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص:٢٨] قال: «الذين آمنوا أمير المؤمنين وأصحابه والمفسدين في الأرض حبتر وزريق ودلام وأصحابهم[3] يقصد الخلفاء الثلاثة ﷺ

وعند قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر:٦٩] قال أبو عبد اللّه: «رب الأرض يعني إمام الأرض»[4]

ولعل القارئ يلمس أن هذا ليس تفسير كتاب اللّه ﷻ الغنى بآياته البينات عن كل بيان بل هذه المهاترات أشبه بأن تسمى كتابًا حزبيًّا شيعيًّا لأناس نظروا إلى القرآن

---

(١) تفسير القمي ص٣٤٥ .
(٢) تفسير القمي ص٥٤٨ .
(٣) تفسير القمي ص٥٦٥ .
(٤) تفسير القمي ص٥٨١ .

على أنه كذلك.

٤- وجاء في بيان السعادة: في مقامات العبادة للخراساني ما يلي: في المقدمة «الفصل الثامن في الفرق بين الظهر والبطن والتنزيل والتأويل والمحكم والمتشابه، اعلم أن القرآن كلام الحق الأول وقد ظهر أول ما ظهر مطلقًا عن جميع التعيينات الإمكانية، وبهذا الاعتبار يسمى بنفس الرحمن، ولجواز اتصافه بجميع التعيينات لكونه لا يشرط شيء ولا يشترط لا شيء يسمى بإضافته الإشرافية. . . . .

إذا عرفت ذلك فاعلم أن مصاديقه المحسوسة الطبيعية ظهوره، ومصاديقه الروحانية بطونه، وباعتبار تعدد المراتب الروحانية كلياتها وجزئياتها ذكر تعدد البطون في الأخبار إلى سبعين ألفا، ولما كان المنزل فيه جميعًا مصاديقها ورد أن لكل ظهر ظهرًا، ولما كان كل مرتبة من الروحانيات بالنسبة إلى دانيتها بطنًا ورد أن لكل بطن بطنًا»[1]

وأقول: لقد طاشت البطون هذه المرة من غير حد، فبعد أن كنا لا نصدق القول ببطن واحد فقد فوجئنا بمن يدعي سبعين ألف بطن، وإليك بعض الأمثلة من شطحاته:

عند قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣] قال: «لا يكون شهداء على الناس إلا الأئمة والرسل، أما الأمة فغير جائز أن يستشهدها اللّه وفيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل، كذا قال الباقر وقال الباقر أيضًا: وايم اللّه لقد قضي الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف ولذلك جعلهم شهداء على الناس ليشهد محمد علينا ولنشهد على شيعتنا، وليشهد شيعتنا على الناس[2] ولا أدري كيف خص الشهادة بالأئمة والرسل ونفاها عن الأمة في الخبر الأول، ثم أثبتها للشيعة في الخبر الثاني، فهل معنى ذلك أن الشيعة ليسوا من الأمة؟

---

(١) انظر: تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة ص٨ .

(٢) تفسير بيان السعادة ص٨٢ .

وعند قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء:٥٧] يقول: «القرية مكة وكل قرية لا يجد الشيعة فيها وليًّا من الإمام ومشايخهم، وكل قرية وقع بها الأئمة بين منافقي الأمة... إلخ[١]

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء:٧٤] قال «ورد في الأخبار أن هذه الآية من قبيل إياك أعني واسمعي يا جارة، وورد أنها من فرية الملحدين[٢] وبنفس التفسير ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف:٢٨][٣].

٥- وجاء في تفسير الصافي للكاشاني:

في المقدمة الرابعة في نبذ مما جاء في معاني وجوه الآيات وتأويلها روى العياشي بإسناده عن جابر الجعفي قال سألت أبا جعفر عن شيء من تفسير القرآن فأجابني ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر... وفيه فقال لي: يا جابر إن للقرآن بطنًا وللبطن بطنًا وظهرا وللظهر ظهرًا... الخبر»[٤]

وجاء في المقدمة الثامنة «في نبذ مما جاء في أقسام الآيات واشتمالها على البطون والتأويلات.. إلخ وأورد من الأخبار: «جاء عن النبي ﷺ في رواية أصحابنا أن للقرآن ظهرًا وبطنًا ولبطنه بطنا إلى سبعة أبطن... إلخ»[٥] وقد أورد عددًا كبيرًا من الأخبار مر بنا كثير منها، وقد جرى في تفسيره على هذا النمط أيضًا كالذين سبقوه وإليك بعض النماذج من ذلك.

عند قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة:٦] قال: «الصراط المستقيم هو الإمام المفترض الطاعة ومعرفته معرفة الصراط المستقيم من عرفه في

---

(١) تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة ج١ ص٢١١ .
(٢) تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة ج١ ص٤٢٩ .
(٣) تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة ج١ ص٤٣٧ .
(٤) انظر: تفسير الصافي للكاشاني ج١ ص١٧ .
(٥) نفس المرجع ص٣٨ ج١ .

الدنيا واقتدى به مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه على الصراط في الآخرة، وفي الرواية أن الصراط هو أمير المؤمنين»[1] ومن ذلك ما نقله عن الكافي عن أبي جعفر قال في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء:١٩٣، ١٩٤] قال: هي الولاية لأمير المؤمنين (ع)»[2]

وما نقله عن الكافي أيضًا: «قال دخل قتادة على أبي جعفر (ع) فقال: يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة قال هكذا يزعمون، فقال له: فأخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبا:١٨] قال قتادة: من خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يريد هذا البيت كان آمنًا حتى يرجع إلى أهله، قال: ويحك يا قتادة ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يؤم هذا البيت عارفًا بحقنا يهوانا قلبه كما قال: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم:٣٧] فمن هوانا قلبه قبلت حجته وإلا فلا، يا قتادة فإذا كان كذلك كان آمنًا من عذاب جهنم يوم القيامة»[3]

وأقول والآية في قوم سبأ وقصتهم ولا علاقة لها بالحج، ومن راجع السياق تبين له ذلك وعليه فلا يستقيم تفسير قتادة ولا أبي جعفر فيها.

وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾ [البقرة:٣٤] قال: «وذلك لما كان في صلبه من أنوار نبينا وأهل بيته المعصومين، وقد كانوا فضلوا على الملائكة باحتمالهم الأذى في جنب اللّه، فكان السجود لهم تعظيمًا وإكرامًا وللّه عبودية ولآدم طاعة، قال علي بن الحسين حدثني أبي عن أبيه عن رسول اللّه ﷺ قال: «يا عباد اللّه آدم لما رأى النور ساطعًا من صلبه إذ كان اللّه قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره رأى النور ولم يتبين الأشباح فقال: يا رب ما هذه الأنوار، فقال: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح ثم أراهم لآدم مطبوعة صورهم على العرش

---

(١) نفس المرجع ص٥٤ ج١ .

(٢) نفس المرجع ج١ ص٧ .

(٣) انظر: تفسير الصافي للكاشاني ج١ ص٦ .

كانطباع الصورة في المرآة وسماهم لآدم فقال هذا محمد وأنا الحميد المحمود شققت له اسمًا من اسمي، وهذا علي وأنا العالي شققت له اسمًا من اسمي وهذه فاطمة وأنا فاطر السموات والأرض فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي، وفاطم أوليائي عما يعيرهم ويشينهم فشققت لها اسمًا من اسمي وهذا الحسن وهذا الحسين وأنا المحسن المجمل شققت لهما أسما من اسمي، هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي، بهم آخذ وبهم أعطي . . . الخبر»[1]

٦- وجاء في تفسير البرهان للبحراني: «باب في أن القرآن له ظهر وبطن وعام وخاص ومحكم ومتشابه، والنبي وآل بيته يعلمون ذلك وهم الراسخون في العلم وأورد فيه آثارا كثيرة منها: عن جابر قال أبو عبد اللّه: إن للقرآن بطنا وللبطن ظهرا . . . إلخ وعن محمد بن يعقوب (يعني: الكليني) بسنده عن أبي عبد اللّه قال نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة»[2] هذا ولقد جرى البحراني في تفسيره على هذا النمط الباطني في التفسير كله كسابقيه، وقد مر بنا ما ذكره في علي من تسليم الشمس عليه وقولها له يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن . . . إلخ[3]

وإليك بعض الأمثلة أيضًا. عند قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦] قال «قال الإمام الصادق نحن جنب اللّه، وفي الكافي عن موسى بن جعفر قال: جنب اللّه أمير المؤمنين (ع) وعن أمير المؤمنين قال: أنا عين اللّه وأنا جنب اللّه وأنا باب اللّه وأنا الهادي وأنا المهدي، وأنا أبو اليتامى والمساكين وزوج الأرامل وأنا ملجأ كل ضعيف ومأمن كل خائف وأنا قائد المؤمنين إلى الجنة وأنا حبل اللّه المتين وأنا عروة اللّه الوثقى وكلمة التقوى وأنا عين اللّه ولسانه الصادق، ويده المبسوطة على عباده بالرحمة والمغفرة وأنا جنب اللّه وأنا باب حطة من عرفني وعرف حقي فقد عرف ربه لأني وصيّ نبيه في أرضه وحجته على خلقه لا

(١) انظر: تفسير الصافي للكاشاني ج١ ص٢٩ .
(٢) انظر: تفسير البرهان للبحراني ج١ ص١٢ .
(٣) المرجع السابق ج١ ص١٣ .

ينكر هذا إلا راد على اللّه ورسوله»[1]

وعند قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنفال: ٦٢] قال «قال: ابن بابويه بسنده عن الكلبي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: مكتوب على العرش أنا اللّه لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي محمد عبدي ورسولي أيدته بعلي فأنزل اللّه الآية، فكان النصر عليًّا ودخل مع المؤمنين فدخل في الوجهين جميعًا»[2]

وعند قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٣٠] قال: «أي علويًّا وقال: رسول اللّه المكني أمير المؤمنين أبا تراب، وعن أبي عبد اللّه قال: يعني علويًّا يوالي أبا تراب، وفي رواية أخرى عنه قال: أي: من شيعة أبي تراب»[3]

٧- وجاء في تفسير الأصفهاني في المقدمة الرابعة «في جملة مما جاء في معاني وجوه الآيات والتنزيل والتأويل والظهر والبطن والحد والمطلع واشتمال الآيات على البطون والتأويلات وغير ذلك وأورد فيه عدة آثار منها عن حمران بن أعين عن أبي جعفر قال ظهر القرآن الذين نزل فيهم وبطنه الذين بمثل أعمالهم، وعن أبي جعفر قال تفسير القرآن على سبعة أوجه منه ما كان ومنه ما لم يكن بعد يعرفه الأئمة وساق أمثلة لتفسير الظاهر والباطن فقال: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ [النحل: ٦٨] ففي تفسير الظاهر معروف وفي الباطن آل محمد وفي التأويل نفوس العلماء وفي ظاهر الظاهر النفوس التي لها قدرة على الانتحال أي: الاختيار الحسن كما في قوله: ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥۚ﴾ بقرينة قوله: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ﴾، والجبال في الظاهر جمع جبل وهو معروف، وفي تفسير ظاهر الظاهر أن الجبال جمع جبلة وهي الطبيعة، وفي تفسير التأويل الجبال الأجساد الحيوانية من الإنسان وغيرها، ومثال آخر عن الصادق في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ [النساء: ٧٧] قال: هو الحسن بن علي أمر بالكف عن القتال

---

(١) المرجع السابق ج٤ ص٩٣٩ .

(٢) انظر: تفسير البرهان للبحراني ج٢ ص٤٠٢ .

(٣) انظر: تفسير البرهان للبحراني ج٤ ص١١٧٠ .

والصلح، وقوله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾ قال: هو الحسين بن علي كتب عليه القتل والله لو برز معه أهل الأرض لقتلوا، فانظر هذا المعنى فإنه تأويل باطل، ومثال آخر في قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:٨] قال: إن الإنسان رسول الله وإن الوالدين الحسن والحسين، وفي قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾ [الذاريات: ٧] قال عن أحدهم: السماء رسول الله والحبك علي، فعلي ذات رسول الله[1] وعلى هذا النمط من تشويه كتاب الله جرى في تفسيره: وإليك مثالًا منه.

عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [البقرة:٢١] قال في تفسير الإمام عن السجاد قال: أي: اعبدوا بتعظيم محمد وعلي بن أبي طالب، فتعظيم الرسول والإمام من حيث كونهما رسولًا له تعالى وإمامًا من قبله كما إن مطلق تعظيم شعائر الله تعظيم له جل وعز»[2].

ولا أدري ما مراده، هل يريد التوجه بالعبادة لمحمد وعلي؟ هذا هو ظاهر كلامه.

وعلى كل حال فقد جرت هذه التفاسير السبعة على هذا النحو في تفسير كتاب الله بمعان باطنية أبعد ما تكون عن معاني الآيات وهداية القرآن وتعاليم الإسلام، حتى ليبدو كأن القرآن نزل لخدمة غرض الشيعة فحسب وذلك بما فسروه به من هذه المعاني التافهة والعقيدة الفاسدة في الافتتان بحب آل البيت إلى حد يفوق كل تصور مع أنه حب كاذب قد ثبت زيفه في أكثر من مناسبة على مر التاريخ، وفيه بغض لخيرة أصحاب رسول الله ﷺ فاق الحد المعقول أيضًا من غير استحياء ولا أدب، مع أن كثيرًا من آيات الكتاب العزيز تثني عليهم وتشيد بفضلهم كما أن هناك فريقا من المفسرين وصفوا بالاعتدال تقل هذه النبرة في تفسيرهم إلى حد كبير، وتبرز معاني الآيات على حقيقتها المرادة منها ولا يميلون إلى هذا اللون المتقدم من التفسير بل بعضهم صرح بفساد التفسير الباطني عندهم حيث قال «وأما الذين تهاجموا بآرائهم

---

(١) انظر: تفسير الأصفهاني من ص٣١ إلى ص٣٨ .

(٢) انظر: تفسير القرآن للأصفهاني ص٣١٢ .

على تفسير القرآن بما يسمونه تفسير الباطن ركونًا بآرائهم إلى مزاعم المكاشفة والوصول ونزعات التفلسف أو التجدد أو حب الانفراد والشهرة بالقول الجديد، وإن كان فيها ما فيها فقد آثروا متاهة الرأي على المنهج السوي عن أصول العلم وفارقوه من أول خطوة[1] وذلك المفسر هو:

٨- محمد جواد البلاغي: في تفسيره آلاء الرحمن، ومع ما صرح به من هجوم على التفسير الباطني ومع أنه معتدل في تفسيره نوعًا، فإنه كذلك لم يخل تفسيره بين الحين والآخر من هذه المعاني الباطنية ولا أدري ما هذا الخبط في اتجاه القوم في هذا الجانب، وإليك بعض النماذج التي جنح فيها إلى التفسير الباطني فعند قول اللَّه ﷻ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٦] يقول: «وفي تفسير البرهان عن تفسير وكيع بن الجراح مسندا عن ابن عباس قال: قولوا يا معاشر العباد ارشدنا إلى حب محمد وأهل بيته قال في معنى الآية، وفي تفسير التعليمي مسندًا عن أبي بردة قال:

صراط محمد وأهل بيته، وفي روايات الإمامية أنه أمير المؤمنين، أو أنه الأئمة، وكلما صح من ذلك فهو من باب النص على أحد المصاديق أو أظهرها»[2]

وعند قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾. [البقرة:٣١] قال: «أي أسماء الأئمة، روى الصدوق بسندين معتبرين عن الصادق أن اللَّه تبارك وتعالى علم آدم أسماء حججه كلها ثم عرضهم وهم أرواح على الملائكة ليعرفوا فضلهم الفائق ويظهر لهم شيء من وجه الحكمة في خلق اللَّه الذين تشرق الأرض بنورهم وتقوم بهم الحجة على الملائكة، ثم أخذ يدلل على أن المراد كذلك ويبطل ما عداه بمغالطات لا يتسع لها المقام»[3].

وعند قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠] ومع وضوح

---

(١) انظر: تفسير آلاء الرحمن ج١ ص٤٧.
(٢) المرجع السابق ج١ ص٦٣.
(٣) انظر: المرجع السابق ج١ ص٨٣.

الكلام وأن الخطاب مع بنى إسرائيل وقد فسر الآية بذلك أيضًا ومع ذلك قال «ومن مصاديق الآية ما جاء في الكافي عن الصادق ورواية ابن بابويه هو ما عقد رسول اللّه لأمير المؤمنين في غد يرخم كما تواتر به الحديث بين المسلمين[1]

وعند قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة:١٤٨] قال: «هي الولاية كما في الكافي عن الباقر[2] وعند قوله: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦٩] قال: «في الكافي عن الصادق هي طاعة اللّه ومعرفة الإمام»[3]

وعند قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] قال: «عن الصادق في مقام الإنكار والتهكم: خير أمة تقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين[4]، يعني أن الآية لم تنزل في الأمة وإنما نزلت في الأئمة من آل البيت. ولا شك أن هذا تفسير باطني بعيد عن معاني القرآن وهو بعينه نفس التفسير الذي التزمه الغلاة المتقدمون من الشيعة قائم على مروياتهم التي ينسبونها إلى الأئمة في هذا الشأن كما هو واضح.

٩- مجمع البيان للطبرسي:

والطبرسي رأس المعتدلين من مفسري الشيعة ومع ذلك فإنه وقع في بعض الأحيان فيما غرق فيه غيره من مفسري الشيعة في هذه المعاني الباطنية المنحرفة، لكن والحق يقال أنها قليلة جدًّا في تفسيره، نذكر من ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥]. قال «نور على نور، أي: نبي من نسل نبي عن محمد بن كعب، وقيل إن المشكاة عبد المطلب، والزجاجة عبد اله، والمصباح هو النبي ﷺ لا شرقية ولا غربية بل مكية لان مكة وسط الدنيا عن الضحاك، وروى على الرضا (ع) أنه قال نحن المشكاة فها، والمصباح محمد

---

(١) انظر: تفسير آلاء الرحمن ج١ ص٨٨ .
(٢) المرجع السابق ج١ ص١٣٨ .
(٣) المرجع السابق ج١ ص٢٣٧ .
(٤) انظر: تفسير آلاء الرحمن للبلاغي ج١ ص٣٣٠ .

يهدى اللّه لولايتنا من أحب، وفي كتاب التوحيد لابن بابويه عن أبي جعفر الباقر في قوله: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ قال: نور العلم في صدر النبي، والزجاجة صدر علي، سار علم النبي إلى صدر علي، علم النبي عليًّا: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ نور العلم: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهودية ولا نصرانية: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يكاد العالم من آل محمد يتكلم بالعلم قبل أن يسأل: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أي: إمام مؤيد بنور العلم والحكمة في إثر إمام من آل محمد وذلك من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة فهؤلاء أوصياء الذين جعلهم اللّه خلفاء في أرضه وحججه على خلقه لا تخلو الأرض في كل عصر من واحد منهم، ثم أورد شعرًا نسبه إلى أبي طالب في هذا المعنى ثم قال: وهذا يقتضي أن الشجرة المباركة هي دوحة التقى والرضوان وعترة الهدى والإيمان، شجرة أصلها النبوة وفرعها الإمامة وأغصانها التنزيل وأوراقها التأويل وخدمها جبرائيل وميكائيل[1] وإذا كان الطبرسي قد نفى أن تكون الشجرة لا يهودية ولا نصرانية فإني أرى أنه بهذا التأويل قد جعلها سبئية أخذت من ابن سبأ اليهودي الذي اخترع لهم الوصاية لعلي كما أثبت ذلك علماؤهم وعند قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢] قال «عن أبي عبد اللّه (ع) قال: قال رجل لعمار بن ياسر: يا أبا اليقظان آية في كتاب اللّه أفسدت قلبي، قال عمار: وأية آية هي؟ قال: هذه الآية فأي دابة الأرض هذه؟ قال عمار: واللّه ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتى أريكها، فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين علي وهو يأكل تمرًا وزبدًا، فقال: يا أبا اليقظان هلم فجلس يأكل معه فتعجب الرجل منه فلما قام عمار قال الرجل سبحان اللّه، حلفت أنك لا تأكل ولا تشرب حتى ترينيها، قال عمار: أريتكها إن كنت تعقل، يريد أنها أمير المؤمنين (ع)»[2].

وأقول: وحاشا لأمير المؤمنين من أن يكون دابة، حتى ولو كانت آية من آيات اللّه فإنه إنسان فضلًا عن أنه من خيرة الصحابة واللّه يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ

---

(١) انظر: تفسير مجمع البيان ج١٨ ص٤٨ .

(٢) المرجع السابق ج٢٠ ص٢٥١ .

﴿ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] وعلى كل حال فهذا النوع قليل نادر في تفسير الطبرسي وإنما أردت بإثبات ذلك أنه لا يخلو تفسير شيعي من هذا الاتجاه المنحرف الذي يسمونه تفسيرًا باطنيًّا ويعتقدون أنه مراد للّه تعالى.

١٠- وفي تفسير القرآن الكريم لشُبَّر:

نوع كثير من هذا أيضًا مع أنه تفسير معتدل نسبيًّا قد اعتنى بالجانب البلاغي واللغوي وإظهار نوع من الإعجاز البياني في القرآن إلا أن هذا لا يمنع من حنينه أحيانًا إلى هذه المعاني الباطنية، فمن ذلك مثلًا:

عند قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: ٣٥] قال: «وهي شجرة علم محمد وآل محمد»[١]

وقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧] قال «وهي التوسل في دعائه بمحمد وآله الطيبين[٢] وذكر نحوه عند قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤][٣].

وعند قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣] قال «بدينه أو كتابه وعنهم عليهم السلام نحن حبل اللّه، وروى: القرآن والولاية فإنهما جميعًا لا يفترقان[٤].

وعند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤] قال: «عن الباقر أنها النبي وفرعها علي وغصنها فاطمة وثمرها أولادها وورقها شيعتنا: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] قال: وعن الباقر أنها بنو أمية[٥].

---

(١) انظر: تفسير القرآن لشبر ص٤٥.
(٢) المرجع السابق ص٤٦.
(٣) المرجع السابق ص٥٨.
(٤) المرجع السابق ص٩٦.
(٥) انظر: تفسير القرآن لشبر ص٢٥٩.

وعند قوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل:١٦] قال: «عن الصادق (ع) قال: نحن العلامات والنجم رسول الله»(١).

وعند قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل:٨٢]. قال: «وتضافرت الأخبار أن الدابة أمير المؤمنين ومعه عصا موسى وخاتم سليمان يسم المؤمن والكافر»(٢)

هذا والذي أحب أن ألفت إليه النظر ولكي أكون منصفًا، أن تفاسير الشيعة في هذا الجانب نوعان:

الأول: تفاسير قامت أساسًا على هذا التفسير الباطني من أولها إلى آخرها فلا تكاد تعتني بمعاني الآيات الظاهرة إلا في النادر القليل جدًّا، وهي تعتمد في هذا التفسير الباطني على الأخبار التي ينسبونها لآل البيت، وهم في الحقيقة منها براء، وهي التفاسير السبعة الأول.

الثاني: باقي التفاسير وقد قل فيها جانب التفسير الباطني إلى حد كبير، فلا يكاد يذكر إلا نادرًا، وعمادها أساسًا على المعاني الظاهرة للآيات، ولم يخل تمامًا من التفسير الباطني إلا تفسير مغنية.

★ ★ ★

(١) المرجع السابق ص٢٦٨ .

(٢) المرجع السابق ص٣٦٩ .

نماذج من تلاعب الشيعة بألفاظ القرآن واحتيالهم على تركيز عقائدهم من خلال التفسير الباطني

وأسوق فيه بين يدي القارئ ألفاظًا فسرها الشيعة بغير معانيها التي وضعت لها الألفاظ في اللغة، قد أجراها الشيعة على غير هذه المعاني حيثما وقعت في القرآن كله مما يدل على تلاعبهم بألفاظ القرآن واحتيالًا منهم على تركيز عقيدتهم من خلال التفسير، ضاربين بذلك معاني الألفاظ اللغوية عرض الحائط، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على استهتار الشيعة بمعاني القرآن استهتارًا لا يصدر مثله عن مسلم حيث قد حجبوا بذلك نور القرآن وهدايته وبشاشته التي إذا مست شغاف القلوب وجد لها المؤمن بردًا وسلامًا، وقد رتبت هذه الكلمات ترتيبًا أبجديًّا مع ذكر بعض المراجع التي وردت فيها هذه المفتريات من تفاسيرهم، وإني أستغفر اللَّه من حكايتها، ثم أتبعها بإبداء الرأي في هذا النوع من التفسير في الفصل كله ومدى ما يترتب عليه من خطر.

**** وإليك نماذج من هذه الكلمات:**

حرف الألف

١- لفظ (الأب) يراد به عند الشيعة النبي وعلي حيث يروون عن علي بن أبي طالب أنه قال: «سمعت رسول اللَّه يقول: أنا وعلي أبوا هذه الأمة»[١] وقد يراد به الإمام فقط حيث يروون عن علي أيضًا أنه قال: «الإمام الأب الشفيق»[٢]

(١) انظر: تفسير الصافي ج١ ص٣٥ .
(٢) انظر: تفسير مرآة الأنوار ص٦٠ .

ولا أدري هل يستقيم هذا مع قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٤٠].

٢- لفظ (الأثر) الإمام و(الآثار) الأئمة، فعن الصادق اتبعوا آثار الهدى يعني الأئمة[١].

٣- لفظ (الأثل) هي في اللغة شجرة الطرفاء، وقد صنع رسول اللّه ﷺ منها منبره[٢]. ومع ذلك فالشيعة تفسرها بأنها من الأشجار الملعونة التي لم تقبل الولاية[٣].

٤- لفظ (أجاج) في سورة الفرقان وفاطر والواقعة يقال بحر أجاج أو ماء أجاج، أي: ملح مر[٤] والشيعة تفسره بما جاء في الكافي عن الحسنين قالا: (إن اللّه عرض ولايتنا على المياه فما قبل ولايتنا عذب وطاب وما جحد ولايتنا جعله اللّه مرًّا وملحًا أجاجًا»[٥]

ولا أدري ما السر في ملوحة البحار قبل خلق الأئمة وولايتهم.

٥- لفظ (الأذن) هي الجارحة والمعروفة، والشيعة تفسرها بالأئمة أو بعلي بالذات فيروون عن الأئمة أنهم أذن اللّه، وعن النبي أن عليًا أذن اللّه السامعة، وأذنه الواعية[٦]

٦- لفظ (الأرض): تؤول بالأئمة أو بالشيعة في تفسيرهم، ويستدلون على ذلك بما ينسبونه إلى الباقر (ع) قال في قوله تعالى: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠]، يعني بالأرض: الأوصياء، أمر اللّه بطاعتهم وولايتهم كما أمر بطاعة الرسول ﷺ وطاعة أمير المؤمنين، كنى اللّه في ذلك عن أسمائهم فسماهم بالأرض[٧]

---

(١) مرآة الأنوار ص٤٩ .
(٢) لسان العرب ص٢٨ .
(٣) مرآة الأنوار ص٥٤ .
(٤) مختار الصحاح ص٦ .
(٥) مرآة الأنوار ص٥٥ .
(٦) مرآة الأنوار ص٥٧ .
(٧) مرآة الأنوار ص٥٢ .

٧- لفظ (الآزفة) جاء في سورة النجم في قوله: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝٥٧﴾ [النجم: ٥٧] ومقصود بها الساعة وقربها، من غير مراجعة تفاسير، وهي في التفسير الباطني عند الشيعة، الرجعة أي: رجعة الأئمة إلى الدنيا وخواص أصحابهم وكذا أعداؤهم- بزعمهم- للقصاص منهم[١].

٨- لفظ (إسرائيل): ومعلوم أنه نبي اللّه يعقوب عليه السلام، والشيعة تفسره بأمير المؤمنين وتستدل على ذلك بما جاء عندهم في الزيارات من قول صفوان لعلي (علي إسرائيل اللّه»[٢]

٩- لفظ (آسن): ورد في سورة محمد: ﴿مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ وفي اللغة أسن الماء تغير وهو الذي لا يشربه أحد من نتنه، فماء غير آسن أي: غير متغير[٣] والشيعة تفسره بما غير متغير أي: بعلي[٤]

١٠- لفظ (الإفك، والمؤتفكة): الإفك: الكذب، والمؤتفكة: مدائن لوط عليه السلام[٥] والشيعة تفسر الإفك بصنمي قريش- يقصدون أبا بكر وعمر- وفي الكافي عن أبي عبد اللّه وقد سئل عن قوله: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣﴾ [النجم:٥٣] قال: هم أهل البصرة هي المؤتفكة[٦] يعنون بذلك أنهم حاربوا عليًا في موقعة الجمل المشهورة فهزموا.

١١- لفظ (إله واللّه): أشهر من أن يعرف، والشيعة تفسر الإله بالإمام ولفظ الجلالة بالإمام الحق[٧] ولا أدري ماذا بقي للّه من أسماء يختص بها، تعالى اللّه عن ذلك.

---

(١) مرآة الأنوار ص٥٢ .
(٢) مرآة الأنوار ص٥٤ .
(٣) لسان العرب ص٨١ .
(٤) مرآة الأنوار ص٥٨ .
(٥) لسان العرب ص٩٧ .
(٦) مرآة الأنوار ص٥٣ .
(٧) مرآة الأنوار ص٦٠ .

١٢- لفظ (إمام، أئمة): يطلق على علي وبنيه ويروون عن الباقر لما نزلت: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ قام أبو بكر وعمر فقالا: يا رسول اللّه هو التوراة؟ قال: لا قالا فهو القرآن؟ قال لا، فأقبل أمير المؤمنين فقال رسول اللّه: هو هذا إنه الإمام الذي أحصى اللّه فيه علم كل شيء، ويروون عن أمير المؤمنين قال: «أنا واللّه الإمام المبين» الخبر[١].

١٣- لفظ (أمة): هي الجماعة كما لا يخفى، والشيعة تفسرها حيثما وقعت في القرآن بالأئمة بل يزعمون أنهم (ع) كانوا يقرءونها (أئمة) ويروون عنهم أن عليًّا كان أمة وحده[٢].

١٤- لفظ (أمر) وما يشتق منه يفسر دائمًا عندهم ويروون عن أمير المؤمنين أن الإمام روح قدس وأمر آلهي وهذا معنى قوله: ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ فهم الأئمة، ويروون عن القائم وأبي عبد اللّه: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ و: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ هو أمرنا نحن أمر الله وجنوده[٣].

١٥- لفظ (الأمانة): تفسرها الشيعة بعلى أو بالأئمة أو بولايتهم، فيزعمون أن النبي قال في مرض موته (إن عليًّا أميني على أمتي) وفي أخبارهم عن الأئمة: «الائمة الأمانة المستودعة» وفي تفسير فرات بن إبراهيم عن الباقر قال: نحن الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال[٤].

١٦- لفظ (أنثى وإناث): تؤولها الشيعة في التفسير بفاطمة ﷺ ويروون عن الباقر في قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [الليل: ٣] قال الذكر أمير المؤمنين والأنثى فاطمة، وكذا في قوله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ١٩٥][٥].

---

(١) تفسير القمي ص٥٤٨، الصافي ج٢ ص٤٢١.
(٢) تفسير القمي ص٣٥٥.
(٣) مرآة الأنوار ص٥٠.
(٤) مرآة الأنوار ص٥٨.
(٥) مرآة الأنوار ص٤٨.

١٧- لفظ (الآلاء): وهي في اللغة النعم[١]، والشيعة تفسرها بالأئمة وولايتهم ويروون عن الصادق في قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٦٩] قال: هي ولايتنا ولا يخفى أن ذلك من قول هود عليه السلام لقومه، وفي تفسير القمي: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ من سورة الرحمن قال: يعني فبأي النعمتين تكفران بمحمد أم بعلي[٢].

١٨- لفظ (آية وآيات): له عدة اطلاقات فيطلق على الآية من القرآن وعلى المعجزة وعلى الأمر العجيب وعلى الحجة والدليل حسب المقام، والشيعة تطلقه على الأئمة في التفسير ويروون عن الباقر عن أمير المؤمنين قال: ما لله عز وجل آية أكبر منى وعن الصادق في قوله: ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾ [طه:١٢٦] وقوله: ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ [طه:١٢٧] قال: الآيات، ويروون عن الأئمة أنهم فسروا الآيات المحكمات بالأئمة، والمتشابهات بالثلاثة يعني الخلفاء الثلاثة، وعن الصادق في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨] قال: يعني خروج القائم من آل محمد (ع)، وعنه في قوله: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ قال: يعني: تكذيبهم بالقائم إذ يقولون له لسنا نعرفك ولست من ولد فاطمة[٣].

حرف الباء

١٩- لفظ (باب) هو معروف لا يحتاج إلى بيان والشيعة تفسره بعلي والأئمة من ولده، ويروون عنهم أنهم أبواب الله وبابه الذي يؤتى منه، ويروون أن النبي قال: «أن عليًا باب الله الأكبر فمن أراد الله فليدخل من الباب»، وقال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» وهو حديث موضوع[٤] وروى الكليني عن سلمان الفارسي قال: «أن عليًا باب فتحه الله من دخله كان آمنا ومن خرج عنه كان كافرًا» وعن علي قال: «أنا

---

(١) لسان العرب ١١٩ .
(٢) تفسير القمي ص٦٨٠ .
(٣) تفسير مرآة الأنوار ص٦١ ، والقمي ص٢٨٣ ، ص٢٩٦ .
(٤) الفوائد المجموعة ص٣٤٣ .

باب اللَّه الذي يؤتى منه». وعنه قال: «أنا باب حطة» وقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ﴾ [الحديد:١٣] وقوله: ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو علي، وقد أوجب اللَّه الاستكانة لعلي بقوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:٥٨] أي: الذين لا يرتابون في فضل الباب وعلو قدره[١].

وأقول: ومن هذا الباب الذي فتحته الشيعة دخلت البابية والبهائية والقاديانية فمتى يغلق هذا الباب، فكم جر على الإسلام والمسلمين ما جر؟

٢٠- لفظ (بئر): هو معروف، والشيعة تفسره بعلى وولايته، ومرة بالإمام الغائب ومرة بفاطمة وولدها المعطلين من الملك ويفسرون به قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحج:٤٥][٢]

٢١- لفظ (بحر): وهو واضح معروف، والشيعة تفسره في القرآن بالأئمة ويروون عن الباقر: «الأئمة هي البحار السائغة للشاربين» وعن علي قال: «الإمام البحر الذي لا ينزف» وفي رواية: «الإمام البحر العجاج» وفي بعض الزيارات أنه قيل لعلي: «أشهد أنك بحر العلم المسجور» وفي بعضها: «السلام عليك يا بحر العلوم»[٣].

وعن الصادق والرضا قالا: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ [الرحمن:١٩] علي وفاطمة: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ رسول اللَّه: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ الحسن والحسين أما قوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ [النور:٤٠] فهو عندهم عثمان وطلحة والزبير ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ فهي معاوية وفتن بنى أمية: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ يعني إماما من ولد فاطمة: ﴿فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ يعني: فما له من إمام يمشي بنوره يوم القيامة[٤].

---

(١) مرآة الأنوار ص٦٢ ، والبرهان ج٤ ص٩٣٩ .
(٢) مرآة الأنوار ص٦٥ .
(٣) مرآة الأنوار ص٦٥ .
(٤) القمي ص٦٥٨ .

٢٢- لفظ (بر، وأبرار): البر ضد العقوق ورجل بار أي: يطيع خالقه»[١] والشيعة يقصرون هذا المعنى في القرآن على الأئمة ويروون عن الباقر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الإنفطار: ١٣، ١٤] قال: الأبرار نحن هم والفجار هم أعداؤها، وعن الحسن بن علي قال: كلما كان في كتاب اللّه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ فواللّه ما أراد به إلا عليًا وفاطمة وأنا والحسين[٢].

٢٣- لفظ (البروج): في اللغة البرج الحصن، ومنه: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾﴾[٣] والشيعة تفسره بالأئمة الاثنى عشر ويروون عن أمير المؤمنين قال سئل النبي وأنا عنده عن الأئمة فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾﴾ إن عددهم عدد البروج وعدد الشهور ورب الأيام والشهور[٤].

٢٤- لفظ (البطش، والبطشة): هي في اللغة، الأخذ القوي الشديد والسطوة، والأخذ بالعنف[٥] والشيعة تفسرها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾ [القمر: ٣٦] بعلي (ع) مع أن الآية تتحدث عن لوط عليه السلام، وكذا في قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: ١٢] هو علي في تفسير الشيعة، أما قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الدخان: ١٦] فهي بقيام القائم في تفسير الشيعة[٦].

٢٥- لفظ (البعل): ورد في قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الصافات: ١٢٥] وهو من كلام نبي اللّه إلياس يستنكر على قومه عبادتهم لصنمهم الأكبر (بعل»[٧] والشيعة تفسره بزعماء أعداء الأئمة بزعمهم[٨].

---

(١) مختار الصحاح ص٤٧ .
(٢) مرآة الأنوار ص٦٥ .
(٣) مختار الصحاح ص٤٦ .
(٤) مرآة الأنوار ص٦٤ .
(٥) لسان العرب ص١، ٣ .
(٦) مرآة الأنوار ص٦٨ .
(٧) مختار الصحاح ص٥٨ .
(٨) مرآة الأنوار ص٧٠ .

٢٦- لفظ (بعوضة): هي الحشرة المعروفة ضرب اللّه بها مثلًا في الزلة والحقارة ومع ذلك فالشيعة يقولون أن المراد بها أمير المؤمنين علي عليه السلام[١].

٢٧- لفظ (بقعة): ورد في القرآن في نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ [القصص:٣٠]، ومن المعروف أنها كانت في طور سيناء ينص القرآن في الآية التي قبلها: ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ ومع ذالك فالشيعة تفسرها بكربلاء حيث استشهد الحسين بن علي رضي الله عنه[٢].

٢٨- لفظ (بيت) تفسره الشيعة بالأئمة ففي تفسير فرات بن إبراهيم عن الباقر قال: «نحن بيوت اللّه والبيت العتيق وبيت الرحمة وأهل بيت النبوة) وعن الصادق قال: «نحن واللّه أهل بيت الرحمة وأهل البيت المعمور»[٣].

٢٩- لفظ (البيع والبيعة): أما البيع في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة:٩]. وكذا في سورة النور آية ٣٧، والبقرة آية ٢٧٥ فهو أبو بكر في تفسير الشيعة، أما البيعة فهي عندهم ما أخذ لعلي في غديرخم من البيعة للولاية ويروون عن الباقر قال: «كان في خطبة الغدير: معاشر الناس من بايع عليًّا فإنما يبايع اللّه يد اللّه فوق أيديهم فاتقوا اللّه وبايعوا عليًّا ومن نكث فإنما ينكث على نفسه يهلك اللّه من غدر ويرحم من وفى»[٤].

ولا يخفى أن تلك الآيات نزلت في بيعة الحديبية تحت الشجرة وكانت من أجل عثمان بن عفان كما هو ثابت رغم أنف الشيعة.

٣٠- لفظ (البينة والبينات): هم الأئمة في تفسير الشيعة كما عن الصادق قال: «نحن الصلاة والزكاة..... نحن الآيات ونحن البينات) وفي تفسير القمي: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [هود: ١٧] بعلى[٥] ولا يخفى ما في هذا كله من

---

(١) القمي ص٣١، البرهان ج١ ص٤٣.
(٢) البرهان ج٣ ص٧٩١، والصافي ج٢ ص٨٢.
(٣) مرآة الأنوار ص٦٣.
(٤) مرآة الأنوار ص٦٥.
(٥) مرآة الأنوار ص٧١، والقمي ص٣٠٥.

حرف التاء

٣١- لفظ (التبذير) تفسره الشيعة بمن بذر في ولاية علي ففي تفسير العياشي عن الصادق في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء:٢٦] قال لا تبذر في ولاية علي (ع)»[١].

٣٢- لفظ (التبرج): وهو في اللغة: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال[٢].

وقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣] والشيعة تفسره في الآية وفي قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ [النور:٦٠]، بخروج عائشة يوم الجمل على أمير المؤمنين[٣].

٣٣- لفظ (التجارة): تفسر الشيعة التجارة النافعة بالإمام ويروون عن جعفر عن علي قال: «أنا التجارة المربحة المنجية من العذاب الأليم» كما قال سبحانه: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف:١٠] وفي رواية عنه: «الإمام المتجر الرابح» أما التجارة غير النافعة فهي تؤول بأعداء الأئمة بزعمهم، ويروون عن الباقر قال: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾ [الجمعة:١١] قال: تجارة يعني: الأول، أو لهوًا يعني الثاني[٤] والمقصد معروف الأول أبو بكر والثاني عمر.

٣٤- لفظ (التراب): هو معروف والشيعة تفسره بعلي في قوله: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠] يقولون: أي: من شيعة أبي تراب يعني عليًّا لأنه صاحب الأرض والحجة فيها وله بقاؤها وإليه سكونها، وكذا في سورة البلد: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد:١٦]، أي: مترب بالعلم والمراد علي (ع)»[٥].

---

(١) مرآة الأنوار ص٦٥ .
(٢) مختار الصحاح ص٤٦ .
(٣) مرآة الأنوار ص٦٤ .
(٤) مرآة الأنوار ص٧٤ .
(٥) البرهان ج٤ ص١١٧٠ ، مرآة الأنوار ص٧٣ .

٣٥- لفظ (التوبة): معروفة وهي الرجوع عن المعاصي إلى طاعة اللّه والشيعة تفسرها بمن تاب عن ولاية الطواغيت أعداء الأئمة- كما يزعمون- ويروون عن الباقر قال: ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [غافر:٧] يعني: تابوا من ولاية بنى أمية، وفي رواية أخرى، تابوا من ولاية الطواغيت الثلاثة ومن ولاية بني أمية: ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ يعني: اتبعوا عليًّا[١].

ولا أدري، كأن الشيعة بهذا تجعل أن من والى الأئمة ليس عليه من ذنوب تستوجب التوبة والإنابة إلى اللّه، أما من تولى أبا بكر وعمر فلو كان عليه مثل قراب الأرض خطايا فإنها لا تبلغ مثل ذنب توليه وعليه أن يتوب من ولايتهما إلى ولاية الأئمة من آل البيت الذين تتولاهم الاثنى عشرية بالذات، ولا عليه من ذنب بعد ذلك.

حرف الثاء

٣٦- لفظ (ثاقب): ورد في قوله: ﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ۝١٠﴾ [الصافات:١٠] وفي قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ [الطارق:٢، ٣] والشيعة تفسره بعلى والأئمة من ولده ويقولون المراد به نفوذ علمهم ونورهم[٢].

٣٧- لفظ (الثقل): ورد في قوله: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١﴾ [الرحمن:٣١] والمراد بهما الإنس والجن كما لا يخفى بدليل قوله بعد ذلك: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ [الرحمن:٣٣] والشيعة تفسرها بالكتاب والأئمة، أما قوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾ [القارعة:٦] فإنهم يفسرونه بعلي وشيعته والميزان هو الإمام[٣].

٣٨- لفظ (ثلاث): ورد في قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ۝٣٠﴾ [المرسلات:٣٠] وهو في جهنم نعوذ باللّه منها كما هو واضح من السياق، والشيعة تفسره بالخلفاء الثلاثة يزعمون كما ورد عن الأئمة ذلك، وكذلك في قوله: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] وهي واضحة في أصنام

---

(١) مرآة الأنوار ص٧٤ .

(٢) مرآة الأنوار ص٧٥ .

(٣) مرآة الأنوار ص٧٦ والقمي ص٦٥٨ .

العرب قبل الإسلام والشيعة تفسر اللات بأبي بكر والعزى بعمر ومناة الثالثة الأخرى بعثمان[1].

٣٩- لفظ (ثمود): وهم قوم صالح عليه السلام والشيعة تفسرها بغير ذلك فيروون عن الصادق في تأويل قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾﴾ [الشمس:١١] قال: ثمود رهط من الشيعة، ووجه الكازراني الخبر بقوله ولا يخفى أن المراد رهط الشيعة هنا غير الإمامية كما هو واضح، ولعل المراد بهم طائفة الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين، ومنهم ابن ملجم قرين عاقر الناقة، ويحتمل أن يكون المراد مطلق أهل الكوفة وقتلة الحسين والزيدية وأشباههم[2].

وأقول: إن ما عددهم الكازراني أخف وطأة من الروافض الإمامية الذي نفى الخبر عنهم على فرض تسليم الخبر وصحة التأويل عليه.

حرف الجيم

٤٠- لفظ (الجبت): جاء مقرونًا في القرآن بالطاغوت في أكثر من آية وهما كل ما عبد من دون اللّه أوالشيطان[3] والشيعة تطلقهما على أبي بكر وعمر في القرآن دائمًا، ويروون عن الباقر في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١] قال: إن المراد فلان، فلان، فلان- يعني: الخلفاء الثلاثة- وفي دعاء صنمي قريش (يعني: أبا بكر وعمر) وجبتهما وطاغوتهما وإفكهما، وفي بعض الروايات: اللّهم العن جوابيت هذه الأمة وطواغيتها وفراعنتها[4].

ودعاء صنمي قريش الذي تذكره الشيعة هو عبارة عن دعاء يتضمن لعن أبي بكر وعمر تستفتح به الشيعة الخطب والمواعظ والعبادات وكل أمر ذي بال، ألا لعنة اللّه على الظالمين.

---

(١) مرآة الأنوار ص٧٦ .
(٢) مرآة الأنوار ص٧٦ .
(٣) لسان العرب ص٥٣٤ .
(٤) القمي ص١٢٨ ومرآة الأنوار ص٧٧ .

٤١- لفظ (الجبل): معروف والشيعة تفسره بما يروونه عن الباقر قال: قال النبي: «إني وأحد عشر من ولدي وأنت يا علي ذر الأرض- يعني: أوتادها وجبالها- بنا أوتد اللَّه الأرض بأهلها فإذا ذهبنا ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا» وفي تفسير فرات بن إبراهيم عن أبي ذر قال: «إن أهل بيت النبي فينا كالجبال المنصوبة) وفي تفسير القمي سنده عن أبي عبد اللَّه في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل:٦٨] قال: أمرنا أن نتخذ من العرب شيعة: ﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾ أي: من العجم: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ أي: من الموالي[١].

٤٢- لفظ (الجنب): تفسر بالأئمة أو بعلى حيث يروون عنهم نحن جنب اللَّه، وعن علي أنا جنب اللَّه، أما الجنب بضمتين فيئول بعدم معرفة الإمام[٢].

٤٣- لفظ (الجند): تؤول الشيعة الجنود المذمومة في نحو قوله: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الشعراء: ٩٥]، منهم أتباع أعداء الأئمة- بزعمهم- أما الجنود الممدوحة فهم الشيعة حيث يروون عن الباقر في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١] قال: هم الشيعة وهم شهداء اللَّه في الأرض[٣].

والآية تتحدث عن أصحاب النار وخزنتها وهم الملائكة، ولا أدري هل الشيعة هم خزنة النار؟

٤٤- لفظ (الجودي): ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:٤٤] هو جبل بالموصل في أكثر التفاسير، والشيعة تقول هو نجف الكوفة[٤] وهدف الشيعة من ذلك تعظيم مدينة النجف كما اخترعوا آية سابقة لكربلاء وذلك لأنهم يزعمون أن عليًّا مدفون بمدينة النجف حيث أقاموا له مشهدًا فخمًا فيها، ويزعمون أن نوحًا عليه السلام مدفون بجوار علي بن أبي طالب بها، هذه مغالطات للحقائق

---

(١) القمي ص٣٦٢ ومرآة الأنوار ص٧٩ .
(٢) البرهان ج٤ ص٩٣٩ ومرآة الأنوار ص٧٧ .
(٣) مرآة الأنوار ص٧٨ .
(٤) القمي ص٣٠٨، ومرآة الأنوار ص٧٨ .

التاريخية، لها مناسبة سيأتي تحقيقها فيها.

حرف الحاء

٤٥- لفظ (الحبك): وردت في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾ [الذاريات:٧] في كتب اللغة يعني: طرائق النجوم أو ذات الطرائق الحسنة والخلق الحسن[١] والشيعة تفسر السماء برسول اللّه، والحبك بعلي، فعلي ذات رسول اللّه، وهكذا كما يروونه عن الأئمة[٢].

٤٦- لفظ (الحبل): تفسره الشيعة بعلي ويروون عن الأئمة أن عليًّا هو حبل اللّه المتين وعن الصادق قال: نحن حبل اللّه الذي قال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣] وقد سئل الرسول في هذه الآية فقال: هو قول اللّه: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٢] الأول كتاب اللّه والثاني على (ع)»[٣] ولا يخفى أن الآية في اليهود قبل ولاية علي بآلاف السنين.

٤٧- لفظ (الحدود): وردت في نحو قوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة:١٨٧] ويراد بها شرائعه وأحكامه أما الشيعة فيفسرونها بالأئمة ويروون عن الصادق: «نحن حدود اللّه»[٤].

٤٨- لفظ (الحرام): تفسر بالأئمة حيثما وقعت في تفاسير الشيعة، في البيت الحرام والمسجد الحرام والأربعة الحرم، وفي تفسير فرات بن إبراهيم عن الباقر قال: نحن حرم اللّه الأكبر والنفس التي حرم اللّه هي الحسين وأصحابه[٥].

٤٩- لفظ (الحق) يفسرها الشيعة بالولاية وحق آل محمد فيها أو بعلى أو بالمهدي المنتظر عندهم وقيامه، ويروون عن الصادق في قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ

---

(١) لسان العرب ص٧٥٨ .
(٢) تفسير الأصفهاني ص٣٨ ومرآة الأنوار ص٨٥ .
(٣) تفسير الصافي ج١ ص١٠٠ ومرآة الأنوار ص٨٧ .
(٤) (٥) مرآة الأنوار ص٨٤ ، ٨٨ .

﴿بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [النساء:١٧٠] قال: أي: في ولاية علي، وعنه قال: إن ولاية علي لحق اليقين وعن على قال: واللّه أنا الحق الذي أمر اللّه به في قوله: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس:٣٢]، وعن الباقر قال: ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة:٤٨] قال: يعني بالحق: ظهور علي بن أبي طالب ومن ظهر بعده من الأئمة[١].

حرف الخاء

٤٩- لفظ (الخبائث): يروون عن الباقر في قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المائدة:١٠٠] وقوله: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [النور:٢٦] قال: هم معاوية وشيعته وقوله: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ هم على وشيعته[٢].

ولا يخفى على بصير أن قوله: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ أنها في عائشة الصديقة بنت الصديق رغم أنف الشيعة. والآية تاج كرامة لها تفقأ أعينهم.

٥٠- لفظ (الخمر والخنزير) هم في تفسير الشيعة أعداء الأئمة[٣] ولا تنسى أنه تفسير الباطنية بعينه.

حرف الدال

٥١- لفظ (الدابة): في تفسيرالشيعة هي أمير المؤمنين علي ويروون عن أبي عبد اللّه قال: انتهى رسول اللّه إلى أمير المؤمنين وهو نائم في المسجد فحركه برجله وقال قم يا دابة اللّه ثم قال: هو الدابة التي ذكرها اللّه في كتابه.. الخبر[٤].

٥٢- لفظ (الداعي): تفسره الشيعة بعلى ويروون عن الكاظم في قوله تعالى:

---

(١) القمي ص٢٨٦، مرآة الأنوار ص٨٧.
(٢) مرآة الأنوار ص٩٢.
(٣) مرآة الأنوار ص٩٤.
(٤) القمي ص٤٧٩، تفسير شبر ص٣٦٩، مرآة الأنوار ص٩٥ ومجمع البيان ج٢٠ ص٢٥١.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ [طه:١٠٨] قال: «الداعي علي»، وفي بعض الزيادات: « أشهد أنك الداعي إلى اللّه»[١]

٥٣- لفظ (الدين): تفسره الشيعة بولاية علي، ويوم الدين يوم خروج المهدي، ويروون عن الصادق في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ [البقرة:١٣٢] قال يعني ولاية علي: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ لولاية علي (ع) وعن الصادق: ﴿أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ﴾ أي: الإمام: ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يوم خروج القائم، وكذا عن الباقر في قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، قال: في الصلاة والزكاة والصوم والحج إذا تولوا اللّه ورسوله وأولي الأمر منا أهل البيت فإنه يقبل اللّه أعمالهم[٢].

يعني: المدار في النجاة على ولاية أئمة الشيعة لا على شرائع الإسلام من الصلاة والزكاة والحج ونحوها وهنا يلتقى التفسير الاثنى عشري تمامًا مع ملاحدة الباطنية الذين عطلوا شرائع الإسلام.

حرف الذال

٥٤- لفظ (الذباب): يؤول بعلى في تفسير الشيعة كما أولت البعوضة ويزعمون أنه ذباب العسل وذلك في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج:٧٣][٣].

ولا أدري ماذا بقي من أسماء الحشرات الحقيرة لم يطلقه الشيعة على علي؟

وأمير المؤمنين أرفع وأنزه من ذلك ألا لعنة اللّه على الشيعة الذين لا يوقرون إمامهم.

٥٥- لفظ (الذكر) تفسر الشيعة أهل الذكر بالأئمة في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الأنبياء:٧، النحل:٤٢] ويروون عن الأئمة (نحن واللّه المعنيون

---

(١) مرآة الأنوار ص١٠١ .
(٢) مرآة الأنوار ص١٠٠ والقمي ٥٩٥ .
(٣) مرآة الأنوار ص١٠١ والقمي ص٤٤٥ .

بذلك ونحن المسئولون) وفي أخرى (نحن أهل الذكر ونحن المسئولون»[1].

حرف الراء

٥٦- لفظ (الراجفة والرادفة): في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النازعات:٦، ٧]، والآية واضحة في النفخة الأولى والثانية في نهاية الدنيا وبداية الآخرة، والشيعة تفسر الراجفة بالحسين، والرادفة بأبيه وإن أول من ينفض التراب عن رأسه الحسين كما يروون عن الصادق[2]. وهم يقصدون رجعتهم إلى الدنيا عند قيام المهدي بزعمهم.

٥٧- لفظ (الرب): الشيعة تطلقه على الإمام، ففي القمي: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر:٦٩] قال أبو عبد اللّه: رب الأرض يعني: إمام الأرض[3]. تعالى اللّه ﷻ عن ذلك.

٥٨- لفظ (الرزق) حيثما وقع في القرآن يفسرونه بالولاية وينسبون ذلك للصادق[4].

٥٩- لفظ (الرسول) يقولون: إن العمدة في بعثة الرسل هي لأجل الولاية، وقد ورد عندهم تأويل الرسول بالإمام، والرسل بالأئمة، فعن الصادق في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦] قال: يعني: «إمامًا يدعوهم إلى طريق الحق» وعن الباقر كما في تفسير العياشي قال: «أي: لكل قرن من هذه الأمة رسول من آل محمد يخرج إلى القرن الذي هو إليهم وهم الأولياء من آل محمد[5]. وهذا مبناه عند الشيعة على أن اللّه لا يجوز أن يخلي الأرض من إمام، وتفسير الرسول بالإمام مع ما فيه فهو أهون على كل حال من

---

(١) مرآة الأنوار ص١٠٢، والبرهان ج٣ ص٦٨٤ والصافي ج٢ ص٢٨٣ والقمي ص٣٥٨ .
(٢) مرآة الأنوار ص١٠٩ .
(٣) القمي ص٥٨١ .
(٤) مرآة الأنوار ص١٠٩ .
(٥) مرآة الأنوار ص١١٠ .

تفسير لفظ الجلالة بالإمام، وإن كان الكل ضلالًا.

حرف الزاي

٦٠- لفظ (الزرع): ورد في القرآن في عدة مواضع مرادًا به ظاهره المعروف، والشيعة تفسره بعبد المطلب ويروون عن الصادق في قوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ [الفتح:١٢٩] قال: الزرع عبد المطلب وشطأه محمد و﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ يعني علي بن أبي طالب[١].

والآية صريحةٌ في أصحاب رسول اللَّه ﷺ للمثل الذي ضربه اللَّه لهم في الإنجيل.

٦١- لفظ (الزكاة) ومعناها معروف، والشيعة تفسرها بما ينسبونه للباقر في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المزمل:٢٠]: قال: الصلاة والزكاة علي عليه السلام[٢].

٦٢- لفظ (الزينة) يفسرونها بعلي بن أبي طالب. ويروون عن النبي ﷺ: «أن عليًّا زينة الأرض» وعن ابن مسعود: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف:٧] قال: زينة الأرض علي بن أبي طالب[٣].

حرف السين

٦٣- لفظ (السائل) السائل يفسرونه بما يروونه عن الصادق في قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات:١٩]. قال: «إن السائل والمحروم شأنهما عظيم أما السائل فهو رسول اللَّه، والمحروم من حرم الخمس أمير المؤمنين والأئمة من ولده، وليس هذا كما يقول الناس»[٤] وهذا سوء أدب، أنزه أبا عبد اللَّه الصادق عنه.

---

(١) مرآة الأنوار ص١١٣.
(٢) مرآة الأنوار ص١١٥.
(٣) مرآة الأنوار ص١١٥.
(٤) مرآة الأنوار ص٨٩.

٦٤- لفظ (السابق) و(السابقون): يفسرونه بما ينسبونه إلى النبي قال: «قال لي جبريل: ذاك علي وشيعته هم السابقون إلى الجنة المقربون من اللّه) وبما يروونه عن الباقر والصادق في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر:٣٢] (قالا هي لنا خاصة وإيانا عنى»[١].

٦٥- لفظ (السامري) هو من أصحاب موسى الذي اتخذ لهم العجل إلٰها في غيبة موسى والشيعة تفسره بعمر بن الخطاب، وتفسير العجل بأبي بكر رضي الله عنه[٢] ونعوذ باللّه من الخذلان.

٦٦- لفظ (السجود ومسجد ومساجد): في تفسير الشيعة تفسر بالأئمة وولايتهم، ففي تفسير القمي عن الصادق: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم:٤٣] قال: «يدعون إلى ولاية علي في الدنيا...» الخبر وعنه في قوله: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن:٦] قال: «النجم رسول اللّه والشجر علي لم يعصوا اللّه طرفة عين) وعن الباقر في الآية: «قال: علي وفاطمة والحسن والحسين»، وأما المسجد والمساجد ففي تفسير العياشي عن الصادق: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٢٩] قال: «يعني: الأئمة»، وفي قوله: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١] قال: «يعني: الأئمة» وفي قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن:١٨] قال: «هو الإمام من آل محمد فلا تتخذوا من غيره إمامًا» وعن الكاظم (هم الأئمة والأوصياء واحدًا واحدًا...» الخبر[٣] ولا أدري إلى متى هذا الغلو، هل تريد الشيعة بذلك عبادة الأئمة من آل محمد؟

٦٧- لفظ (السلطان) تفسره الشيعة حيثما وقع في القرآن بعلي ويروون عن ابن عباس: ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء:٨٠] (قال إن اللّه استجاب للنبي فإن عليًا سلطان ينصره على أعدائه) وفي رواية عن الأئمة: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ج٢٢ ص٢٤٣، ومرآة الأنوار ص١٢٢، تفسير شبر ص٤١٤.
(٢) مرآة الأنوار ص١٢٠.
(٣) مرآة الأنوار ص١١٧ والقمي ص٧٠٠.

لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء:٣٣] قالوا: إن القائم- يعني المهدي المنتظر- وليّ الحسين المقتول ظلمًا قد جعل اللّه له سلطانًا على الناس[١]. وهكذا تذهب الشيعة بالتشريعات العامة إلى أوهام وخرافات.

حرف الشين

٦٨- لفظ (الشيء): تفسر بالشيعة عندهم في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] بمعنى كل الشيعة[٢].

ولقد ضيقت الشيعة بذلك ما وسعه اللّه على عباده، فلماذا هذه الأنانية؟

٦٩- لفظ (الشمس) تفسر بعلي أيضًا، فيروون عن الصادق في قوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ الشمس أمير المؤمنين وضحاها قيام القائم: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ الحسن ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ الحسين ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ بنو أمية[٣].

٧٠- لفظ (الشيعة) يطلق حيثما ورد في القرآن في تفسيرهم على الشيعة الإمامية الاثنى عشرية ويروون عن أبي بصير عن الصادق قال: «ليهنكم الاسم، قال: قلت وما الاسم؟ قال: الشيعة أما سمعت اللّه يقول: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥][٤].

حرف الصاد

٧١- لفظ (الصراط): يفسر عند الشيعة بأمير المؤمنين وبمعرفة الإمام دائمًا وينسبون ذلك إلى الصادق حيث يقول: «إن الصراط أمير المؤمنين ومعرفته»[٥].

---

(١) مرآة الأنوار ص١٢١ .
(٢) مرآة الأنوار ص١٢٨ .
(٣) مرآة الأنوار ص١٣٤ والقمي ص٧٣٠ .
(٤) البرهان للبحراني ج٣ ص٧٩٠، ومجمع البيان للطبرسي ج٢٠ ص٢٧٣ .
(٥) القمي ص٢٦ وتفسير الصافي ص٥٤ .

٧٢- لفظ (الصهر): في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤] هو علي بن أبي طالب في تفسير الشيعة[١].

حرف الضاد

٧٣- لفظ (الضلال): يفسر دائمًا بالذين ضلوا في علي فمثلًا قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ [النساء:٤٤] قال القمي: ضلوا في أمير المؤمنين وأخرجوا الناس من ولايته، وكذا في قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧][٢].

حرف الطاء

٧٤- لفظ (الطامة) تفسرها الشيعة بخروج الدابة التي هي علي بن أبي طالب عند قيام القائم وبهذا يفسرونها في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ [النازعات:٣٤][٣] ولا يخفى أنها القيامة.

حرف الظاء

٧٥- لفظ (الظالم) وكل ما يشتق منه تفسره الشيعة حيثما وقع بمن ظلم آل محمد حقهم فمثلًا قوله: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يضيفون بعدها آل محمد حقهم، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ هو أبو بكر عندهم[٤].

حرف العين

٧٦- لفظ (العروة) في قوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦]

---

(١) مجمع البيان ج١١٩ ص١١٧ ومرآة الأنوار ص١٤٣ .
(٢) القمي ص٢٦ ، ١٢٨ .
(٣) مرآة الأنوار ص١٥٣ .
(٤) القمي ص٤٦٥ .

هي الولاية في تفسير الشيعة[1].

٧٧- لفظ (العين) في قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه:٣٩] هو علي ويروون عنه (أنا عين اللَّه ولسانه الصادق ويده»[2].

٧٨- لفظ (علامات) تفسر حيثما وقعت بالأئمة ففي قوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل:١٦] ويروون عن الباقر: «إن اللَّه نصب عليًّا بينه وبين خلقه» وعن أبي عبد اللَّه (النجم رسول اللَّه والعلامات الأئمة»[3].

حرف الفاء

٧٩- لفظ (الفساد): وما يشتق منه يفسر عندهم بحبطر- يعني: أبو بكر-، وزريق -يعني: عمر- ودلام- يعني: عثمان[4]. ونعوذ باللَّه من سوء الأدب مع خيرة أصحاب رسول اللَّه ﷺ.

حرف القاف

٨٠- لفظ (القارعة): تفسر بالنقمة بسيف علي عند قيام القائم عندهم[5].

٨١- لفظ (القبلة) تفسر بالأئمة ويروون عن الصادق (نحن قبله اللَّه ونحن كعبة اللَّه»[6]

٨٢- لفظ (القربى والقرابة): تفسر بالإمام واليتامى والمساكين وابن السبيل، هم أيتام آل محمد خاصة ومساكينهم وأبناء سبيلهم حيثما وقع ذلك في القرآن[7].

---

(١) تفسير القمي ص٧٥ ومرآة الأنوار ص١٦٦ .
(٢) تفسير البرهان ج٤ ص٩٣٩ .
(٣) تفسير القمي ص٨٥٨ والصافي ج٢ ص٢٨٢ .
(٤) انظر: تفسير مرآة الأنوار ص١٨٢ والقمي ص٥٦٥ .
(٥) (٦) مرآة الأنوار ص١٨٣ .
(٧) القمي ص١٢٦ ، ص٢٥٤ .

حرف الكاف

٨٣- لفظ (الكتاب) يفسرونه حيثما وقع في القرآن بعلي بن أبي طالب[١].

٨٤- لفظ (الكلب) يفسر حيثما وقع عندهم بعمر بن الخطاب حسب الأخبار عندهم[٢].

٨٥- لفظ (الكلمة) تؤول بالأئمة حيثما وقعت إذا كانت جمعا، فإن أفردت فهي في علي وحده[٣] وهذا يوضح لنا مدى التأثر بالمسيحية في إطلاق الكلمة على المسيح عليه السلام.

حرف الميم

٨٦- لفظ (المثاني) هم الأئمة عندهم فعن الباقر (نحن المثاني التي أعطاها اللّه نبينا»[٤].

٨٧- لفظ (المشرق والمغرب) عن الصادق: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ الرسول وعلي: ﴿وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ الحسن والحسين[٥].

حرف النون

٨٨- لفظ (النحل) يروون عن الصادق (نحن النحل التي أوحى اللّه إليها) وعلي هو يعسوب المؤمنين[٦].

٨٩- لفظ (النعمة) تفسر بالأئمة حيثما وقعت في القرآن عند الشيعة[٧].

---

(١) انظر: تفسير الأصفهاني ص١٨٥ والقمي ص٢٧ .
(٢) مرآة الأنوار ص١٩٢ .
(٣) تفسير القمي ص١٥١، ص٢٤٨، ص٢٩٠، ص٦٠٢ .
(٤) القمي ص٣٥٣ والبرهان ج٣ ص٨٠١ .
(٥) تفسير القمي ص٦٥٨ .
(٦) القمي ص٣٦٢ .
(٧) الصافي ج١ صـ٢٧٣ والقمي ص٣٥١ .

حرف الواو

٩٠- لفظ (والد) يفسرونه بالحسن والحسين[١] في قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨].

٩١- لفظ (الوجه) يفسرونه بالإمام ويروون عن الباقر (نحن وجه اللّه نتقلب في الأرض بين أظهركم»[٢].

٩٢- لفظ (الوحي) حيثما ورد في القرآن يفسرونه بنحو: ما أوحينا إليك في شأن علي[٣].

حرف الياء

٩٣- لفظ (اليسر، والعسر) يروون عن الباقر قال: «اليسر أمير المؤمنين، العسر[٤] فلان وفلان) يعنون بذلك أبا بكر وعمر ﷺ، وأستغفر اللّه وأتوب إليه من حكاية هذه التفاهات ومن صنيع هؤلاء القوم في تحريفهم لكلام اللّه عن مواضعه.

هذا: ولقد أسهبت -عن عمد- في حكاية أقوال المفسرين وذكر الأمثلة من التفسير الباطني عند الشيعة وذلك لأن أكثر تفاسيرهم قد تخصصت في هذا الجانب وأهملت تمامًا معاني القرآن التي تفهم منه بحسب اللغة التي نزل بها نورًا وهداية ولكي أعطي القارئ أيضًا صورة واضحة عن منهج الشيعة في تفسير القرآن فيما يسمونه تفسيرا باطنيًّا، ولكى يقف القارئ بنفسه على هذه المعاني التي تريد الشيعة أن تركز عقيدتها من خلال التفسير متلاعبة بألفاظ القرآن على حسب أهوائها ضاربة بمعانيه الصحيحة عرض الحائط، متزرعة في ذلك بحب الأئمة من آل البيت فأساءوا إلى الإسلام وإلى القرآن وإلى الأئمة من آل محمد ﷺ ويمكن تلخيص منهج الشيعة

---

(١) تفسير الأصفهاني ص٣٨ .
(٢) البرهان ج٤ ص١٠٧٠ .
(٣) القمي ص٢٨٥، ص٢٩٢، ص٣٨٦ .
(٤) تفسير البرهان ج١ ص١١٥ .

في التفسير الباطني فيما يلي:

١- القرآن له ظهر وبطن ولكل بطن بطن إلى سبعة وسبعين بطنًا وربما طاشت البطون فبلغت سبعين ألفا، وذلك جار في كل فقرة من كتاب اللّه تعالى، وجميع باطن القرآن في الدعوة إلى الولاية والإمامة كما أن ظاهره في الدعوة إلى التوحيد والرسالة وكل آيات المدح والإكرام ففي أئمة الشيعة وأتباعهم نزلت، وكل آيات الذم والتوبيخ ففي أعدائهم ومخالفيهم وردت بل جميع الكتب الإلهية والشرائع السماوية جارية على هذا المنوال في شأن أئمتهم تنويهًا بفضلهم، وفي أعدائهم للحط من شأنهم.

٢- يجب على الإنسان أن يؤمن بهذا الباطن الذي تدعيه الشيعة تفصيلًا فيما جاء تفصيله عن الأئمة- عندهم- وإجمالًا فيما لم يرد فيه تفصيل، ويجب تصديق ذلك وإن لم يفهم معناه، ومن رد منه شيئًا فقد كفر، كمن رد شيئًا من ظاهر القرآن.

٣- علم هذا الباطن عند الأئمة وحدهم، أو خواص شيعتهم أما الناس فلا شبهة عند الشيعة في أنهم قاصرون عن إدراك الظاهر من القرآن فضلًا عن بواطنه، كما أن الأئمة كانوا يصرحون أحيانًا بهذه المعاني الباطنة لخاصة شيعتهم، وأحيانًا كانوا يحجبون ذلك عنهم إلى أن يقوم القائم الذي ينتظرونه حيث سيحصل من المعجزات والانقلابات الكونية ما يحمل الناس على الإذعان بهذه البواطن ويتبين لهم المراد الصحيح من الآيات.

٤- السر في كون الإمامة والولاية جاءت بطريق الباطن هو بزعمهم ما علمه اللّه من التحريف الذي سيقع في القرآن من الصحابة حيث أسقطوا عمدا ما ورد صريحًا في شأن أهل البيت، ومجيء الباطن في الولاية- في نظر الشيعة- أظهر دليل على إعجاز القرآن حيث لا سبيل لأحد إلى تحريف الباطن.

٥- لا تقتصر المعاني الباطنية على أهل زمان معين بل كل تأويل يجري على أهل زمان وهكذا إلى آخر ما تحتمله بطون الآيات التي لا نهاية لها من تأويلات.

٦- تتناسب المعاني الظاهرة مع المعاني الباطنة بدعوى أن المعاني الباطنة

استعمل فيها اللفظ على سبيل المجاز أو الاستعارة أو الكناية، وهذا لا غرابة فيه إذ أن باب المجاز في اللغة واسع وسائغ ولو كان ذلك شاملًا للقرآن كله من حيث المعنى الباطني، وعليه فالمراد بالظاهر حقيقة في اللفظ، والمراد بالباطن مجاز فيه، وأخف من ذلك أن تكون أول الآية في شيء بحسب الظاهر مثلًا، وآخرها في شيء آخر بحسب الباطن، هكذا في نظرهم.

٧- كثيرًا ما يأتي التعبير على سبيل العموم ويكون المراد خصوص بعض الأفراد بحسب الباطن، فلفظ «الكافرين» مثلًا يراد به خصوص من كفر بالولاية، و«المشركين» مثلًا يراد به خصوص من أشرك مع الإمام من ليس بإمام وهكذا.

بل قد يراد بالخطاب بحسب الباطن غير ما يفهم من الظاهر بالمرة وإن لم يسبق له ذكر، حيث نزل القرآن- بزعمهم- على «إياك أعني واسمعي يا جارة» بل قد يعود الضمير على من لم يسبق له ذكر مثل: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥] أي: بدل عليًّا، كما مر.

٨- كل ما علم اللَّه صدوره من الأمة أشار إليه بحسب الباطن وهذا هو ما يفهم من قصص القرآن حيث حكى لنا من قصص السابقين ما سيحدث نظيره في هذه الأمة في شأن الأئمة ويفهمون ذلك من قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ أي: لتغدرن بالأئمة كما غدر من قبلكم بأوصيائهم، ومن قوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ فقوم موسى هم أهل الإسلام بحسب الباطن، والأمة التي تهدي بالحق هم الأئمة وأشياعهم وهكذا.

٩- كل مأمور به في الظاهر له نظير مأمور به في الباطن في نظرهم يجب الإيمان به فالصلاة مأمور بها في الظاهر ونظيرها في الباطن معرفة الإمام، والجناية في الظاهر معروفة، وفي الباطن عدم معرفة الإمام، وقضاء التفث في الظاهر معروف وفي الباطن هو لقاء الإمام، والتوبة في الظاهر هي الرجوع عن المعاصي وفي الباطن هي الرجوع عن موالاة الطواغيت بزعمهم إلى ولاية الأئمة، والمأمورات عموما بواطنها موالاة الأئمة، والمنهيات بواطنها إجتناب أئمة الجور، وكل عبادة لم يقصد فيها موالاة

الأئمة فهي باطلة، وعليه فالمأمورات والمنهيات أشبه بالرموز الدالة على الأئمة وولايتهم.

١٠- التأويل الباطني يجعل لفظ الجلالة والإله والرب وكل ما جاء التعبير عنه بضمير الجمع مسندًا إلى اللَّه مرادًا به الإمام أو الأئمة معه بل قد يراد به الأئمة وحدهم وذلك فيما لا يجوز نسبته إليه تعالى مما يوهم التشبيه والتجسيم والغضب والرضا والسخط واليد والعين والوجه فالمراد بكل ذلك هم الأئمة وحدهم، وفي ذلك دلالة على عظم شأنهم لأنهم خاصته والأدلاء عليه وهذا باب فتحته الشيعة للغلو لا نهاية له في الأئمة.

١١- التأويل الباطني كشف لنا الكثير مما كنا نجهله من مقام علي وبنيه حيث تبين أن مقامهم فوق الإمكان بخلاف مقام الأنبياء والمرسلين فإن مقامهم مقام إلى مكان ولقد كانوا في أشرف بقاع العرش قبل أن يخلق آدم،وما تاب اللَّه عليه إلا بتوسله بهم، وهم أوتاد الأرض بهم نرزق وبهم نمطر ولأجلهم خلق اللَّه الأكوان وهم يتصرفون في الناس يوم فصل القضاء، ولذلك فكل من أخبر عن شيء من فضائلهم فهو صادق كائنًا من كان.

١٢- التفسير الباطني جعل كل القرآن والأكوان يدور في فلك الولاية والإمامة، فالقرآن في التفسير الباطني نوعان: نوع في الإشادة بذكر الأئمة والتنويه بفضلهم والإشارة إليهم، ونوع في الحط من أعدائهم ومخالفيهم- في نظر الشيعة- أما الأكوان فحوادث الزمان يتكيف وضعها بحسب موقفها من الإمامة والولاية، والأرض والسموات والجبال والبحار والأنهار والأشجار وما خبث من المخلوقات وما طاب وغير ذلك يتكيف وضعه حسب قبوله ولاية الأئمة أو رفضها وقد مر في الأمثلة مصداق ذلك كله.

وقبل مناقشة هذا التفسير الباطني عند الشيعة أرى سؤالًا يفرض نفسه يتطلب الجواب وهو: هل للقرآن بطن، وما حد هذا الباطن إن وجد؟

وأقول: ذكر السيوطي في الإتقان عن الفريابي بسنده عن الحسن- يعني

البصري- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع**»[1] وهذا كما ترى من مراسيل الحسن التي قال العلماء عنها أنها مثل الريح، يعني: لا تعتمد، ثم قال السيوطي: «وأخرج الديلمي من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعًا: «القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاج العباد»[2] وهذا أيضًا من رواية الديلمي وكتابه ليس من الكتب الستة ولا يؤخذ ما جاء فيه حجة إلا بعد فحصه، ولم يذكر لنا السيوطي السند حتى يتبين حاله ثم قال السيوطي: «وأخرج الطبراني وأبو يعلى والبزار وغيرهم عن ابن مسعود موقوفًا: «**إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا له حد ولكل حد مطلع**»[3] وهذا الموقوف إن صح سنده فليس فيه ذكر لباطن القرآن، وعليه فهذه الأحاديث لا تفيد علمًا بأن للقرآن ظهر وبطن، وعلى فرض إفادتها ذلك فإن كل ما قيل في معناها أوجه:

١- أنك إذا بحثت عن باطنها وقسته على ظاهرها وقفت على معناها، وهو قول الحسن البصري.

٢- أنه ما من آية إلا عمل بها قوم ولها قوم سيعملون بها. قاله ابن مسعود رضي الله عنه.

٣- أن ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها.

٤- أن القصص ظاهرها الإخبار بهلاك الآولين وباطنها عظة للآخرين، ورجحه السيوطي والزركشى[4].

ثم قال السيوطي: «وحكى ابن النقيب قولًا خامسًا، أما ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر وبطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق»[5].

وعلى جميع هذه الأوجه فليس في القرآن باطن يخالف الظاهر بالصورة التي

---

(١) (٢) (٣) الإتقان للسيوطي ج٤ ص٢٢٥ النوع الثامن والسبعون.

(٤) الإتقان في الموضع المذكور، والبرهان للزركشي ج٢ ص١٦٩ النوع الحادي والأربعون.

(٥) الإتقان ج٤ ص٢٢٥ النوع الثامن والسبعون.

رأيناها في تفاسير الشيعة، إذ أقصى ما في هذه الأوجه أن للقرآن أسرار تفهم من وراء ألفاظه الظاهرة والمدخل إليها إنما هو ظاهر القرآن كما في قول الحسن وهذا هو ما وضحه لنا بجلاء حجة الإسلام الغزالي حيث قال «النقل والسماع لابد منه في ظاهر التفسير أولًا ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط، واستخراج الغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن أدعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب، أو يدعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك، فإن ظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لابد منها للفهم».

ومعنى الباطن الذي يقصده حجة الإسلام هو تحرى الدقائق التي تكون في طي الألفاظ القرآنية والأسرار التي لا يدركها إلا الراسخون في العلم كل بمقدار طاقته بعد فهم ظواهر الألفاظ على قواعد العربية وعلى ما صحت به الأخبار عن الذي أنزل عليه الكتاب ليبين للناس ما نزل إليهم.

ثم يقول الغزالى بعد ذلك في أسرار القرآن التي قد تنكشف للعلماء ما نصه:

«وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بعد غزارة علمهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب، ويكون للكل واحد حد في الترقى إلى درجة أعلى منها فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه، ولو كان البحر مدادا والأشجار أقلامًا فأسرار كلمات اللَّه ﷻ لا نهاية لها، فمن هذا الوجه يتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراط في معرفة ظاهر التفسير»[1].

وبيان معنى كلام الإمام في الباطن الذي يهدف إليه، وكيفية الوصول إليه، وما يجب اعتقاده في ذلك هو ما يلي:

أولًا: أنه اعتبر الظاهر طريق الباطن، وأنه لا سبيل إلى الدخول إلى الباطن إلا

---

(١) إحياء علوم الدين ج١ صـ٢٩٢ كتاب آداب تلاوة القرآن الباب الرابع في فهم القرآن.

من بابه وهو الظاهر، فالعلم بالباطن إذًا كسبي وإن كان يحتاج إلى صفاء روحي وإشراق نفسي بالرياضة الروحية وهي ممكنة، بخلاف ما ذهبت إليه الشيعة من أن معرفة الباطن طريق مسدود وباب مغلق دون الخلق إلا على الأئمة، وعلمهم ليس كسبيًا بل الهاميًا والناس ليسوا أهلًا لذلك.

ثانيًا: أنه جعل الباب مفتوحًا للوصول إلى الباطن فالراسخون في العلم يصلون إليه أو إلى مقادير منه كل بحسب استعداده فإن الوصول الكامل إليه ليس في طاقة البشر، ولو كان البحر مدادًا والأشجار أقلامًا ما بلغت منه شيئًا فيبقى من أسراره ما يطأ من العالم من غروره ويخشع، ويحد من كبريائه ويخضع، ويقول كما قالت الملائكة من قبل: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٣]، وليست معرفة جانب من هذه الأسرار وقفًا على أحد كما زعمت الشيعة بل الناس فيها سواء وإن كان الراسخون في العلم لهم المنزلة العليا والقدم الثابتة في هذا الجانب.

ثالثًا: أنه لا يجعل من حق أحد من العباد أن يقول: هذا مراد اللَّه سبحانه، فإن ذلك من البشر جميعًا- عدا من نزل عليه الكتاب لبيانه- تجاوز للحد، وخروج بالإنسان عن مقامه الذي يجب أن لا يتجاوزه، إذًا فالجزم بأي هذا هو مراد اللَّه فيما ينكشف من أسرار الكتاب الباطنية غير سائغ، والقطع بذلك غير جائز وهذا كما هو واضح مخالف لما ذهبت إليه الشيعة حيث زعموا أن المعاني الباطنية مرادة قطعًا، وإنكارها كفر صريح كالكفر بالظاهر تمامًا، وردها على الأئمة خروج على الملة بالمرة.

رابعًا: ما فتحة الغزالي من تعرف أسرار القرآن باب من أبواب إعجازه وفيه بيان لهذا الإعجاز، فإن القرآن قد اشتمل على حقائق كونية ونفسية واجتماعية وطبية وغير ذلك من أنواع المعارف المختلفة، وكلما تأمل علماء هذه العلوم فيما اشتمل عليه القرآن منها بل كلما ظهر لهم من أسرار هذه العلوم ما ظهر، ووازنوه بما أشار إليه القرآن من ذلك لا سيما مع ملاحظة زمان نزوله وظروفه في هذا الأوان ينتبهون لا

محالة إلى أن القرآن من عند اللّه لا شك في ذلك وهو الصدق المطلق، وهو الحق المبين، وهو جدير بأن يتحدى الأجيال كلها بما احتواه من هذه الحقائق، لا أن يتحدى من كانوا في عصر التنزيل وحدهم وأنه حجة اللّه القائمة على عباده إلى يوم القيامة.

أما الباطن الذي تقول به الشيعة فهو أمر تافه لا معنى له فضلًا عن أن يكون قد احتوى إعجاز القرآن بوجه من الوجوه.

هذا والذي قاله الغزالي وبينت المراد منه هو المعنى الذي يمكن قبوله في باطن القرآن أما الانحراف بالباطن فوق ذلك فهو كفر صريح وتحريف للكلم عن مواضعه، قد صرح العلماء بكفر صاحبه، فقد نقل السيوطي عن أبي عمرو بن الصلاح في فتاويه قال: «وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال: صنف أبو عبد الرحمن السلمي (حقائق التفسير) فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسيرًا فقد كفر، قال ابن الصلاح: وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئًا من ذلك أنه لم يذكره تفسيرًا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة في القرآن، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك منهم ذكر لنظير ما ورد به القرآن فإن النظير يذكر بالنظير، ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإيهام والإلباس[1] وقال النسفي في عقائده النصوص على ظاهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد، وقال التفتازاني: سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان باطنية لا يعرفها إلا المعلم[2].

ولا يخفى أن كلام ابن الصلاح هو على تفسير الصوفية الذي يمكن حمله على معنى صحيح ومع ذلك فلا يسمى تفسيرًا وإلا لسلك به صاحبه مسلك الباطنية الذين حكم بكفر من اعتقد منهم أن ذلك تفسيرًا أما كلام النسفي والتفتازاني فهو صريح في

---

(١) الإتقان للسيوطي ج٤ ص٢٢٣، والبرهان للزركشي ج٢ ص١٧٠ .

(٢) الإتقان للسيوطي ج٤ ص٢٢٤ .

كفر من فسر تفسير الباطنية وقد مر بنا في تفسير الاثنى عشرية أنه هو بعينه تفسيرًا لباطنية الملاحدة.

وعليه فإني أقول: بكل صراحة أن هذا التفسير كفر صراح وإلحاد بواح، يجب تنزيه كتاب اللَّه ﷻ عنه واللَّه ﷻ أنزه من أن ينزل كتابه فضلًا عن الكتب السابقة في هذه المعاني التافهة التي لا وجود لها إلا في عقول عشش فيها الجهل وأفرخ.

وذلك لأن المقصد الأسمى من الشرائع السماوية والكتب الإلهية هو إخلاص الدين للَّه وربط العباد بخالقهم، وتخليصهم من عبادة الأشخاص: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٣].

ومع احترامي للعترة الطاهرة من آل محمد فإن الشيعة قد تجاوزت في ادعاء حبهم الحد المعقول وارتفعت بهم فوق حدود البشر المخلوقين وضلال هذا على الشيعة وحدهم لا على العترة من آل البيت، فقد ضلت النصارى في المسيح فماضره ذلك شيئًا، وعلي وبنوه في عقيدة آهل السنة، أكرم عند اللَّه مما تقولته الشيعة عليهم، ولحسن ظننا بهم فإننا ننزههم عما ألصقته الشيعة بهم من أخبارحرفت كلمات القرآن عن مواضعها.

وألصقت معانيه بالتراب، فلتؤمن الشيعة بذلك إن شاءت، أما العترة والقرآن فهم أنزه عن ذلك «وأخبار الشيعة التي ينسبونها للعترة في ذلك فعلامة الكذب عليها أوضح من الشمس في جالية النهار ليس دونها سحاب، ولقد برهنت بحق وصدق على أن الشيعة أكذب خلق اللَّه على اللَّه ورسوله وعلى العترة من آل البيت وهم عار على بنى آدم فلقد حققوا بذلك رأى جهابذة أهل السنة فيهم، كما نقلته عن شيخ الإسلام ابن تيمية فيما تقدم[1]، والقوم على كل حال لا دين يردعهم ولا حياء يحشمهم، وقد صح في الحديث: «**إذ لم تستح فاصنع ما شئت**».

---

(١) انظر: ص١٦٢ من الرسالة.

وحقًّا ! فبأي دين يفهم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ أن المراد به هو الإمام علي أو أحد بنيه؟

وبأي عقل يفهم قوله تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل:٥١] أن المراد به لا تتخذوا إمامين اثنين في زمان واحد إنما هو إمام واحد.؟

ولمن تكون الرهبة إذًا يا ترى؟ سبحانك ربي هذا بهتان عظيم !

ماذا بقى من ألفاظ الجلالة والإله والرب خاصًّا في القرآن باللَّه خالق الأكوان؟

وما هوالضابط الذي يمكن أن نعرف به أمثال هذه الألفاظ إلى الإمام أو إلى الخالق؟

لم يذكر الشيعة ضابطًا، وحيث لا ضابط فلا فرق إذًا بين أن تفسره بالإمام أو باللَّه خالق الأكوان، لا شك أن ذلك سائغ عندهم، فإنهم قالوا كل الضمائر التي هي للجمع في القرآن مسندة إليه تعالى مراد بها الأئمة مع اللَّه، بل خصوها في كثير من المواضع بالأئمة وحدهم، زعموا ذلك في الآيات التي تسند صفة إلى اللَّه لايجوز اعتقاد ظاهرها مثل اليد والعين، وعليه فقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥] يجب نسبة الخلق- على مذهبهم- إلى الإمام، إذ لا يصح عندهم إسناد اليد إليه تعالى، وقوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة:٦٠] مراد به الإمام لأنه هو الذي يغضب حيث لا يصح نسبة ذلك إلى اللَّه وعليه فالإمام هو الذي جعل منهم قردة وخنازير- على متقضى كلام الشيعة- وعليه فقوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ يعني: كل شيء يفنى إلا الإمام فإنهم صرحوا كما تقدم بأنه المراد بالوجه، وعليه فهو ذو الجلال والإكرام في قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٧].

هذه لوازم لا ينفك الشيعة عنها بحال، بل هي صريح كلامهم كما تقدم، وهل بعد هذا ضلال؟ وهل هناك كفر أقبح وشرك أصرح من ذلك؟

الشيعة لا يستحيون من هذا ولا يتورعون منه فقد كذبوا على الأئمة فيما هو

أصرح من ذلك فيما جاء في الكافي عن الصادق قال: «كنا عند اللّه ربنا ليس عنده أحد سوانا ما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا، ثم بدا له في خلق السموات وخلق الأرض فخلق ونحن معه) وفيه عن الصادق أيضًا قال: «إني أعلم ما في الجنة وما في النار وأعلم كل ما كان وما يكون ولو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنى أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس لهما»[1]

اللّهم إن هذا كفر واضح وجهل فاضح تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا أن دعوا لعالم الغيب والشهادة عضدًا إمامًا يشاركه في الخلق ويعلم ما يعلمه من الغيب والشهادة !!

وأحسب أن الشيعة معذورون في ذلك حيث وضع لهم إبليس هذه الأكاذيب على الأئمة، وهي صريحة في أنهم يخلقون مع اللّه ويعلمون ما يعلم، فعجل له خوار وهو مصنوع من الحلي قد بهر اليهود أمره، واستولى عليهم العجب والدهشة، فقيل لهم: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ فصدقوا وخروا له سجدًا، وقالوا: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١].

فكيف بإمام يخلق مع اللّه ويعلم علمه، مفوض منه تعالى، يملك رقاب الناس وبيده مفاتيح الجنان ويلقي في جهنم كل كفار عنيد؟

لم يبق إذًا مجال للشك أو التردد في الحكم ببطلان كل أخبار الشيعة وكل ما ورد عندهم في تأويل الآيات وتنزيلها، وفي ظهر القرآن وبطنه، وأن كل ذلك استخفاف بالقرآن ولعب بالآيات وتحريف للكلم عن مواضعه، إن دلت على شيء فإنما تدل على جهل قائلها وكفر من افتراها، ولو صح منها تأويل واحد فلا قرآن ولا إسلام ولا شرف لأهل البيت، واحترامًا للإسلام وإبقاء على قدسية القرآن ننكر كل أخبار

---

(١) انظر: الشيعة صـ٩٣، وقد مر أن زرارة بن أعين أرسل إلى الصادق يسأله أن يخبره عن حاله؟ فقال: هو من أهل النار فقيل للصادق من أين علمت؟ فقال: إن من اعتقد أني أعلم ذلك فهو من أهل النار ص٥٠ من الرسالة وهو صريح في أن الصادق قد نفى عن نفسه علم الغيب وحكم بكفر من اعتقد فيه ذلك.

الشيعة في ذلك ونرفض كل هذه التأويلات.

وذلك لأن الباطن الذي تقول به الشيعة مما لا يحتمله القرآن لا بالعبارة ولا بالإشارة ولا يجوز أن يقوم عليه دليل من عقل أو نقل، ولم أجد فيه حتى ما يستحق المناقشة حيث لا دليل ولا شبه دليل فيه يمكن مناقشته، بل ينقضه كله صريح القرآن وصحيح المنقول عن رسول اللَّه ﷺ وما عرف به واشتهر العترة من آل البيت ﷺ وإنما هو شيء يتفق مع أذواق الشيعة ومشاربهم خاصة، ويتلاءم مع ما ارتضوه دينا لهم حسبما سولت أنفسهم لهم ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨].

نعم فإنهم احتجوا لباطلهم هذا بأن المعاني الباطنة استعمل اللفظ فيها على سبيل المجاز والاستعارة والكناية، وظنوا أن ذلك يسوغ لغة، وأنهم قد وجدوا مبررا يروجون به باطلهم على الناس، وقد يغتر بذلك البعض بحجة أن المجاز باب واسع في اللغة لا حد له ولكن الحقيقة أن الشيعة قد برهنت بذلك على أنهم أجهل الناس باللغة التي نزل بها القرآن ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ٢].

وبيان ذلك أن المجاز نوعان:

الأول: مجاز في التركيب ويسمى مجاز الاسناد، والمجاز العقلي، وذلك بأن يسند الفعل أو شبهه إلى غير ما هو له أصالة لملابسته له، فعلاقته الملابسة.

الثاني: المجاز في المفرد، ويسمى المجاز اللغوي، وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له، وعلاقته الشبه.

ولابد في المجاز بنوعيه من علاقة بين المعنى الأصلى والمعنى المجازي، وقرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، هذا هو المجاز في استعمال اللغة العربية له كما هو مقرر.

ونحن بتطبيق المجاز بنوعيه- مع مراعاة شروطه- على التفسير الباطني عند الشيعة نجد البون شاسعًا، فأي علاقة مثلًا بين الضمائر المسندة إليه تعالى التي لا تحتمل غيره وبين كونها تشمل الأئمة معه فضلًا عن اختصاصها بهم من دون اللَّه تعالى؟

وأي علاقة بين ما أضافه تعالى لنفسه من الإطاعة والرضا والغنى ونحو ذلك وبين كونها مرادًا بها طاعة الإمام ورضاه وغناه؟

قطعا لا علاقة هناك،وعلى فرض أن الشيعة ستدعي علاقة بوجه ما، وعلى فرض تسليمها، فأين القرينة الصارفة للفظ عن حقيقته المانعة من إرادة المعنى الأصلي له؟

إنهم زعموا أن ظاهر اللفظ حقيقة وباطنه مجاز في الأئمة، ولو تكلفوا علاقة ما فأين القرينة المانعة من إرادة الحقيقة وهي هنا ظاهر اللفظ؟

لا يمكن للشيعة أن يدعوا في هذا المجاز قرينة تمنع من إرادة ظاهر القرآن، وإلا لكفروا بالظاهر، وهم يزعمون أن الإيمان بالظاهر والباطن على حد سواء، ومن كفر بأحدهما كفر به كله !

وإذا بطلت القرينة ولا يمكن ادعاؤها بحال بطل المجاز في المعنى الباطني للتفسير الشيعي لأنه لا مجاز بلا علاقة وقرينة كما يعرفه من له إلمام بقواعد اللغة في المجاز.

ثم إن استعمال اللفظ إما على سبيل الحقيقة وهو الأصل والغالب، وإما على سبيل المجاز لعلاقة وقرينة مانعة من إرادة حقيقته وإذا استعمل في الحقيقة امتنع إرادة المجاز منه حينئذ وإذا استعمل في المجاز امتنع كونه على حقيقته كما هو معروف.

أما الشيعة فإنهم قالوا: ظاهر اللفظ القرآني حقيقة مرادة، وباطنه مجاز مراد أيضًا فجمعوا في اللفظ الواحد وفي الاستعمال الواحد بين إرادة الحقيقة والمجاز معًا، وهذا ما لا نعرفه في اللغة العربية من المجاز، لأنه جمع بين الضدين وتأليف بين النقيضين !

ثم لماذا كل هذا التكلف والعنت في هذه الدعوى التي أدت إلى كل هذه المستحيلات وقد تقرر أيضًا أنه لا يعدل إلى المجاز إلا إذا تعذر الحمل على الحقيقة لأنها الأصل والغالب، والحقيقة هنا- وهي ظاهر اللفظ- غير متعذرة- بل

هي المتعينة، والمعنى المجازي بحسب التأويل الباطني للشيعة هو المتعذر بل هو المستحيل !!

وعليه فدعوى المجاز في المعنى الباطني بمفهوم الشيعة دعوى باطلة لا تعرفها لغة القرآن وإذا بطلت دعوى المجاز بطلت كذلك دعوى الاستعارة لأنها نوع من المجاز، قال السيوطي «زوج المجاز بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة، فهي مجاز علاقته المشابهة[1] وإذا بطلت دعوى المجاز والاستعارة في نسبة المعنى الباطني الشيعي إلى المعنى الظاهري بطلت أيضًا دعوى الكناية في هذه النسبة، لأنها إن كانت من قبيل المجاز، فقد مر بطلانه، وإن كانت من قبيل الحقيقة كما هو اختيار عز الدين بن عبد السلام[2] فهو أغرق في البطلان، وأظهر في الاستحالة، لأن اللفظ حينئذ يكون قد استعمل في معنى ظاهر مراد وباطن مراد في آن واحد، والمعنيان مختلفان، والحقيقتان متنافرتان، والحقائق لا تختلف وإن اختلفت الطرق المؤدية إليها فكيف والطريق هنا واحد، وهو اللفظ الواحد الذي استعمل في حقيقتين مختلفتين في آن واحد؟ ولنضرب لذلك مثالًا من تفسيرهم الباطني لتوضيح ذلك فأقول:

إنهم قالوا في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ إنه بحسب الباطن كناية عن الإمام، فالآية بحسب الظاهر حقيقة في الإله خالق الأكوان، وبحسب الباطن حقيقة في الإمام، وهما متغايران تغاير الخالق للمخلوق والرب للمربوب، بل لا يجوز إطلاق لفظ الإله على الإمام ولو بحسب المجاز كما مر فكيف بأطلاقه على حسب الحقيقة؟ فضلًا عن الجمع بين إطلاقه على اللّه وعلى الإمام حقيقة فيهما معًا في آن واحد، هذا ولقد دفع الشيعة حرصهم على تركيز عقيدتهم بأى وسيلة من خلال التفسير أن تركوا المعنى الظاهر وأخذوا بالمعنى الباطن فقط مع أنهم يعلنون دائمًا أن من ترك الظاهر فقد كفر وذلك حينما قالوا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٤]. إن

(١) الإتقان ج٣ ص١٤٨ .

(٢) البرهان للزركشي ج٢ ص٣٠٢ .

المراد به غير النبي مع أن الظاهر يأبى إلا النبي ﷺ بدليل قوله. قبلها: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ وبعدها: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ فهل غير النبي هو الذي أوحي إليه، وتجري عليه سنة المرسلين من قبله؟

كذلك دفع الشيعة حرصهم على ترويج معتقداتهم أن تلاعبوا بألفاظ القرآن وفتحوا على أقوامهم مجالات للانحرافات العقائدية، وذلك حينما خصصوا عموم الكتاب بلا مخصص بناء على أوهامهم وعقيدتهم الفاسدة، حيث زعموا أن لفظ «الكافرين» الذي يراد به عموم من كفر باللّه، والشيعة يقولون إنه مراد به خصوص من كفر بولاية علي، ولفظ «المشركين» الذي يراد به العموم أيضًا مراد به عندهم خصوص من أشرك مع علي أحدًا في ولايته وهكذا كأن الكفر بالولاية والشرك فيها أهم وأخطر من الكفر باللّه والشرك به!

ولا أدري إلى أي: مدى تغرق الشيعة في هذا الضلال!

وأيضًا فإن الشيعة بهذا التفسير قد ضربوا باللغة العربية التي نزل بها القرآن عرض الحائط فقد رأينا مثلًا أنهم أرجعوا الضمير لغير مذكور ولا معهود في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس:١٥] قالوا: أي: بدل عليًّا مع أنه لم يجر له ذكر في الآية فضلًا عن السورة فضلًا عن القرآن كله، فضلًا عن أن يكون معهود لدى السامع، وقد يعود قليلًا على غير مذكور ولا معلوم بالسياق، لكنه معهود ويسمى حينئذ بالضمير المجهول ويلزمه التفسير بجملة أو مفرد، فالمفرد في (نعم وبئس) والجملة ضمير الشأن والقصة نحو: هو زيد منطلق وكقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١] الشأن اللّه أحد، والفرق بينه وبين ضمير الفصل أن الفصل يكون على لفظ الغائب والمتكلم والمخاطب ويكون له محل من الإعراب، وضمير الشأن لا يكون إلا غائبًا مرفوع المحل ومنصوبه[1]، أما الضمير الذي في الآية: ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ فليس بمجهول، ولا من هذا القبيل، لأنه لم يفسر بمفرد ولا

(١) انظر: البرهان للزركشي ج٤ ص٣٠.

جملة ولأن مرجعه- وهو القرآن- مذكور قبله مباشرة، ويأبي السياق سوى ذلك فإلى أين تذهب الشيعة بعقول الناس؟

كذلك حمل هذا التأويل الباطني الشيعة على مغالطة الحقائق التاريخية الثابتة في كثير من المواطن ففسروا آيات نزلت بمكة بأحداث يدعونها وقعت في المدينة بعد الهجرة بسنوات عديدة بل فسروا آيات بأنها نزلت في أحداث لم تجر إلا في خلافة على بعد وفاة النبي بعشرات السنين كما تقدم.

بل أعماهم الهوى أحيانًا في تطبيق آيات على أعدائهم ومخالفيهم بزعمهم، وهي إن صح تأويلهم فيها فإنها لا تنطبق إلا عليهم كما قالوه في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [الإنشقاق:١٩]، أي: لتركبن سنن من كان قبلكم من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء، ومن من المسلمين غدر بالأوصياء- بزعم الشيعة- غير الشيعة أنفسهم؟

أليس حالهم مع علي ﷺ معروفا، وخطبه فيهم في نهج البلاغة عندهم شاهدة بذلك[1] أليسوا هم الذين خذلوا الحسن حتى ألجئوه إلى ترك الخلافة بعد أشهر قلائل[2] أليسوا هم قاتلى الحسين بن علي والمتسببين في ذلك؟[3].

**** والخلاصة: أن التفسير الباطني عند الشيعة قد حوى من البلايا ما يلي:**

١- الطعن على صحابة رسول اللَّه ﷺ بطريقة مكشوفة تنم عن حقد دفين وبغض مشين لهم، ومحاولة إيجاد ثغرة من القرآن تخدم الشيعة في ذلك بأى وسيلة وهيهات لهم ذلك! فإن صريح الآيات تعتبر أوسمة شرف للصحابة ناطقة بفضلهم أبد الدهر رغم أنف الشيعة، وسيأتي في محله بيان ذلك بالتفصيل.

٢- التفسير الباطني: تحريف ظاهر لكتاب اللَّه لا دليل عليه من عقل أو نقل، بل الدليل على خلافه ولقد ذهبت به الشيعة مذهب اليهود والنصارى في كتبهم.

---

(١) انظر: ص٣٩ من الرسالة.

(٢) انظر: ص٤٢ من الرسالة.

(٣) انظر: ص٤٣ من الرسالة.

٣- ما تذرعت به الشيعة في ذلك من كون هذا التفسير سائغا لغة من قبيل المجاز أو نحوه قد تبين بطلانه ومغالطة الشيعة في ذلك واضحة وأنهم أرادوا ترويج هذه الأباطيل بهدم معاني الكلمات وتحطيم لغة القرآن من غير وازع من دين أو خلق.

٤- أوضح لنا التفسير الباطني غلو الشيعة في الأئمة من آل البيت غلوًا فاق كل تصور وهذا ما يرفضه الإسلام ويهدمه صريح القرآن.

٥- وضح لنا التفسير الباطني عند الاثنى عشرية مدى الترابط بينهم وبين ملاحدة الباطنية فالمشرب واحد، وما ترتب على دعوة الباطنية يمكن أن يترتب على هذا التفسير الباطني سواء بسواء وقد أثبت لنا التاريخ ما وقع من جراء هذه النزعة ممثلًا في البابية والبهائية والقاديانية وما جروه على المسلمين من بلاء.

٦- أوضح لنا المفسرون من الشيعة بهذا التفسير الباطني كيف يضل علماء الشيعة أتباعهم ويلبسون عليهم دينهم باختلاق هذه الأكاذيب افتراء على اللّه ورسوله والعترة من آل بيته، فحجبوا بذلك نور القرآن وضياءه عن قلوب الناس.

٧- لجأت الشيعة إلى هذه المعاني الباطنية لما لم تجد في ظاهر القرآن ما يخدمهم في قليل ولا كثير فزعمت أن له بطنًا وضعوا من خلاله ما أرادوا وضعه من عقائدهم بل زعموا أن ذلك لازم لما علمه اللّه من وقوع تحريف في القرآن، وهذه فرية أخرى هي موضوع الفصل القادم بعون اللّه.

★ ★ ★

النوع الأول

تفاسير الغلاة

الأول: تفسير الحسن العسكري:

وهو الحسن بن علي بن محمد علي بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب ﷺ أجمعين، والحسن هذا هو الإمام الحادي عشر في سلسلة الأئمة المعصومين عند الاثنى عشرية، وهو والد محمد بن الحسن المهدي المنتظر- بزعمهم وقد ولد الحسن في ١٠ ربيع الثاني سنة ٢٣٢ هـ بالمدينة على الراجح، وتوفي في ربيع الأول سنة ٢٦٠ هـ ودفن بجوار قبر أبيه بمدينة سُرَّ مَنْ رَأَى (سامرا) بالعراق ويقال له العسكري نسبة إلى مدينة العسكر وهي (سر من رأى) لأن المعتصم- الخليفة العباسي- لما بناها وانتقل إليها بعسكره قيل لها العسكر، ونسب الحسن إليها لأن المتوكل أشخص أباه عليًّا إليها وأقام بها مدة طويلة فنسب وولده الحسن إليها[1].

وقد عثرت على تفسيره بدار الكتب المصرية[2] فوجدته منسوبًا إليه ومرويًّا عنه برواية يعقوب بن يوسف بن محمد بن زياد، وأبي الحسن علي بن سيار، وهما من الشيعة الإمامية، وقد تليقا هذا التفسير وكتباه عنه-كما ذاكرا- في سبع سنين، ولهما في ذلك قصة تشبه الخرافة، ملخصها كما في مقدمة الكتاب قالا: كنا صغيرين وكان أبوانا إمامين، وكنا في إمارة الحسن الزيدي العلوي إمام الزيدية، وكانت الزيدية هم الغالبين باستراباذ، وكان كثير الإصغاء إليهم يقتل الناس لسعاياتهم، فخاف أبوانا الوشاية فخرجا بنا إلى الإمام الحسن بن علي أبي القاسم، فرحب بنا وأمننا على

---

(١) انظر: أعيان الشيعة ج ٤ ص ٢٨٨، ٣٢٥، وكتاب وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٣٩ .

(٢) تحت رقم (١٩٢٣٨ ب) وبهامشه كنز العرفان، بدرج (٣٩) فهارس عربية بدار الكتب الحديثة كورنيش النيل .

أنفسنا، ثم قال: خلفا علي ولديكما لأقيدهما العلم الذي يشرفهما اللّه به، وانصرفا ولا تحفلا بالسعاة والوشاة، فإن اللّه يقصم السعاة ويلجئهم إلى شفاعتكم فيهم عند من هربتم منه، فخرج أبوانا وخلفانا عنده، فأخبرنا أن اللّه نفذ ما وعده به في أبوينا، فأخذ يملي علينا تفسير القرآن فكتبناه مدة مقامنا عنده وهي سبع سنين، فكان أول ما أملى علينا خبرًا عن أبائه عن النبي قال: «أتدرون من المتمسك بالقرآن الذي ينال الشرف العظيم؟ هو الذي أخذ القرآن وتأويله عنا أهل البيت وعن وسائط الفقراء عنا إلى شيعتنا لا عن آراء المجادلين وقياس القايسين» ثم ذكر خبرًا آخر عن آبائه عن النبي ﷺ قال: «فضل اللّه القرآن والعلم بتأويله وبرحمته وتوفيقه لموالاة محمد وآله الطيبين، ومعاداة أعدائه» ثم أخذ في التفسير[1].

هذا والكتاب مطبوع في مجلد صغير يقع في (٢٨٦) صحيفة، وهو غير شامل للقرآن كله، فإنه ابتدأ بالفاتحة ثم شرع في تفسير سورة البقرة حتى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ آية ١١٤ منها وذلك في صحيفة (٢٣٦) منه، ثم بدأ من قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ (١٥٨) إلى قوله: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ (١٧٩)، وذلك حتى صحيفة (٢٥٤) منه، ثم بدأ من قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (١٩٨) إلى قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ (٢١٠)- وذلك عند صحيفة (٢٦٧) منه ثم بدأ من قوله: ﴿أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ﴾ (٢٨٢)- حتى قوله: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ (٢٨٣) وذلك عند نهاية التفسير صحيفة (٢٨٦) منه، هذا هو كل ما وجد منه منسوبًا إلى الحسن العسكري.

والتفسير في جملته ملئ بالخرافات، فضلًا عما فيه من غلو فاق كل تصور مما يجعل نسبته إلى هذا الإمام إنما هي زور وبهتان، ولنضرب لذلك بعض الأمثلة باختصارن فإن قصصه طويلة مملة:

---

(١) انظر: تفسير الحسن العسكري ص ٢، ٣.

قال عند تفسيره للاستفادة في أول الفاتحة ما ملخصه:

لما بنى النبي ﷺ مسجده وأشرع فيه بابه وأشرع المهاجرون والأنصار أبوابهم، أراد إبانة فضل محمد وآله الطيبين، فنزل جبريل بالأمر بسد الأبواب قبل أن ينزل بهم العذاب، فأمر العباس بسد بابه فسده ثم مر على فاطمة والحسن والحسين وهو جلوس على باب بيتهم في المسجد، فقال العباس لفاطمة: ما بالك قاعدة، انظروا إليها كأنها لبؤة بين يديها جرواها. فمر بهم النبي ﷺ فسألها فقالت: انتظر أمر رسول اللَّه بسد الأبواب فقال: «**إن اللَّه أمرهم بسد الأبواب واستثنى منها رسول اللَّه، وإنما أنتم نفس رسول اللَّه**»، ثم إن عمر استأذن في فرجة ينظر منها إلى الرسول وهو يمر إلى مصلاه فلم يأذن له، فلما ألح عليه قال له: «**أبى اللَّه ذلك ولو قلت مقدار طرف الإبرة، والذي نفسي بيده ما أنا أخرجتكم ولا أدخلتهم، ولكن اللَّه أدخلهم وأخرجكم، لا ينبغي لأحد أن يبيت جنبًا في هذا المسجد إلا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والمنتجبين من أولادهم الطيبين**»، قال العسكري: فاغتاظ المنافقون وقالوا: ألا ترون إلى محمد لا يزال يخص بالفضائل ابن عمه ليخرجنا منها صفرًا، واللَّه لئن أنفذنا له في حياته لنأتين عليه بعد وفاته، فسمع زيد بن أرقم كلامهم فأخبر الرسول بذلك فنزل قوله: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٨]. فأمر زيدًا فقال له: «**إن أردت أن لا يصيبك شرهم ولا ينالك مكرهم فقل إذا أصبحت: أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم، فإن اللَّه يعيذك من شرهم فإنهم شياطين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا**». وفي خبر آخر: «**فإن من قال ذلك أمن من الحرق والغرق، وإن ذلك شعار شيعتي وبه يمتاز أعدائي من أوليائي يوم خروج القائم**»، ثم ساق خبرًا أطول وفي نهايته: أن النبي قال للعباس: «**يا عم رسول اللَّه إن شأن علي عظيم، إن حال علي جليل، إن وزن علي ثقيل، وما وضع حب علي في ميزان أحد إلا رجح على سيئاته، ولا وضع بغضه في ميزان أحد إلا رجح على حسناته. . . . .**» الخبر[1].

---

(١) اختصار من ص ٥ ص ٧ على مدى ثلاث صفحات طوال.

مثال آخر: أغرق في الضلال من سابقه، وملخصه: أنه ذكر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] أن سلمان الفارسي مر على جماعة فسألوه عما سمع اليوم من الرسول فقال:

إنه أمرهم بالاستشفاع إلى اللَّه بمحمد وعلي ومن بعده الأئمة من ولده في قضاء الحوائج والنوازل، فقالوا لسلمان فهلا توسلت بهم لتكون أغنى أهل المدينة؟ فقال نعم توسلت بهم أن يهب لي لسانًا ذاكرًا وقلبًا شاكرًا، وعلى الدواهي، والبلايا صابرًا، قالوا نريد اختبارك فقاموا عليه ضربًا بالسياط حتى ملوا: فما وهن ولا استكان، ثم قاموا لمثلها وهكذا أربع مرات، وهو لا يزيد على قوله: «**اللَّهم اجعلني على البلايا صابر**» ثم طلبوا منه أن يدعوا عليهم بأن تقلب سياطهم حيات فتلقمهم، فامتنع رجاء أن يخلص منهم أحد ففرج له الحائط فرأى الرسول في مكانه فأمره بأن يدعو عليهم فانقلب العصى والسياط إلى حيات فالتقمتهم فأخبر النبي أصحابه فقاموا حتى شاهدوا المنظر، فقالت الحيات للنبي: السلام عليك يا محمد يا سيد الأولين والآخرين، السلام عليك يا علي يا سيد الوصيين وعلى ذريتك الطاهرين الذين جعلوا على الخلق قوامين، ثم قال الرسول لسلمان: «**أنت من خواص المؤمنين، ومن أحباب قلوب الملائكة المقربين، فأنت من أفاضل الممدوحين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾**»[1] اهـ ملخصًا من ثلاث صفحات طوال.

هذا والكتاب على هذا النمط من الخرافات حيث لا تخلو فقرة من القرآن عادة عن ذكر قصة من هذا القبيل الذي ما أنزل اللَّه به من سلطان، وهو يدور عمومًا على أمور ثلاثة:

١- ذكر خرافات كثيرة جدًا لا علاقة قطعًا للقرآن بها ألبتة مع إسهاب ممل يكاد يأخذ بخناق القارئ.

٢- التركيز على ولاية علي وبنيه من كل لفظ يحمل مدحًا لأي شيء كان ولو كان

---

(١) انظر: تفسير الحسن العسكري من ص ٢٤ حتى ٢٦.

حتى جمادًا لا يعقل.

٣- التركيز على الطعن على الصحابة من كل لفظ يحمل ذمًّا لأي شيء كان.

فهو تفسير باطني حوى عناصر الغلو بأجلى معانيها، حيث فاق كل تصور، هذا بالطبع إلى ما فيه من باقي عقائد الشيعة، وقد مر بنا أثناء البحث نقل الكثير منه في مناسبات متعددة.

ورأيي في هذا التفسير إن كان حقًّا من عمل الحسن العسكري فتلك أكبر شهادة على أنه لا علم عنده ولا كرامة، لأنه خرافة لا تصدر عن مسلم فضلًا عن رجل من آل البيت ولا محاباة لأحد في دين اللّه وكتابه تعالى.

واعتقادي أن هذا التفسير منحول على هذا الإمام الجليل، وبهذا صرح جمع من الشيعة، يقول البلاغي: «وأما التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري (ع) فقد أوضحنا في رسالة منفردة بشأنه أن مكذوب موضوع، ومما يدل على ذلك نفس ما في التفسير من التناقض والتهافت في كلام الراويين، وما يزعمان أنه رواية، وما فيه من مخالفة الكتاب المجيد ومعلوم التاريخ، كما أشار إليه العلامة في الخلاصة وغيره[1] هذا رأي المعتدلين فيه، بينما نرى غلاتهم يميلون بالطبع إلى صحة نسبته إليه.

يقول الكاشاني في مقدمة تفسيره: «إن أوائل السورة التي يذكر فيها البقرة أكثرها مأخوذ من التفسير المنسوب إلى مولانا الزكي أبي محمد العسكري الذي منه ما هو من كلامه، ومنه ما يرويه عن آبائه، فمنه ما أوردناه بألفاظه ومتونه، ومنه ما أوردناه بمعانيه ومضمونه، ومنه ما لفقناه من غير موضع منه، ثم منه ما نسبناه إليه، وما لم ننسبه إليه ولا إلى غيره فهو منه إلا نادرًا، وهو تفسير حسن لاسيما ما يتعلق منه بألفاظ القرآن ومعناه، وإن لم يقع موقع القبول عند جماعة من أصحابنا طاعنين في إسناده[2].

---

(١) منقول بحروفه من تفسير آلاء الرحمن للبلاغي ج ٣ ص ٤٩.

(٢) منقول بحروفه من تفسير الصافي للكاشاني ج ١ ص ٤٧ المقدمة الثانية عشرة في بيان ما اصطلح عليه من تفسير.

ولحسن ظني برجل ينسب إلى آل البيت أرجح كلام البلاغي في أن هذا التفسير موضوع مكذوب على هذا الإمام وفي هذا برهان ساطع على أن الشيعة أكذب خلق اللّه على أئمتهم، وسواء أخذنا بهذا أو بذاك فلا أدري أي الأمرين يطوح بالشيعة في مهاوي الضلال والهلاك!!

الثاني تفسير القمي:

هو الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي من علماء الطائفة في أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع الهجري، وهو شيخ ثقة الإسلام- عندهم محمد بن يعقوب الكليني الذي أكثر من الرواية عنه عن أبيه بسنده عن الأئمة في كتاب الكافي المشهور.

وهذا التفسير وجدته بدار الكتب[1] مطبوعًا ومخطوطًا، وكان أغلب اعتمادي على النسخة المطبوعة بطهران في ١٣١٣هـ لوضوحها، وهو جزء واحد في مجلد كبير عدد صفحاته (٧٤٥) بحجم متوسط.

وهذا التفسير من أكبر تفاسير الغلاة حيث قد حوى عناصر الغلو جميعها فهو تفسير باطني بالمقام الأول، ويجاهر بالتحريف في مواضع لا تحصى، وهو أول من حمل كل كلمة كفر أو نفاق أو شرك على الصحابة حيث يسميهم أعداء آل محمد، وقد مر بنا من الأمثلة ما يغني عن إعادته.

كما أنه له ولوع خاص بالرجعة حيث يحمل عليها كل لفظ فيه إيمان بالغيب أو اليوم الآخر أو يوم القيامة أو الطامة والصاخة والقارعة والحاقة والميعاد وكل ما هو كذلك يفسره بقيام القائم والرجعة التي يؤمنون بها، وقد مرت الأمثلة لهذا كله، ولعل ما ذكره في افتتاح تفسيره يوضح منهجه حيث قال »أما بعد: فالقرآن منه ناسخ ومنه منسوخ ومنه محكم ومنه متشابه، ومنه خاص ومنه عام ومنه تقديم ومنه تأخير ومنه منقطع ومنه معطوف، ومنه حرف مكان حرف ومنه محرف ومنه على خلاف ما

---

(١) مودع بدار الكتب تحت رقم (٥٣١) تفسير. مطبوع ومخطوط بنفس الرقم.

أنزل اللّه ومنه آيات بعضها في سورة، وتمامها في أخرى ومنه رخصة ظاهرها خلاف باطنها . . . . . ، ومنه على لفظ الخبر ومعناه حكاية عن قوم آخرين ومنه رد على من أنكر الرجعة ومنه مخاطبة اللّه لأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام، وما ذكره اللّه من فضائلهم، وفيه خروج القائم وأخبار الرجعة وما وعد اللّه الأئمة من النصرة والانتقام من أعدائهم . . . . . » إلخ.[1].

ثم أخذ يمثل لكل نوع من هذه الأنواع بمثال من الآيات، وقد مر بنا الكثير من ذلك مفرقًا في محله من الرسالة وبعد أن انتهى من المقدمة في صحيفة (٤٠) أخذ في تفسير الفاتحة ثم البقرة إلى نهاية القرآن.

إلا أنه لا يذكر تفسير الآية بكاملها، بل يكتفي منها بفقرة يمكن له أن يوجهها حسب النزعة الشيعية المتطرفة، ثم لا ينكر باقي الآية، وربما أعرض عن جملة آيات لما لا يرى فيها من خدمة ما يريده كما أنه غالبًا يورد الأخبار بروايته عن أبيه عن رجاله عن الأئمة، حيث تكون الواسط بين أبيه والأئمة عادة رجلين أو ثلاثة على الأكثر، وهي أخبار كلها كاذبة يستحيل صدورها عن آل البيت الكرام.

لأن غالبها طعن على الصحابة والقرآن وقد مر بنا الكثير منها، خاصة فيما يتعلق بالتحريف للقرآن.

هذا والقمي رائد لمفسري الشيعة في إجراء كلمات كثيرة في القرآن على غير معناها:

فمثلًا: هو الذي فسر كلمة (كتاب) بعلي بن أبي طالب، ومقتضى الجمع أن تكون كلمة الكتب هي «الأئمة من ولد علي» ويروي ذلك عن أبيه عن أبي بصير عن جعفر الصادق[2] وهو أول من فسر كلمة (آية) بعلي بن أبي طالب، والجمع (آيات) بالأئمة من ولده ويستدل على ذلك بما يرويه عن أبيه بسنده عن علي قال: «ما للّه آية أكبر مني»[3] وهو أول من فسر كلمة (نعمة) بالأئمة، فهو يقول في قوله تعالى:

---

(١) انظر: ص ٢٧ من تفسيره لمطلع سورة البقرة .

(٢) انظر: ص ٢٧ من تفسيره لمطلع سورة البقرة .

(٣) انظر: ص ٢٨٣ منه .

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ نعمة الله هم الأئمة، والدليل على ذلك: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾[1] ولا يدري القارئ بأي وجه خرج هذا الدليل.

كما أنه هو أول من فسر كلمة «رب» بالإمام في قوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ قال رب الأرض يعني الإمام، ويروى ذلك عن أبيه بسنده إلى الصادق عليه السلام[2] وهو أول من فسر كلمة «الجبت والطاغوت» بأبي بكر وعمر، ويعبر عنها بالأول والثاني[3] ويفسر كلمة «كفروا» بولاية علي بن أبي طالب، وكثيرًا ما يستحلف أحد الأئمة أنها نزلت كذلك يعني أن ما أضافه من تفسير هو نص قرآني منزل، وذلك منه إمعانًا في الضلال[4] ودائمًا لفظ (المفسدين) مرادًا به عنده أبا بكر وعمر ويعبر عنهما أحيانًا خبتر وزريق[5] وهو الذي يضيف كلمة «آل محمد حقهم» دائمًا بعد لفظ «ظلموا» حيثما وقع في القرآن[6] أما التحريف فهو أول من جاهر به وزعم أن القرآن سقط ثلثه بين قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ وبين قوله فيها: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]، بل يزعم أن الجملة الأخيرة نزلت متصلة مع الآية رقم (١٢٧) من السورة بعد قوله فيها: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾[7] وقوله في سورة البقرة: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١]، يزعم أن الذي يليها مباشرة في القرآن المنزل هو قوله في المائدة: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا﴾ [المائدة: ٢٢] الآية.

وقد مر الكثير من ذلك فيه في محله من الرسالة.

---

(١) ص ٣٦٣ منه.
(٢) انظر: ص ٥٨١ من تفسيره.
(٣) ص ٧٥، ١٢٨ منه.
(٤) انظر: ص ٣٤٥ منه.
(٥) انظر: ص ٥٦٥ منه.
(٦) انظر: ص ١١، ص ٤٦٥ منه.
(٧) انظر: ص ١١٩ منه.

هذا والكتاب شأنه شأن كتب الغلاة فدخل من الجانب اللغوي والبلاغي لما أن هذا الجانب لا يخدم نزعتهم التي تقوم أساسًا على هدم معاني الكلمات التي وضعت لها هذه الألفاظ، فتجدهم يذهبون بمعاني الكلمات إلى أمور لا وجود لها إلا في عقول خربة قد عشش فيها الجهل وأفرخ، وكل ما في الكتاب لا يتردد عاقل عند قراءته في الحكم عليه بأنه مجموعة أكاذيب تنم عن حقد لا تحده حدود الصحابة عامة والخلفاء الثلاثة خاصة، والكتاب غلوه ظاهر جدًّا فهو تفسير باطني كله لا تكاد تعثر على معنى فيه له علاقة بألفاظ القرآن ومعانيه، ومن قرأه لا يصدق أنه يقرأ تفسيرًا للقرآن مطلقًا، بل يتصور لأول وهلة أنه يقرأ كتابًا حزبيًّا شيعيًّا متطرفًا غاية التطرف، وللأسف فإن هذا الرجل محل ثقتهم جميعًا، والظاهر لأنه شيخ الكليني «ثقة إسلامهم» والكتاب على كل حال يمثل وجهة نظر المغالين في التشيع بأجلى معانيها.

الثالث: تفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار.

لمؤلفه المولى عبد اللطيف الكازراني مولدًا النجفي مماتًا[1].

وهذا الكتاب عبارة عن مقدمة تفسير لكنه يعد من تفاسيرهم لما في هذه المقدمة من أصول تفسير الشيعة بحيث تغني عن تفسير شيعي كامل، وذلك لأنها قد ألمت بكل ما تريد غلاة الشيعة من تفسير طائفي بالغ الغاية في الغلو والانحراف.

وقد عثرت على هذه المقدمة في دار الكتب المصرية[2] مطبوعة بخط إيراني ١٣٠٣هـ وتقع في (٣٣٩) صحيفة بالقطع الكبير وقد قرأتها فوجدتها تكشف لنا عن منهج صاحبها في تفسيره وتوضح لنا آراءه في فهم كتاب اللَّه وتبين في صراحة تامة كيف تأثر الكازراني بعقيدته الزائفة فحمَّل كتاب اللَّه ما لا يحتمل، وإليك بعض فقراته في مقدمة الكتاب حيث توضح لنا منهجه حيث قال: «إن من أبين الأشياء وأظهرها وأوضح الأمور وأشهرها أن لكل أية من كلام اللَّه المجيد، وكل فقرة من كتاب اللَّه الحميد، ظهرًا وبطنًا وتفسيرًا و...، بل لكل واحدة منها كما يظهر من

---

(١) لم أعثر له على ترجمة أكثر من ذلك.

(٢) مودع تحت رقم (١٩٢٩٩ ب).

الأخبار المستفيضة سبعة بطون وسبعون بطنًا، وقد دلت أحاديث متكاثرة كادت أن تكون متواترة على أن بطونها وتأويلها بل كثيرًا من تنزيلها وتفسيرها، في فضل شأن السادة الأخيار، وإظهار جلالة حال القادة الأطهار، أعني النبي المختار، وآله الأئمة الأبرار، بل الحق المتين، والصدق المبين كما لا يخفى على البصير الخبير، بأسرار كلام العليم القدير، المرتوي من عيون علوم أمناء الحكيم الكبير، إن أكثر آيات الفضل والإنعام، والمدح والإكرام بل كلها فيهم وفي أوليائهم نزلت، وأن جل فقرات التوبيخ والتشنيع والتفضيح، بل جملتها في مخالفيهم، وأعدائهم وردت، بل التحقيق الحقيق، كما سيظهر عن قريب أن تمام القرآن إنما أنزل للإرشاد إليهم والإعلام بهم، وبيان العلوم والأحكام لهم، والأمر بإطاعتهم وترك مخالفتهم، وأن اللّه جعل جملة بطن القرآن في دعوة الإمامة والولاية كما جعل ظهره في دعوة التوحيد والنبوة والرسالة[1].

وهذا الكلام يصور مسلكه في كتابه أصدق تصوير حيث جعل كتابه متخصصًا في هذا الجانب حتى آيات الأحكام كما ذكر دار بها في فلك الولاية حيث دارت، فالصلاة والزكاة والحج هي موالاة الأئمة في المقام الأول عنده، وهكذا وقد ذكر منهجه في تفسيره بنفسه ويتلخص في الآتي:

١- يختصر الأخبار ويقتصر على موضع الشاهد منها ويحذف الأسانيد رغبة في الاختصار- كما زعم.

٢- جعل مدار هذا التفسير على ما يتعلق بالبطون لخلو أكثر التفاسير منها- عندهم فلا يذكر ما يتعلق بالظاهر.

٣- إذا لم يعثر على نص يفسر به الآية اجتهد في تفسيرها على وفق الأخبار العامة- عندهم-.

٤- أنه يحرص على ذكر ما يعرفه من قرآءة أهل البيت عند كل آية- وهي أخبار

---

(١) انظر: مرآة الأنوار ص ٢ .

التحريف عندهم- ثم ذكر أنه وفق إلى هذا التفسير ببركة أول من آمن بعين الإيقان، وثاني ما خلق اللّه قبل الكون والمكان، قاسم درجات الجنان ودركات النيران، إمام المشارق والمغارب أمير المؤمنين أبي الحسنين علي بن أبي طالب ثم جعل الكتاب يقوم على ثلاثة مقدمات وكل مقدمة على فصول نوجزها كالآتي:

المقدمة الأولى: في بيان ما يوضح ورود بطن القرآن فيما يتعلق بالولاية والأمامة وأورد له من أخبارهم.

الفصل الأول: في بيان ما يدل على أن للقرآن بطونًا ولآياته تأويلات، وساق عددًا من أخبارهم.

الفصل الثاني: في أن بطن القرآن إنما هو في الأئمة وولايتهم وأتباعهم، وساق من أخبارهم ما يدل على مدعاة.

الفصل الثالث: في بيان ما يدل على وجوه تناسب الظواهر مع البطون- بحسب زعمه- وأنها على سبيل المجاز.

الفصل الرابع: في بيان أن الواجب الإيمان بالظاهر والباطن ومن أنكر واحدًا منها كالباطنية فهو كافر.

الفصل الخامس: في بيان أن علم تأويل القرآن كله عند الأئمة فلا يؤخذ إلا منهم وأورد عدد من أخبارهم في ذلك ثم ذكر المقالة الثانية في بيان اشتمال القرآن على التوحيد والنبوة صريحًا وتنزيلًا، وعلى الولاية والإمامة بطنًا وتأويلًا، وإن الإيمان بالإمامة من أصول الإيمان كالتوحيد والنبوة بحيث لا يخرج الإنسان عن حد الكفر والشرك إلا بالإقرار بالولاية والإمامة، وأورد لها من أخبارهم، وقسمها إلى فصول

الفصل الأول: في بيان تصريحات علماء الشيعة من عظم شأن الأئمة وولايتهم وكفر منكريهم.

الفصل الثاني: في ذكر جملة من الأخبار في فرض الولاية وأنها بشرط في قبول الأعمال والخروج عن حد الكفر.

الفصل الثالث: في أن الإقرار بالإمامة يتلو الإقرار بالنبوة وأن نسبة النبوة إلى الإمامة كنسبتها إلى التوحيد بحيث أن الكفر بواحدة منها كالكفر بسائرها وأورد عددًا من أخبارهم في ذلك.

الفصل الرابع: في بيان أن الولاية عرضت مع التوحيد على الخلق وبعث بها الأنبياء وكلفت بها جميع الأمم، ونزلت بها الكتب وأنها سبب إيجاد الخلق وأورد عددًا من أخبارهم في ذلك.

الفصل الخامس: في بيان أن النبي والأئمة أول المخلوقين وأفضلهم وأنهم وولايتهم العلة في الإيجاد.

المقدمة الثانية: وتكلم فيها عن وقوع تغيير وتحريف القرآن وهو السر بزعمه في جعل الإرشاد إلى أمر الولاية بحسب بطن القرآن. وادعى تواتر الأخبار عندهم في ذلك وساق طرفًا منها، وفرع عليها:

الفصل الأول: في بيان ما ورد في جمع القرآن ونقصه وتحريفه حسب الأخبار عندهم وساق عددًا منها.

الفصل الثاني: في بيان ذلك أيضًا حسب الروايات التي نقلها المخالفون- بزعمه-وساق بعضًا منها.

الفصل الثالث: في الأخبار المصرحة بالتغيير الدالة على أن ذلك هو السر في جعل الولاية بحسب البطون.

الفصل الرابع: في خلاصة أقوال علمائهم، في التحريف وتزييف استدلال من أنكر التغيير والتحريف.

المقدمة الثالثة: في بيان التأويلات المأثورة عن الأئمة وأنها دالة- بزعمه- على صحة ورود بطن القرآن فيما يتعلق بالولاية والإمامة، وجعلها مشتملة على مقالات المقالة الأولى: في بيان بعض التأويلات الواردة وأنها من قبيل المجاز، وجعلها على سبعة فصول.

الفصل الأول: في بيان أن اللّه كثيرًا ما أراد في كتابه بحسب الباطن خصوص بعض الأفراد

الفصل الثاني: في بيان ما يظهر من الأخبار أن اللّه كثيرًا ما يخاطب الماضين والمراد هذه الأمة بالنسبة للولاية.

الفصل الثالث: في أنه قد يراد بحسب الباطن بخلاف ما يفهم من الظاهر وأورد له من أخبارهم.

الفصل الرابع: في أن الضمير- حسب أخبارهم- قد يرجع إلى غير مذكور- وأورد له من أخبارهم.

الفصل الخامس: في أنه لا استبعاد في حمل ما عبر عنه بالماضي على المستقبل بحسب التأويل بالباطني.

الفصل السادس: في ذكر أخبار أن الأشياء التي نسبها اللّه لنفسه على صيغة الجمع مراد بها الأئمة معه.

الفصل السابع: في ذكر أخبار تدل على إطلاق لفظ الجلالة والإله والرب وبعض الضمائر على الأئمة.

المقالة الثانية: في بيان سائر التأويلات العامة التي تجري في أكثر من موضع في القرآن وقد رتب كلماتها ترتيبًا أبجديًا فبلغت الآلاف من ص ٤٨ إلى ص ٢٣٠ بحيث لم يبق مما يخطر على البال شيء في القرآن إلا جاء به وهي تفسر كلها إما بالأئمة وشيعتهم أو بأعدائهم ومخالفيهم، مستدلا غالبًا بأخبارهم في ذلك وقد ذكرت جانبًا كبيرًا من هذه التأويلات في فصل التفسير الباطني عندهم في الكلمات المرتبة أبجديًا. ثم ذكر الخاتمة وجعلها مشتملة على فصلين:

الفصل الأول: في بيان ما ورد من تأويلات للحروف المقطعة ودلالتها على الإمامة والولاية بزعمه.

الفصل الثاني: وجعله في ذكر بعض الفوائد فأتى بسبع فوائد تتعلق بهذا التفسير

الباطني وأوضح ضرورة الأخذ به والاعتماد عليه، وذلك ينتهي بنهاية الكتاب في صحيفة (٢٣٩) حيث أعلن في نهايته أن هذا آخر ما أراد إيراده في مقدمات تفسيره، وأنه شرع بعد هذا في أصل التفسير ولكن لا أدري هل شرع، أو عاجلته المنية دون أن يشرع؟

على أية حال هذا هو ما عثرت عليه منه، وهو يغني عن كتابة تفسير كامل، لأنه يصور لنا بدقة طريقة المؤلف ومنهجه في تفسيره، وأنه تفسير رجل ينظر إلى القرآن من خلال عقيدته الزائفة، المبالغ فيها إلى حد لا يتصور، مع حنق شديد وتعصب ممقوت، حجب به نور القرآن عن القلوب وأراد أن يطفئ سراجه الوهاج بما حاول إلصاقه به من أوهام وأباطيل، فهو تفسير باطني بالمقام الأول بل إن شئت فقل إنه تضليل لا تأويل، لأنه بعينه هو مسلك ملاحدة الباطنية الذين رماهم بنفس الداء الذي هو فيه، ثم ضم إلى ذلك عقيدته الفاسدة في تحريف القرآن وأيدها بحماس، وادعى تواتر الأخبار في ذلك وهاجم رأي من نفى التحريف منهم، وضم إليهما ثالثة الأسافي بالطعن على الصحابة بل إنه جعل القرآن قسمين: مدح وهو في الأئمة وشيعتهم، وقدح وهو في الصحابة وأتباعهم.

فجعل جملة القرآن يدور في فلك الولاية وما يتعلق بها ولا مزيد، حتى التشريع من الواجبات والمحرمات هي كذلك أيضًا فالأوامر يراد بها توجيه الخلق إلى الأئمة وولايتهم، والنواهي هي الزجر عن ولاية الطواغيت بزعمه، وطبعًا لا قيمة لمدلولات الألفاظ في القرآن عنده بحال.

وعليه فالكتاب أكبر كتب الغلاة غلوًا فهو لا يحل النظر فيه بحال!!

التفسير الرابع: تفسير الصافي:

ومؤلفه هو: محمد بن المرتضي بن الشاه محمود المعروف بملا محسن والملقب بالفيض الكاشاني، أحد غلاة الاثنى عشرية في القرن الحادي عشر حيث توفي في سنة (١٠٩٠هـ) ودفن بكاشان وقد جاء في ترجمته روضات الجنات عند الشيعة ما يفيد أن هذا الرجل كان له مشربًا صوفيًّا، وتنسب إليه أقاويل فاسدة وأراء

باطلة يفوح منها رائحة الكفر مثل: القول بوحدة الوجود، وعدم خلود الكفار في النار، وقد نسب إليه ذلك الشيخ على المشهدي العاملي الشيعي والمحدث المولى محمد طاهر القمي وإن حاول صاحب الروضات الدفاع عنه بقوله: المولى الجليل محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشي كان فاضلًا عالمًا حكيمًا متكلمًا محدثًا فقيهًا شاعرًا أديبًا، أحسن التصنيف وله كتب منها الوافي وهو حسن إلا أن فيه ميلًا إلى بعض طريقة الصوفية، وقال صاحب لؤلؤة البحرين:

هذا الشيخ كان فاضلًا محدثًا إخباريًا صلبًا كثير الطعن على المجتهدين لا سيما في رسالة «سفينة النجاة» فإنه يفهم منها إنه نسب جملة من العلماء إلى الكفر، وهذا تفريط منه وغلو بحت، مع أن له أدلة جرى فيها على مذهب الصوفية والفلاسفة مما يكاد يوجب الكفر مثل ما يدل في كلامه على القول بوحدة الوجود، وقال صاحب الروضات: وقد وقفت له على رسالة قبيحة صريحة في القول بذلك. . . . الخ[1] هذه هي موجز ترجمته في كتبهم وهي صريحة في أنه كان صاحب عقيدة زائفة من جهة الفلسفة والتصوف المتطرف لكن والحق يقال: ليس لهذا اللون الذي ذكروه أثر في تفسيره، ولعله ألفه قبل أن ينحو هذا المنحى في حياته، فإنه ألفه قبل وفاته بسبع عشرة سنة، وهذا لا يعفيه من الغلو المبالغ فيه من ناحية التشيع في تفسيره، وإن كنت لم أر من نقده من هذا الجانب من الشيعة، فما القول:

بعدم خلود الكفار في النار يساوي الضرر المترتب على تكفير الصحابة واعتقاد تحريف القرآن والقول بباطنه بمفهوم متطرفي الشيعة، وكل هذه الأمور قد توفرت في تفسيره بأجلى صورة.

فقد عثرت على تفسيره بدار الكتب المصرية مطبوعًا ومحفوظًا عدة طبعات[2] وبهامشه كتابه الاصفى وهو مختصر لتفسيره الصافي طبعة إيران سنة (١٣١٦هـ)، كما توجد منه نسخة بمكتبة الأزهر أيضًا وتقع في مجلد عدد صفحاته (٤٤٢) وله تفسير

---

(١) انظر: روضات الجنات وأحوال السادات ص ٥٤٢ .

(٢) مودع تحت رقم (٢٨٠٨٤) ب ورقم (٧٨٨) تفسير .

اسمه: المصفى لم أعثر عليه، لكن الأصل هو تفسيره الصافي كما ذكر في مقدمته وأشار أنه اختصره في كتابه المصفى ثم اختصر المصفى في كتابه الأصفى، وهذا الأخير هو الذي بهامشي تفسيره الصافي، ولم أجد بينهما فرقًا إلا في الاختصار فقط، فآثرت أوسع الكتب (الصافي) لأنه يذكر فيها الأدلة كاملة بدون اختزال، هذا والتفسير يجري على وفق ما جرى عليه غلاة الشيعة من الطعن في الصحابة عند كل شاردة وواردة، ومن القول بتحريف القرآن ومناصرته، كما أنه تفسير باطني بالمقام الأول.

وإليك مضامين ما جاء في مقدمته وهو يصور لنا طريقته في تفسيره حيث بدأه بديباجة وعدة مقدمات.

المقدمة الأولى: وجعلها في نبذ مما جاء في الوصية بالتمسك بالقرآن وأوردها من أخبارهم.

المقدمة الثانية: وجعلها فيما جاء عندهم أن علم القرآن كله إنما هو عند الأئمة من آل البيت.

المقدمة الثالثة: وجعلها فيما جاء عندهم في أن القرآن إنما أنزل في الأئمة كله وفي أعدائهم.

المقدمة الرابعة: وجعلها فيما جاء في أن علم المتشابه وتأويله خاص بالأئمة لا يعلمه غيرهم.

المقدمة الخامسة: وجعلها فيما جاء عندهم في المنع من التفسير بالرأي وأن ذلك لا يجوز إلا بالأثر.

المقدمة السادسة: وجعلها فيما جاء عندهم في النص على تحريف القرآن وزيادته ونقصانه، وذكر أن ذلك مذهب علمائهم ومحققيهم، منهم الكليني ومنهم علي بن إبراهيم القمي، وذكر أن له غلوا فيه، وكذا الشيخ أحمد الطبرسي في كتابه الاحتجاج، وغيرهم ثم نقل رأي الطبرسي صاحب مجمع البيان- وهو غير الأول- في نفي التحريف وتعقبه قائلًا: ولقائل أن يقول إن الدواعي كما كانت متوفرة على نقل

القرآن كذلك كانت الدواعي متوفرة على تغييره من المنافقين المبدلين للوصية المغيرين للخلافة، والتغيير فيه وقع قبل انتشاره في البلدان واستقراره على ما هو عليه، ثم نقل رأي الشيخ الصدوق رئيس المحدثين محمد بن بابويه في نفي التحريف، وكذا نقل رأي شيخ الطائفة الطوسي في تفسيره التبيان في نفي التحريف، ثم عقب عليهما بقوله: وأقول يكفي في وجوده في كل عصر وجوده جميعًا كما أنزله اللّه محفوظًا عند الأئمة، ووجود ما احتجنا إليه عندنا وإن لم نقدر على الباقي.

هكذا نرى الكاشاني يناصر القول بالتحريف بإصرار وعناد، ويضعف رأي من قال بعدمه.

المقدمة السابعة: وجعلها فيما جاء أن القرآن تبيان كل شيء وأورد لها من أخبارهم.

المقدمة الثامنة: وجعلها فيما جاء عندهم في أقسام الآيات واشتمالها على البطون والتأويلات وأنواع القراءات الورادة عن الأئمة- وهي أخبار التحريف عندهم- وقد هاجم فيه القراءات السبع هجومًا عنيفًا، كما هاجم أيضًا القول بنزول القرآن على سبعة أحرف، وفسر المراد من الأخبار بسبعة بطون، وأوضح أنه سيسير في تفسيره على أحسن القراءات وفسر ذلك بالأخف على اللسان والأنس للطبع والأوفق لأخبار المعصومين عندهم، وزعم أن للقرآن بطنًا وللبطن بطنًا إلى سبعة أبطن وأورد عددًا من أخبارهم في ذلك.

المقدمة التاسعة: وجعلها فيما جاء عندهم في زمان نزول القرآن وخلص إلى القول بأن القرآن نزل معناه على قلب النبي دفعة واحدة ليلة القدر، ثم نزل من باطن قلبه إلى ظاهر لسانه على مدى ثلاث وعشرين سنة، وزعم أن هذا القول يريحنا من تضارب الأخبار في ذلك.

المقدمة العاشرة: وجعلها فيما جاء عندهم في تمثل القرآن وشفاعته لأهله يوم القيامة

المقدمة الحادية عشر: وجعلها فيما ورد عندهم من كيفية التلاوة وآدابها.

المقدمة الثانية عشر: وجعلها في بيان ما اصطلح عليه في التفسير فبين فيها أن اعتماده هو على ما جاء عن الأئمة المعصومين من طريق أصحابه فإن لم يوجد فعلى ما جاء عن الأئمة أيضًا من طريق العامة- يعني أهل السنة- فإن لم يوجد فيما وافق أخبار الأئمة في معناه كما أن الطعن عندهم في الرواية من حيث السند لا يعتبر قد حا مدام المتن يشبه باقي الأخبار، وأورد من أخبارهم ما يدل على الأخذ برواية الفاجر ما دامت توافق القرآن- بزعمه- ولو في بعض الوجوه وأورد عن الصادق «ما جاءك من رواية برٍّ أو فاجر يوافق القرآن فخذ به، وما جاءوك من رواية بر أو فاجر تخالف القرآن فلا تأخذ به) وقال الكاظم (إذا جاء الحديثان المختلفان فقسهما على كتاب اللّه وعلى أحاديثنا فإن أشبههما فهو حق وإن لم يشبههما فهو باطل) ثم ذكر إنه إذا لم يجد بغيته من هذا ولا ذاك أخذ من أقوال المفسرين-عندهم- ما يستحسنه، إلا أوائل سورة البقرة فقد أخذها من تفسير الحسن العسكري، وقرر أنه تفسير حسن وإن لم يقع موقع القبول عند جماعة من أصحابه طاعنين في إسناده، كما نقلته عنه في تفسير الحسن العسكري، وتنتهي المقدمة بذلك عند صحيفة (٥١) ثم أخذ بعد ذلك في التفسير ملتزمًا ما ذكره في المقدمة، فلم يترك شاردة ولا واردة من آيات تحمل مدحًا إلا صرفها إلى الأئمة وأشياعهم ولا آية تحمل ذمًّا لأي شيء إلا حمله على مخالفي الأئمة وأعدائهم- بزعمه- من الصحابة ولأمر بآية للشيعة فيها رواية بتحريفها إلا أتى بها وحمل على المحرفيين- بزعمه- من الصحابة حملة شعواء كما أنه أتى بكل أخبار البطون من القمي والعياشي والسياري والتفسير المنسوب إلى الحسن العسكري فضلًا عن كتب الأخبار وغيرها عندهم، ولعل مضامين المقدمة تصور تصويرًا دقيقًا وقد مر بنا في فصول الرسالة نماذج عديدة من هذا التفسير تغني عن التمثيل.

والكتاب على العموم من أكبر كتب غلاة الشيعة مع ما فيه من تعصب ممقوت ومهاجمة سافرة لغير فرقته في مناسبات كثيرة، بحيث لا يكاد يخلي فقرة عن بث عقيدة من عقائده هذا والكتاب شأنه شأن كتب التفسير بالمأثور إن صح هذا التعبير، ولهذا نجده قد خلا من جانب اللغة والبلاغة وبيان المحسنات البديعية والإعجاز البياني كما هو شأن كتب تفاسير الغلاة عادة وغني عن البيان أن هذه الآثار التي يعتمدون عليها

كلها موضوعة مكذوبة تحمل دليل بطلانها في طياتها، لمناقضتها الصريحة للقرآن والثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام وعليه فالكتاب لا يحل النظر فيه بحال.

الخامس: تفسير البرهان.

ومؤلفه هو هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني البحراني، أحد علماء الاثنى عشرية ومحدثيهم وحفاظ أخبارهم توفي سنة ١١٠٧هـ وفرغ من تفسيره كما شرح ذلك ربيع الثاني (١٠٩٥)هـ وهو أربعة أجزاء ينتهي الأول بسورة الأعراف والثاني بسورة الكهف، والثالث بسورة الأحزاب، والرابع بسورة الناس، ويقع في مجلدين كبيرين عدد صفحاتهما (١٢٤٩) بالحجم الكبير، وقد وجدته في دار الكتب المصرية تحت رقم (١٩٢٧٥ب) مطبوعًا في سنة (١٣٠٢)هـ بإيران.

وهو تفسير بالأثر بالمقام الأول حيث لم أر لصاحبه حتى مجرد التوجيه للأخبار، وكل همه أن يذكر الفقرة من الآية ثم يأتي لها بما يناسبها من أخبارهم، ثم ينتقل إلى غيرها، وهكذا وربما ترك الفقرة أو الآية إذا لم يجد ما يناسبها من الأخبار، تمامًا كما صنع السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالأثور، ولعله ألفه في مقابلته لأنه على نفس النمط، مع الفارق في نوع الأخبار طبعًا، حيث لا يذكر إلا ما ورد بطرقهم عن أئمتهم، وقد علمنا ما فيها.

وعليه فهو أحد تفاسير الغلاه حيث حوى عناصر الغلو من تفسير باطني بالمعنى الشيعي، وكذا أخبار التحريف عند كل مناسبات الشيعة في ذلك وكذا الطعن على الصحابة واعتبارهم أعداء الأئمة وغاصبي حقهم وتكفيرهم بذلك كما هو شأن التفسير بالمأثور عندهم عادة.

ومقدمته توضح لنا منهجه بجلاء حيث جاء فيها بعد الديباجة قال:

أما بعد: فغير خفي على أهل الإسلام شرف القرآن وعلو شأنه.....غير أن أسرار تأويله لا تهتدي إليها العقول ولهذا اختلف في تأويله الناس، وفسروه على مقتضى أديانهم وموجب مذاهبهم ولم يرجعوا فيه إلى أهل الذكر (ع) أهل التنزيل والتأويل، القائل فيهم جل جلاله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ لا

غيرهم، وهم الذين أتوا العلم، وأولوا الأمر، وأهل الاستنباط وأهل الذكر الذين أمر الناس بسؤالهم جاءت به الآثار النبوية والأخبار الإمامية، ومن ذا الذي يحوي القرآن غيرهم، ويحيط تأويله وتنزيله سواهم، ثم أورد من أخبارهم طرفًا في ذلك. ثم وضح منهجه في تفسيره فقال: وقد اشتمل التفسير على كثير من أخبار أهل البيت الذين نزل القرآن في منازلهم فرجع تنزيله وتفسيره إليهم. . . . . الخ ثم عقد المقدمة على أبواب جاء فيها:

باب: في فضل العالم والمتعلم، أورد فيه جملة من أخبارهم في ذلك.

باب: في أن القرآن لم يجمعه كما أنزل إلا الأئمة (ع) وأورد في جملة من أخبارهم كذلك.

باب: في النهي عن تفسير القرآن بالرآي، ومن غير أخذ عن الأئمة المعصومين، وأورد لذلك الأخبار.

باب: في أن القرآن له ظهر وبطن ومحكم ومتشابه وعلم ذلك عند الأئمة وحدهم وذكر من أخبارهم في ذلك.

باب: فيما نزل عليه القرآن من أقسام في الأئمة وأتباعهم، وفي أعدائهم ومخالفيهم حسب ما أوردوه من أخبار.

باب: في نزول القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة، وإن آيات الذم مرادٌ بها ناس من الصحابة.

باب: فيما عني به الأئمة في القرآن أورد فيه مثلًا عن العياشي بسنده عن أبي عبد اللَّه قال: «إذا سمعت اللَّه ذكر أحدًا من هذه الأمة بخير فهم نحن، وإذا سمعت اللَّه ذكر قومًا بسوء فهم عدونا) ثم بعد ذلك نقل مقدمة القمي بكاملها مما يدل على أنه يرى ما يراه في الغلو في التفسير، ثم أخذ في التفسير على نحو ما ذكرت، والرجل أحد حفاظ الأكاذيب على الأئمة كما ذكرت، لذا فإنه لم يعجز عن إيراد العديد من هذه الأخبار عند كل فقرة تعرض لها في تفسيره. وكلها تدور حول الإشادة بذكر الأئمة وإنهم المقصودون من كل آية مدح في القرآن، والحط من شأن

أعدائهم- بزعمهم- وأنهم المرادون من كل آية قدح فيه، مع ذكر الأخبار التحريف عند كل آية ترى الشيعة أنها في حاجة إلى تصويب وتصحيح، مع ما حواه الكتاب من المعاني الباطنية وقد مر بنا الكثير من ذلك في مناسباته، بالإضافة أيضًا إلى الخرافات التي احتواها الكتاب، فمن ذلك مثلًا ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣] حيث يعيد الضمائر في الآية لعلي بن أبي طالب ويذكر قصة ملخصها: قال جابر بن عبد اللَّه الأنصاري: لقيت عمار بن ياسر في بعض سكك المدينة فسألته عن النبي ﷺ فأخبرني أنه لما صلى الغداة قبل عليًا بين عينيه واجلسه إلى جنبه ثم قال يا علي قم إلى الشمس فكلمها فإنها تكلمك، فقام إلى الشمس فقال: كيف أصبحت يا خلق اللَّه؟ فقالت: بخير يا أخا رسول اللَّه يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا من هو بكل شيء عليم، فرجع إلى النبي فقال له النبي ﷺ: «**تخبرني أو أخبرك؟**» فقال: منك أحسن يا رسول اللَّه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أما قولها لك: يا أول، فأنت أول من آمن باللَّه، وقولها لك: يا آخر، فأنت آخر من تعانني على مغسلي، وقولها: يا ظاهر، فأنت أول من يظهر على مخزون سري، وقولها: يا باطن، فأنت المستبطن لعلمي، وأما العليم بكل شيء، فما أنزل اللَّه علمًا من الحلال والحرام والفرائض والأحكام والتنزيل والتأويل وإلا وأنت به عليم، ولولا أن تقول فيك طائفة من أمتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت فيك مقالًا، لا تمر بملأ إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يستقون به....**» الخبر[1].

والكتاب مليء بمثل هذه الخرافات شأن غلاة الشيعة، بل فاق غيره بكثرة الأخبار فإن صاحبه من كبار المحدثين عندهم- وقد استغل خبرته فجمع في تفسيره ما عساه قد خفي على غيره من أخبار الطائفة، ولذلك فهو مرجعهم اليوم في التفسير بالمأثور عندهم، ومن أجل ذلك طبع وانتشر، وقد رأيته معروضًا في بعض مكتبات القاهرة.

---

(١) انظر: البرهان ج ٤ ص ١٠٨٣ .

وهو من تفاسير الغلاة الذين لا يحل النظر في تفاسيرهم!!

السادس: تفسير القرآن للأصفهاني:

وصاحبه هو: محمد حسين الأصفهاني النجفي، المولود سنة (١٢٣٥هجرية) كما ذكر صاحب طبقات أعلام الشيعة في ترجمته ولم يذكر له وفاة[١].

وقد عثرت على تفسيره في دار الكتب المصرية[٢] وهو جزء واحد متوسط الحجم يقع في (٣٣٢) صحيفة مطبوعة بطهران سنة (١٣١٣هجرية) وهو عبارة عن مقدمة شرع بعدها في تفسير الفاتحة ثم البقرة فوصل فيها إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] حيث توقف قدمه عند هذا الحد وما ذكره في مقدمة تفسيره كان في بيان منهجه حيث استغرقت المقدمة أكثر من مائة صفحة، وهي بعينها مقدمة الكاشاني المتقدمة بالنص مما يدل على أنه يرى رأيه وينحو نحوه، وهو كذلك بالفعل، فقد سجلت العديد من تفسيره فوجدته هو نفس تفسير الكاشاني. فإنه فسر الفاتحة على نمطه، ثم شرع في البقرة ففسر الحروف المقطعة (الٓمٓ) بأصحاب الجمل وجعلها إشارة إلى أزمان الأئمة، ثم فسر قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ بعلي بن أبي طالب نقلًا عن القمي ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال: بيان لشيعتنا، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ قال: عن ابن بابويه عن الصادق: من آمن بقيام القائم أنه حق، وفي أخرى: الغيب هو الحجة الغائب، وعند قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة: ٨]، نقل تفسيرها من تفسير الحسن العسكري وفيه خبر طويل عن قصة البيعة لعلي وإن هذه الأية مقصود بها أبا بكر وعمر وعثمان، وسماهم الظلمة الجبابرة الذين تظاهروا بالإيمان بولاية علي وأبطنوا الغدر له فما هم بمؤمنين بولايته، وقوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قال: ومن أوضح أفراد المخادعة ما كان يصنعه الأول والثاني وأضرابهما، بل هم أصل الخدعة والنفاق في

---

(١) انظر: كتاب طبقات أعلام الشيعة ج ١ ص ٤٢١.

(٢) تحت رقم (١٩٣١٩ ب).

كل مقام حيث يظهرون التسليم للدين والرسالة وهم جاحدون بل هم في الباطن كاملون في الكفر مستجمعون لأصله وأغصانه وفرعه، فهم إن ذكر النفاق كانوا أصله وفرعه ومعدنه ومادته ومنتهاه[1] وعند قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قال: عن الإمام يعني العسكري عن موسى الكاظم: إذا قيل لهؤلاء الناكثين بالبيعة يوم الغدير: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بإظهار نكث البيعة ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ لأننا لا نعتقد دين محمد ولا غير دين محمد[2].

وعلى هذا النمط يجري في تفسيره، كما هو شأن الغلاة منهم، وليس بعد الكفر ذنب ولعل هذا القدر كاف في الحكم على هذا التفسير بالغلو إلى حد لا يتصور، إن كان لم يتم هذا التفسير إلا أن ما فيه يوجب تحريم النظر فيه كنظائره!

السابع: تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة:

ومؤلفه هو: سلطان محمد بن حيدر بن محمد الجنابذي الخراساني أحد علماء الاثنى عشرية في القرن الرابع عشر الهجري حيث أرخ الفراغ منه في (١٤صفر سنة ١٣١١هـ) وقد عثرت على تفسيره في دار الكتب المصرية تحت رقم-٧٨٧تفسير) في جزءين ينتهي الأول عند سورة الكهف وعدد صفحاته (٤٥٢) وينتهي الثاني عند سورة الناس وعدد صفحاته (٤٥٢) بالحجم الكبير ومطبوع في إيران سنة (١٣١٣هـ).

وهذا التفسير يختلف عن تفاسير الشيعة اختلافًا جوهريًّا، فهو بجانب ما فيه من غلو قد مزج أيضًا صاحبه التفسير الصوفي، الذي يقوم على الرموز والطلمسات، كما يخلط به كثيرًا من البحوث الفلسفية الدقيقة، مما جعل فهم الكتاب مغلقًا ولولا ضرورة البحث لما وجدت صبرًا لمطالعته على أن جل مطالعتي كانت فيما يخص الجانب الشيعي وليس عيبًا أن أعترف بقصوري عن فهم كثير من الجانب الفلسفي فيه، ولعل صاحبه أراد لكتابه أن يكون لذلك فقد ذكر بعد الديباجة أنه كان يسجل ما

---

(١) انظر: ص ٢٢٩ من تفسيره .

(٢) انظر: ص ٢٤٤ من تفسيره .

يلوح له من إشارات بعض الكتب وتلويحات الأخبار في وريقات ثم سجلها في تفسير تنبيها لنفسه وللغافلين كما ذكر هذا والكتاب قد حوى عناصر الغلو بالإضافة إلى التعصب بالغ حد العنف في تقرير أصول المذهب، وقد نقلت عنه في مناسبات ما يؤيد ذلك، حيث يرى أن القرآن محرف وأن الصحابة كلهم كفرة ما عدا من استثنوهم من ذلك، ثم هو تفسير باطني بالمقام الأول يوضح لنا ذلك ما جاء في مقدمته التي عقدها على أربعة عشر فصلًا، جاء فيها: الفصل الخامس: حيث جعله في فضل القرآن والتوسل به لأنه قرين العترة والتوسل بالعترة من أعظم العبادات فكذلك القرآن، أي أنه جعل العترة هم الأصل يقاسي عليهم القرآن، وأخذ يبرهن بأغاليطه على ذلك.

الفصل الثامن: وجعله فى الفرق بين الظهر والبطن و التنزيل والتأويل وزعم أن القرآن سبعين ألف بطنٍ فطاشت عنده البطون أكثر من غيره، وأخذ يبرهن على ذلك.

الفصل العاشر: وذكر فيه أن علم القران بتمام بطونه المتقدمة منحصر فى محمد ﷺ وأوصيائه الاثنى عشر وادعى أن مقامهم فوق مكان الإمكان بخلاف باقي الانبياء.

الفصل الثاني عشر: في نزول القرآن من طريق الباطن على بشرية نبينا من جهة مداركه الأخروية، من جهة مداركه الدنيوية وأخذ يبرهن على ذلك بألفاظ صوفية غامضة.

الفصل الثالث عشر: وجعله في وقوع التحريف والتغيير في القرآن الذي بين أظهرنا نتلوه، وزعم أنه قد استفاضت الأخبار عن الأئمة الأطهار بوقوع الزيادة والنقيصة والتحريف فيه.

الفصل الرابع عشر: في أن القرآن نزل تمامه في الأئمة الاثنى عشر بوجه ونزل فيهم وفي أعدائهم بوجه وأما ما يصور الجانب الصوفي الفلسفي فيه، فما ذكر عند تفسيره قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ بعض آية [النساء: ٧٥] يقول إن كان النزول في ضعفاء قلة فلا اختصاص لها بهم كما في الخبر، القرية مكة وكل

قرية لا يجد الشيعة فيها وليًّا من الإمام ومشايخهم وكل قرية وقع بها الأئمة بين منافقي الأمة وقرية النفس الحيوانية التي لا يجد الجنود الإنسانية فيها وليًّا ويطلبون الخروج منها إلى قرية الصدر ومدينة القلب ويسألون الحضور عند إمامهم أو مشايخهم في بيت القلب خاليًا عن مزاحة الأغيار بقولهم: ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ تكرار (اجعل) لأن مقام التضرع يناسبه التطويل والالحاح في السؤال ولأن المسئول ليس شخصًا واحدًا، بل المسئول محمد ﷺ وعلي بن أبي طالب، أو المسئول محمد من جهة هدايته ومن جهة نصرته أو علي كذلك[1].

كما أنه يرى أن قصص الأنبياء في القرآن عبارة عن مرموزات ليس المراد منها ظاهرها المتبادر من ألفاظها كما ذكر مثلًا عند قصة آدم في أول سورة البقرة حيث قرر أنها من مرموزات الأوائل التي كثر ذكرها في كتب السلف خصوصًا اليهود وتواريخهم كما وردت بذلك الأخبار عندهم، وقرر أن من أراد أن يحملها على ظاهرها تحيَّر فيها، ومن رام أن يدرك المقصود منها بقوته البشرية طرد عنها ولم يدرك منها إلا خلاف مدلولها[2].

ومثال آخر حيث ذكر عند قصة هاروت وماروت قال: «اعلم أن أكثر قصص سليمان من مرموزات الأوائل وأخذها المتأخرون بطريق الأسمار، وأخذوا منها ظاهرها الذي لا يليق بشأن الأنبياء وورد عن المعصومين تقرير ما أخذوه أسمارًا نظرًا إلى ما رمزها الأقدمون، وأمثال هذه ورد عنهم تكذيب ظاهرها[3] إلخ وهكذا حمل الأئمة تبعة تكذيب قصص القرآن، وكذا ذكر عند تفسير أول سورة النساء حيث قال: لما كانت تلك الحكاية وأمثالها من مرموزات الأوائل، وحملها العوام على ظاهرها اختلفت الأخبار فيها، فإن كيفية خلق آدم وحواء وتناسلها وكذا أولاده، وكذا في قصة هاروت وماروت، وفي قصة داود وغيرها اختلفت الأخبار فيها بين

---

(١) انظر: ج ١ص ٢١١ من تفسيره

(٢) انظر: ج ١ ص ٤٢

(٣) انظر: ج ١ ص ٦٧

تصديق وتكذيب مما يكاد يخرج من الدين لمن لا خبرة له[1] وهكذا ينكر قصص القرآن ويحملها على مرموزات لا وجود لها، وينسب هذه الأضاليل إلى الأئمة ولم نر من مفسريهم من زعم ذلك غيره، هذا زيادة على ما فيه من غلو في تشيعه كما نقلت عنه الكثير في محله من الرسالة وعليه فلا يحل النظر في تفسيره كسابقيه وبعد: فإننا إذا لاحظنا التدرج التاريخي لكتب الغلاة لأدركنا أنه ما زال الغلو عرق ينبض إلى الآن مما يجعل دعوة التقريب بين المذاهب تتعثر كثيرًا، وبهذا ينتهى الكلام في الغلاة.

★ ★ ★

(١) انظر: ج ١ ص ١٩٠ .

النوع الثاني

تفاسير المعتدلين

الأول: تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن.

ومؤلفه هو أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي أحد جهابذة علماء الاثنى عشرية في القرن السادس الهجري، قال الشيخ محسن الأمين العاملي صاحب كتاب أعيان الشيعة في ترجمته «هو أمين الدين أو أمين الإسلام أبو علي الفضل الطبرسي الطوسي السبزواري الرضوى أو المشهدي رحمه اللّه تعالى.

- وذكر من مؤلفاته قدرًا وافرًا منها: هذا التفسير وتفسير جوامع الجامع، ثم ذكر حكاية غريبة، عن سبب تأليفه لهذا التفسير عن صاحب رياض العلماء لكنه استبعدها قال عن صاحب رياض العلماء: مما اشتهر بين العام والخاص أن الطبرسي أصابته السكتة فظنوا فيه الوفاة فغسلوه وكفنوه ودفنوه وانصرفوا، فأفاق فوجد نفسه مدفونًا، فنذر إن خلصه اللّه من هذه البلية أن يؤلف كتبًا في التفسير، واتفق أن أحد النباشين قصد قبره لأخذ كفنه، فقبض بيده على النباش، فخاف فلما كلمه ازداد خوف النباش، فقال له: لا تخف وأخبره بقصته، فحمله النباش إلى بيته فأعطاه الأكفان ووهب له مالًا جزيلًا فتاب النباش على يديه، ثم وفى بنذره وألف تفسيره مجمع البيان.

ثم عقب العاملي بقوله: ومما يبعد هذه الحكاية مع بعدها في نفسها من حيث استبعاد حياة المدفون بعد الإفاقة، أنها لو صحت لذكرها في مقدمة مجمع البيان لغرابتها ولاشتمالها على بيان السبب في تصنيفه مع أنه لم يتعرض لها واللّه أعلم، ثم ذكر العاملي أنه عاش تسعين سنة، وعن صاحب الروضات أنه توفي ليلة النحر سنة (٥٤٨هـ) ثم ذكر نسبته (الطبرسي) بالطاء المهملة والياء الموحدة المفتوحتين والراء الساكنة بعدها مهملة، نسبة إلى طبرستان بفتح الطاء والياء وكسر الراء، والطبر

بالتحريك هو الذي يشقق به الأحطاب وما شاكله بلغة الفرس، واستان: الموضع أو الناحية كأنه يقول: ناحية الطبر، وأما الرضوي والمشهدي: فهو نسبة إلى مشهد الرضا (ع) لأنه سكن فيه[1].

والطبرسي يحدثنا بنفسه عن الدوافع التي حفزته على تفسيره ويبين لنا منهجه فيه حيث يقول: قد خاض العلماء قديمًا وحديثًا في علم تفسير القرآن واجتهدوا في إبراز مكنونه وإظهار مصونه إلا أن أصحابنا لم يدونوا في ذلك غير مختصرات لم يعنوا ببسط المعاني فيها وكشف الأسرار، إلا ما جمعه الشيخ أبو جعفر الطوسي في كتابه التبيان، فإنه الكتاب الذي نقتبس منه ضياء الحق ويلوح عليه رواء الصدق أستضيء بأنواره وأطأ مواقع آثاره غير أنه خلط فيه الصلاح مما ذكر فيه بالفساد وأدى الألفاظ في مواضع قاصرة عن المراد. . . . فاستخرت اللّه تعالى وشمرت عن ساق الجد، وأسهرت الناظر وأتعبت الخاطر وأحضرت التفاسير وابتدأت بتأليف كتاب هو غاية التلخيص والتهذيب وحسن النظم والترتيب يجمع أنواع العلم من قرائته وإعرابه ومعانيه وجهاته ونزوله وأخباره وقصصه وآثاره وحلاله وحرامه، والكلام على مطاعن المبطلين فيه، وذكر ما ينفرد به أصحابنا من الاستدلالات، بمواقع كثيرة منه على صحة ما يعتقدون من الأصول والفروع على وجه الاعتدال، وفوق الإيجاز ودون الإكثار، وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكيها، ومدنيها، ثم الاختلاف في عدد آياتها، ثم فضل تلاوتها ثم أقدم في كل آية الاختلافات في القراءات، ثم ذكر العلل والاحتجاجات، ثم ذكر العربية واللغات، ثم ذكر الإعراب والمشكلات. ثم ذكر الأسباب والنزولات، ثم ذكر المعاني والأحكام والتأويلات والقصص والجهات، ثم ذكر انتظام الآيات على أني قد جمعت في عربيته كل عزة لائحة وفي إعرابه كل حجة واضحة، وفي معانية كل قول متين، وفي مشكلاته كل برهان مبين، وهو بحمد اللّه للأديب عمدة، وللنحوي عدة وللمقرئ بصيرة، وللناسك ذخيرة وللمتكلم حجة، وللمحدث بحجة والفقيه دلالة وللواعظ آلة، وسميته مجمع البيان

(١) من ترجمة الطبرسي الملحقة بتفسيره لمحسن الأمين العاملي في مقدمة مجمع البيان ج ١ ص٧ .

لعلوم القرآن[1] ولعل القارئ يلمس أن هذه نظرة ما كنا نسمعها في تفاسير الغلاة من قبل والحق أن هذا التفسير هو كما قال بصرف النظر عما فيه من تشيع واعتدال، فهو كتاب عظيم في بابه، يدل على تبحر صاحبه في فنون مختلفة، قد حوى الطريقة التي أوضحها بنفسه، في تناسق تام وترتيب متين، فإنه إذا تكلم عن القراءات أجاد وإذا تكلم عن المعاني اللغوية أفاد، وإذا شرح المعنى الإجمالي أوضح المراد، وإذا تكلم عن أسباب النزول وشرح القصص استوفى وأفاض، وإذا تكلم عن الأحكام ذكر مذاهب الفقهاء بكل أمانة وجهر بمذهبه ونصره، وإذا ربط بين الآيات آخى بين الجمل وأوضح لنا حسن السبك وجمال النظم، وإذا تعرض لمشكلات القرآن أذهب الإشكال، وأراح البال، فهو أحسن ما ألف في التفسير نسقًا وترتيبًا ونظمًا من غير مقالات في تشيعه ولا تطرق في عقيدته وكل ما يؤخذ عليه هو ما فيه من تشيع لمذهبه وانتصاره له من غير غلو، وتأثره بآرائه المعتزلة في الإلهيات بالذات ومحاولته حمل كتاب اللّه على ما يتفق وعقيدته، أما الغلو فقد خلا منه، فمثلًا لا يتعرض للصحابة بقدح، إلا في النادر القليل الذي لا يكاد يدرك، على أنه لم يتعرض لأشخاص بأعيانهم كما أنه لا يعطهم حقهم في آيات مدحهم، أو بعبارة أدق لا يحول آيات المدح فيهم عن ظاهرها كما هو صنيع غلاتهم كما نفى التحريف بشدة في مقدمة تفسيره حتى أنه اشتهر من بين من نفى التحريف وهاجمه من الشيعة وكل ما يؤخذ عليه هنا أنه وإن نفى التحريف ولم يرتض أخباره إلا أنه أتى بهذه الأخبار عند هذه الآيات على أنها قراءة لأهل البيت بعد ذكره للقراءات المتواترة، وكنت أود أن يضرب عنها صفحًا لأنهم يحتجون بها عليه كما أنه قد خلا تفسيره من المعاني الباطنية التي سار عليها غلاتهم في تفاسيرهم.

فهو من المعتدلين في تشيعهم، خاصة وقد أكد ما فيه من نزعات التشيع عن غيرها من المعاني حتى لا يتلبس الأمر على أحد، فهو يذكر المعنى المتعارف عليه عند المفسرين ويعزو كل قول فيه إلى صاحبه من الصحابة أو التابعين، أو من بعدهم

---

(١) انظر: مقدمة مجمع البيان ج ١ص ٢١ وما بعدها

ثم يتبعه برأي الشيعة قائلًا مثلًا :

ويرى أصحابنا كذا . . . وهنا يتميز التفسير الشيعي عن غيره فلا يتلبس أمره على أحد هذا وقد بدأ تفسيره بمقدمة موجزة تشتمل على سبعة فنون ملخصها :

الفن الأول: في تعداد آي القرآن والفائدة من معرفتها .

الفن الثاني: في ذكر أسامي القراء المشهورين العشرة المعروفين، وذكر شيوخهم ومن أخذوا عنهم حتى بلغوا بها النبي ﷺ، وذكر أيضًا من اشتهر من تلامذتهم بالأخذ عنهم .

الفن الثالث: في ذكر التفسير والتأويل وأيد فيه التفسير بالرأي إذا لم يصح حديث فيه .

الفن الرابع: وجعله في ذكر أسامي القرآن ومعانيها، لغة واصطلاحًا، فأجاد فيه .

الفن الخامس: في أشياء من علوم القرآن بحال في شرحها على المواضع المختصة بها من الكتب المؤلفة فيها، وتعرض فيه لزيادة القرآن ونقصه فذكر أن الصحيح من مذهبهم خلافه هو الذي نصره المرتضي، ونقل عبارته وضم صوته إليه فنفى بشدة أن يكون في القرآن زيادة أو نقصان، بل هو كما كان مثل ما هو عليه الآن، ونسب القول بالتحريف إلى جماعة من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، وإلى جماعة من أصحاب الحديث نقلوا أخبارًا ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته .

الفن السادس: وجعله في ذكر بعض ما جاء من الأخبار المشهورة في فضل القرآن وأهله .

الفن السابع: في ذكر ما يستحب القارئ من تحسين اللفظ وتزيين الصوت بقراءة القرآن ثم أخذ بعد ذلك في التفسير فأخرج لنا هذا السفر الكبير في عشرة أجزاء مطبوعة في ستة مجلدات ضخمة، وعندي نسخة من طبعة في بيروت سنة (١٣٨٠هـ) وعليها اعتمدت في البحث وإذا كان كتابه قد خلا من عناصر الغلو فإنه كذلك قد قلل

من حمل كثير من الآيات على مذهبه فلا تراه يذكر مذهبه إلا في الآيات التي يرى أنها تخدم مدعاة بمعونة بعض أخبارهم التي يذكرها، أو بعض أخبار أهل السنة مما يكون فيها أدنى ملابسة لمدعاة وغالبًا ما تكون من الموضوعات أو الأحاديث الضعيفة الغير مرضية عند أهل السنة، كما يلاحظ عليه تعصب بارز في الجانب الاعتزالي فتراه يدافع بعنف عما يذهب إليه في الاعتزال، حتى تكاد تطغي هذه الناحية على جانب التشيع فيه، وقد مر بنا ذلك كما أنه يرى أن بعض آيات من القرآن دالة على ولاية علي بن أبي طالب، فتراه عندها يستعرض عضلاته في إبراز دلالة النص على ذلك، من غير تجريح لأحد من الصحابة كما أنه يرى عصمة الأئمة ورجعتهم وقيام قائمهم من آيات أخرى، وإن كانت كلها محاولات فاشلة، كما مر في مناقشتها أثناء البحث كما أنه في المسائل الفقهية غالبًا يذهب إلى ما يراه أصحابه مثل مسح الرجلين في الوضوء ونكاح المتعة وغير ذلك، إلا أنه كان يخالف أصحابه أحيانًا ويجهر في ذلك في شجاعة مثل ما سجلته عنه في وقت إفطار الصائم.

ومن الجوانب التي أعجبتني فيه هجومه على بعض القصص الإسرائيلية التي تسربت إلى التفسير من أهل الكتاب وذلك مثل: ما ذكره في قصة داود وامرأة أوريا، وسليمان- وجلوس الشيطان . . . . على عرشه في سورة (ص) وقد سجلت ذلك عنه أثناء البحث في محله.

والكتاب يتلخص منهجه في تفسير الآية أو الآيات في أنه يذكر الآية مسجلًا رقمها في أولها ثم يتبعه بعنوان (القرءاة) فيورد تحته ما ورد فيها من قراءات متواترة مع عزوها إلى أصحابها، ثم يتبعها بالقراءات الشاذة ثم بقراءة أهل البيت إن وجدت وهي غالبًا أخبار التحريف عندهم، ثم يعقد عنوانًا مثل (الحجة) وفيه يوجه معاني الكلمات التي اختلفت فيها القراءات، فيذكر المعنى على كل قراءة على حدة ثم يعقد عنوانًا مثل (اللغة) يشرح فيه معاني الكلمات التي تحتاج إلى بيان من حيث العربية، ثم يعقد عنوانًا باسم (الإعراب) فيه يعرب التركيبات التي يستشكل إعرابها فإن كانت مذاهب النحويين مختلفة في إعرابها ذكر ذلك مع العزو لأصحابها ثم يعقد

عنوانًا باسم (النزول) يذكر فيه سبب النزول من كتب السنة معزوًّا لمن رواه من الصحابة، فإن كان عند الشيعة سبب يرى أنه محتمل سجله كذلك، وفي الغالب ما يرجح ما يراه أوفق للنص القرآني، ثم يعقد عنوانًا باسم (المعنى) وفيه يأخذ في شرح الآية فقرة فقرة، فيورد من أقوال الصحابة والتابعين والمفسرين فيها مع العزو إلى أصحابها، وإن كان هناك من معنى وارد عند الشيعة يراه مناسبًا ذكره بقوله ويرى أصحابنا الإمامية كذا، فإن أراد ترجيحة جاهر بذلك وأورد له من أخبارهم وإلا كف عن ذلك، ثم يعقد عنوان باسم (النظم) وفيه يذكر مناسبة الآية التي فرغ منها ألست ترى معي حسن الترتيب وجمال التأليف في هذا التفسير؟

نعم إنه كذلك ومن أجل ذلك انتشر هذا التفسير وذاع، وكتب له البقاء.

وإني أرى أنه لا غنى عنه خاصة لمن أراد أن يعرف عقائد الشيعة في أعدل صورها من غير تعصب ممقوت أو غلو بغيض بل إنه يقف بالإنسان موقفًا وسطًا من عقيدة الشيعة في علي وبنيه ﷺ أجمعين.

الثاني: تفسير جوامع الجامع:

وهو للطبرسي السابق «والكتاب عبارة عن تلخيص لكتابي الكشاف للزمخشري ومجمع البيان للمؤلف وقد وجدته بدار الكتب المصرية مخطوطًا تحت رقم (٦٩٧تفسير) في أربع مجلدات، وقد ذكر الطبرسي سبب تأليفه ومنهجه فيه حيث قال: «أما بعد فإني لما فرغت من كتاب مجمع البيان وعثرت على الكشاف لجار اللَّه العلامة الزمخشري، واستملحت من بدائع معانيه وروائع ألفاظه ومبانية مالا يلقى مثله في كتاب مجتمع الأطراف ورأيت أن أسميه بالكافي الشافي، فخرج الكتابان إلى الوجود وقد ملكا أزمة القلوب، ثم طلب إلى ضم الكتب الثلاثة في كتاب واحد فاستخرت اللَّه في الابتداء بجمع هذه الكتب في كتاب وسميته «جوامع الجامع»[1] إلخ.

---

(١) ج ١: ورقة(٣) منه

وهذا التفسير يختلف في المنهج عن سابقه فهو يتناول- كما ذكر- خلاصة المعنى من مجموع التفاسير التي ذكرها، من غير تعرض لقراءات ولا لمباحث لغوية إلا بقدر الضرورة مع المحافظة على اعتداله في تشيعه، ومناصرته لما تأثر به من عقائد المعتزلة في إيجاز حيث يقع الكتاب في أربع مجلدات. وإليك بعض النماذج لبيان إيجازه واعتداله في تشيعه.

١- عند قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ﴾ [البقرة: ٣٧]، قال: والكلمات هي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقيل هي: «لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» وفي رواية أهل البيت إن الكلمات هي: أسماء أصحاب الكساء»[(١)] فأنت ترى أنه لم يقتصر على المعنى الشيعي فقط.

٢- عند قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ﴾ [الاعراف: ١٤٢] يؤيد فيها مذهب المعتزلة في نفي الرؤية حيث قال: «إنما طلب موسى الرؤية لقومه ولم يسأل ذلك إلا بعد أن أنكر عليهم فتمادوا في لحاحهم وأرادا أن يسمعوا النص من عند اللّه باستحالة الرؤية وهو قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[(٢)].

٣- وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] نراه يخالف المعتزلة في غفران الذنوب ويوافق أهل السنة كما هو مذهب الشيعة في ذلك.

فيقول: «هذه الآية أرجى آية في كتاب اللّه لأن فيها إدخال جميع الذنوب التي هي دون الشرك الداخلة تحت عموم قوله (ما دون ذلك) في مشيئة الغفران، ألا ترى أنه نفى غفران الشرك أولًا، وبالإجماع أنه يغفر بالتوبة، ثم أثبت غفران ما دون الشرك من المعاصي فينبغي أن يكون المراد غفران من لم يتب منها ليخالف المنفى المثبت، ثم علق المشيئة بالمغفور لهم فقال: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ أن يغفر الذنوب التي هي دون

---

(١) ج ١: ورقة (٢٧)

(٢) ج ١: ورقة (٣١٥)

الشرك لمن يشاء أن يغفر له من المذنبين ليكون العبد واقفًا بين الخوف والرجاء خارجًا عن الإغراء[1].

ولا شك أنه هنا أفاد وأجاد وإن كان الكتاب مشتملًا على نزعات التشيع في اعتدال وباقي مسائل الاعتزال التي أخذوها من المعتزلة كما في مجمع البيان، وإن اختلف منهجه عنه.

الثالث: كتاب كنز العرفان في فقه القرآن

ومؤلفه هو المقداد بن عبد اللّه بن محمد الحلي الأسدي، وكتابه هذا مجلد واحد مطبوع في إيران سنة (١٣١١هـ)،ويقع في ٤١٧صحيفة) بحجم متوسط وقد وجدته بدار الكتب المصرية[2] وهذا الكتاب ليس تفسيرًا بالمعنى المعروف وإنما هو عبارة عن تفسير لآيات الأحكام الفقهية ولم يتعرض للأحكام العقائدية إلا نادرًا ولذلك فهو مرتب على أبواب الفقه المعروفة حيث بدأ بكتاب الطهارة فأورد فيه الآيات المتعلقة بذلك ثم كتاب الصلاة، ثم الصيام، ثم الزكاة ثم كتاب الخمس، ثم الحج ثم الصيد، والجهاد، والنكاح، والأطعمة، والمواريث، والحدود، على هذا الترتيب فهو إذن: ليس على ترتيب القرآن وإنما أثبته تفسيرًا لأنهم يعدونه ضمن تفاسيرهم ولأنه يفسر هذا النوع من الآيات على مذهب الاثنى عشرية، وهو في الحقيقة خلاصة ما يراه الشيعة من أحكام فقهية في القرآن، كما أنه يوضح: كيف تأخذ الشيعة الحكم من الآية حسب أصولهم، وكيف يقيمون الدليل الأصولي والأقيسة المنطقية على استخراج هذه الأحكام من الآيات، وقد مر بنا جانب كبير منه في فصل الفروع الفقية عند الشيعة وتبين هناك كيف يعتمد الحلي على المغالطات في إقامة الأدلة ونصب الأقيسة الفاسدة التي سلكها في إثبات الأحكام لإلزام الخصم بمذهبه، وقد نبهت على مغالطاته هناك.

---

(١) ج ١: ورقة (١٧٦)

(٢) ورقة (١٢٠)

ومنهجه يتلخص: في أنه يأتي بالآية تحت فرعية من الفقه، فإن كان الحكم مجمعًا عليه من الشيعة وفقهاء أهل السنة الأربعة ذكر الإجماع ولا يطيل هنا في كيفية الاستدلال، وإن كانت مذاهب الفقهاء مختلفة في استنباط الحكم من الآية، بين ذلك مع نسبة كل رأى لصاحبه، وإن الشيعة قد وافقوا مذهبًا منها نص على ذلك وأيده مرجحًا فإن خالف الشيعة الفقهاء الأربعة حاول أن يؤيد مذهبه بإقامة الأدلة الأصولية عندهم وعند مذاهب أهل السنة، وهنا تظهر مغالطاته وأقيسته التي لا تسلم له، ويستعين والحالة هذه بأخبارهم عن الأئمة، أو بالاستدلال ببعض أخبار أهل السنة لمحاولة إلزامهم بمذهبه، لكن هذه الأخبار قد لاحظت عليها أنها إما موضوعة أو ضعيفة تركها أهل السنة لما بها، أو أنها ليست في محل النزاع وإن كان لها ملابسة ما بالموضوع، أو أنها منسوخة أو معارضة بما هو أقوى منها مثلًا، وفيما ذكرته من ذلك عنه في فصل الفقهيات ما يغني عن التمثيل له. والمهم أني لم أره- مرة رجح مذهب أهل السنة على مذهبه، بل إنه إذا أخذت بخناقه أحاديث أهل السنة في مسألة جاهر بالطعن فيها وردها.

والكتاب على كل حال أحكام فقيهة أكثر منه تفسيرًا، وإن كان متعلقًا بأخذ هذه الأحكام من القرآن، ولم يتعرض فيه لآيات العقائد، فلذا لم يظهر فيه أثر الغلو المذموم.

الرابع: كتاب تفسير بعض آيات الأحكام في القرآن

ومؤلفه هو: حسن نجفي توني، والكتاب صغير في مجلد واحد وجدته مخطوطًا في (١١٦) ورقة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٦١٨تفسير)، ولم يكن شاملًا للقرآن، بل هو على نمط كنز العرفان السابق، بل إنه لم يتعرض إلا للآيات المتعلقة لكتاب النكاح حيث بدأ به وأطال فيه ثم تعرض لبعض آيات في النذور والأطعمة والأشربة وأحيانًا قليلة يميل عن الخط الفقهي إلى الجانب العقدي لكن بدون أن يتحامل على أحد.

وإليك بعض النماذج منه لبيان كيفية استدلاله من الآيات:

١- عند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤﴾ [الطلاق: ٤]، يرى تبعًا لطائفته أن الآيسة والصغيرة التي لم تبلغ سن الحيض لاعدة عليها، وأن الحامل المتوفى عنها زوجها تعتد بأبعد الأجلين من عدة الوفاة أو الوضع، يقول بالنسبة للأول «أي إن جهلتم حالهن فلا تدرون لكبر ارتفع حيضهن أم لعارض فعدتهن ثلاثة أشهر، أي المرأة التي يجب أن تعتد عن الطلاق بثلاثة أشهر بلا خلاف هو الحرة التي لا تحيض وهو في سن من تحيض إذا دخل بها: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ أي النساء اللائي لم يبلغن سن المحيض، والتقدير إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر، ويعلم من هذا أن عدم الشك في البلوغ وتيقن عدمه لا عدة عليها وإن دخل بها، وكذا من بلغت سن اليأس»[1] والذي أوقع الشيعة في هذا الارتياب هو أنهم نظروا إلى الشرط في قوله: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ على أنه في الارتياب في انقطاع الحيض لعارض، ومفاده أنه عدم الارتياب لكبر أو صغر لا عدة عليها، والمعنى الصحيح للآية أن الارتياب راجع إلى عدم معرفة عدة من لا تحيض، فبينت الآية أنها تعتد بالشهور لا بالإقراء كما أوضحه سبب النزول المشهور، وأما الثاني: ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ﴾ قال: «إنه في المطلقات خاصة وهو المروي عن أهل البيت فإن المتوفى عنها زوجها عدتها إذا كانت حاملًا أبعد الأجلين[2] ولا يخفى بطلان ذلك، وقصة سبيعة الأسلمية مشهورة وهي أنها وضعت بعدة وفاة زوجها سعد بن حولة بأربعين ليلة فقال لها النبي ﷺ: «**قد حللت فانكحي**»[3].

٢- ومثال ميله عن الخط الفقهي إلى الخط العقائدي ما ذكره عند آية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، قال: «روى عن الباقر والصادق أنها نزلت في حق علي بن أبي طالب بعد أن نصبه النبي إمامًا يوم غدير خم بعد انصرافه من حجة الوداع ولم ينزل بعدها حكم»[4].

---

(١) (٢) ورقة (١٢٢)

(٣) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة الطلاق ج ٣: ص ٢٠٤

(٤) ورقة (٢٠٧)

والكتاب على هذا النمط، وعدة في التفاسير فيه تجوز كبير لكني تابعت القوم على ذلك.

الخامس: تفسير القرآن الكريم لشبر

ومؤلفه هو: السيد عبد اللّٰه بن محمد رضا العلوي الحسيني الكاظمي الشهير بشبر المتوفى سنة (١٢٤٢) هـ وقد طبع كتابه عدة طبعات آخرها سنة (١٣٩٧) هـ بدار أحياء التراث العربي ببيروت وهو النسخة التي اعتمدت عليها في البحث، وهو جزء واحد على نظام تفسير الجلالين عدد صفحاته هي عدد صفحات المصحف تقريبًا، حيث يقع التفسير على الهوامش والنص القرآني برسم المصحف يقع في وسط الصحيفة مما يمكن الباحث من العثور على ما يرجع إليه بيسر، ومنهجه، هو نفس منهج الجلالين تمامًا، من الإيجاز في العبارة التي تحمل المعاني الكثيرة في سهولة ويسر، مع الفارق طبعًا في الموضوع حيث يجري على النظام الشيعي في التفسير وهو من المعتدلين نوعًا في التشيع، كما يغلب عليه الجانب اللغوي وإبراز المحاسن البلاغية للنظم الكريم، كما أنه يعتني بالمسائل الاعتزالية التي أخذها الشيعة من المعتزلة كما تقدم.

هذا كما أنه يعتني بجانب القراءات الواردة في النص القرآني، فهو يلتزم في التفسير أولًا بقراءة حفص عن عاصم، ثم يذكر بالهامش ما ورد من قراءات أخرى لكن بدون أن يسندها إلى أصحابها من القراء أحيانًا ما تكون هذه القراءاة شاذة لا يصح القراءة بها، مما يتسبب من عدم إسنادها في الوقوع في اللبس والخطأ لمن لا خبرة له بهذا الفن وقد مثلت لذلك عنده في مبحث القراءات عند الشيعة، ومما يؤخذ عليه في ذلك أيضًا أنه يذكر ما يروونه من قراءات منسوبة إلى آل البيت في صلب التفسير، بينما يذكر القراءات المتواترة مخلوطة بالشاذة في الهامش بدون تمييز بين الغث والسمين منها، وكثيرًا ما تكون هذه القراءة المنسوبة لآل البيت هي بعينها ما جاءت به أخبار تحريف القرآن عندهم، بل أحيانًا لا يصرح بأنها قراءة أهل البيت بل يطلق القول بأنه (قرى لذا) الخ. وهنا يكون اللبس أكثر حيث لا يميز من لا خبرة له

باتجاهات الشيعة أن هذه القراءة مقبولة أو مرفوضة كما أن فيه لونًا من البس آخر وهو أنه أحيانًا يذكر في الآية المعنى الشيعي ثم يردفه بالمعنى المعروف عند أهل السنة دون أن يذكر أن الأول رأى الإمامية والثاني رأى أهل السنة مما يلتبس على كثيرين ممن لا خبرة لهم بعقائد القوم، ولا أدري هل أراد بذلك التمويه أم أراد إرضاء الطرفين من أهل السنة والشيعة معًا؟

هذا وشبر يحرص في تفسيره على عقيدته الاثنى عشرية فيفسر بها كثيرًا من النصوص القرآنية سواء فيما يتعلق بأصول المذهب أو فروعه أو ما تأثروا بالمعتزلة فيه، لكن في اعتدال دون غلو وفي إيجاز دون إطناب من غير إسراف ولا تفريط، وقد تقدمت الأمثلة لهذا كله لما فيه من جوانب بلاغية، ولإيجازه وسهولته فهو كثير التداول عندهم.

السادس: تفسير آلاء الرحمن في تفسير القرآن:

ومؤلفه: هو الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي، جاء في ترجمته في كتاب أعلام الشيعة: وهو الشيخ محمد جواد بن الشيخ حسن بن الشيخ طالب بن عباس بن إبراهيم بن حسين بن عباس بن الشيخ حسن مؤلف كتاب (تنقيح المقال) البلاغي النجفي من مشاهير علماء الشيعة، توفي سنة (١٩٥٢)م[1].

وتفسيره عثرت عليه مطبوعًا في صيدا بلبنان سنة ١٣٥٢هـ أي سنة وفاة المؤلف ولم يوجد منه غير جزءين، ينتهي الأول بنهاية سورة آل عمران، وعدد صفحاته (٣٨٣) وينتهي الثاني عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء: ٥٦]، ونعوذ بالله من هذه النهاية.!

وهذا التفسير يختلف نوعًا عن التفاسير السابقة حيث نرى صاحبه يركز كثيرًا على النواحي البلاغية والإعجاز البياني للقرآن متأثرًا في ذلك إلى حد ما بتفسير العلامة أبي

---

(١) انظر: كتاب أعلام الشيعة: ج: ص ٣٢٣.

السعود العمادي، والبيضاوي من مفسري أهل السنة.

هذا بجانب ما فيه من ميوله الاعتزالية وعقيدته الشيعية في اعتدال دون مغالاة، وإن كان يناضل بكل ما أوتي من قوة عن معتقداته خاصة إذا عثر على رواية عند أهل السنة يمكن أن يستغل منها أدنى ملابسة لعقيدته، مثل الأحاديث الواردة في مناقب علي وأهل البيت ويستدل بها في غير ما وردت فيه ويحملها ما لا تحتمل ولا شك أن هذه مغالطة لأن مناقب، هؤلاء السادة ليست محلًا للنزاع حتى يتم له هذا الإلزام، كما أنه كثير الاحتجاج على أهل السنة بما في كتب الموضوعات وإنما حكموا بوضعه وأثبتوه في كتب الموضوعات عندهم، وقد نبهت على الكثير من ذلك عنده أثناء البحث، خاصة عند التعرض لذكر الموضوعات والإسرائيليات في كتب الشيعة.

وإليك مضمون ما جاء في مقدمة تفسيره فهي تلقي الضوء على منهجه فيه، حيث جعلهاعلى فصول.

الفصل الأول:

تحدث فيه عن إعجاز القرآن ودلالته على صدق الرسول ﷺ وعن الحكمة في كون معجزته هي القرآن، وعن الفرق بين معجزته وبين معجزات الأنبياء قبله وذكر وجوه الإعجاز المختلفة في القرآن، والحق أنه أجاد وأفاد.

الفصل الثاني:

تحدث فيه عن جمع القرآن وإن حاول أن ينفي فضل أبي بكر في ذلك الجمع والعناية به بل زعم أن الصحابة هبوا جميعًا لجمعه وإن لم يكتبوه على ما كان ينبغي- في نظره- أن يكتب عليه من ترتيب النزول وتقديم المنسوخ على الناسخ، وحكم على الروايات الواردة في جمع أبي بكر وعمر بالاضطراب والتعارض ثم تعرض لبعض أحاديث وردت عند أهل السنة في مجال النسخ، واعتبرها طعنًا في القرآن حاول أن يلزم بها أهل السنة بالقول بتحريف القرآن وهاجمهم من أجلها، وقد تعرضت لذلك مبينًا خطأه، ومغالطاته في ذلك في فصل فرية التحريف عند الشيعة كما تعرض لكتاب «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» لمؤلفه النوري الطبرسي

الشيعي، فنقده نقدًا لاذعًا وبين أنه اعتمد في الأخبار التي جمعها عندهم عن الكذابين والغلاة والمطعون عليهم في دينهم ممن لا يحل الرواية عنهم، وحمل ما جاء في ذلك عندهم من أخبار التحريف على إرادة التفسير والتأويل.

الفصل الثالث:

وجعله في القراءات، وحمل فيه حملة شعواء على القراء السبعة ورجح أن القرآن هو ما تلقاه الناس شفاهًا كثرة عن كثرة كما نتلوه اليوم، ونفى أن يكون مأخوذًا عن أحد القراء، وقد أبنت في محله من الرسالة أن هذه مغالطة لأن الذي أخذ من القراء هي وجوه الأداء وليس هو القرآن، وأن هجومه عليهم لا سند له فيه، بل يبطله الواقع وتلقى الأمة لقراءاتهم بالقبول، كذلك هاجم البلاغي حديث نزول القرآن على سبعة أحرف وحكم باضطرابه ورجح أن القرآن نزل على حرف واحد، وقد مر بنا ذكر ذلك عنه، وتمت مناقشته وإبطال مدعاه، في فصل فرية التحريف.

الفصل الرابع:

وجعله في عدة مقامات الأول في مفردات الألفاظ وأهميته في التفسير وحمل على بعض المفسرين في القول بزيادة بعض الكلمات في القرآن مثل (لا)، في القسم وجعل المقام الثاني في بلاغه القرآن فبين انه على أعلى مقامات البلاغة حيث بلغ مبلغ الإعجاز في ذلك، وجعل المقام الثالث في تفسيره فبين أنه يجب أخذ القرآن وتفسيره من معينه الأول وهم أهل البيت ﷺ، أما أخذه عن التابعين فمما لا يعذر فيه مسلم في أمر دينه حيث لا تقوم به حجة- هكذا يزعم ثم طعن على التفسير الباطني وبين أنه متاهة للرأي وانحراف عن النهج السوي ومفارقة له من أول خطوة ثم ذكر المقام الرابع فبين فيه أن القرآن أشاد بالعقل وحس على التفكير والتدبر.

ثم شرع بعد ذلك في تفسير الفاتحة ثم البقرة وهكذا.

هذا وقد مر بنا الكثير من النقل عنه بما يبين منهجه وشدة خصومته وتعصبه لمذهبه وكذا للنواحي الاعتزالية وتمت مناقشته، وهو وإن كان شديد العناد والتعصب إلا أن كتابه لا يعتبر من كتب الغلاة بل يعتبر ضمن المعتدلين نسبيًا بصرف النظر عما فيه من

تشيع واعتدال حيث لم يفسر تفسيرًا باطنيًا كالغلاة، بل هاجم كما رأيت، كما لم يناصر فرية التحريف بل هاجم النوري في كتابه كما تقدم، وإن أورد هو هذه الأخبار على أن المراد بها التفسير والتأويل للنص القرآني، كما أنه لم يصرح بتكفير الصحابة وإن كان يهاجمهم أحيانًا من غير تكفير، هذا مع حرصه الشديد على أصول مذهبه!

السابع: التفسير المبين

ومؤلفه: هو: الشيخ محمد جواد مغنية رئيس المحكمة الجعفرية العليا بمدينة النجف بالعراق، كما هو مسطر على العديد من مؤلفاته، وقد ألف تفسيره هذا كما ذكر سنة ١٣٩٨هـ، سنة ١٩٧٨م فهو أحدث تفسير صدر عن الطائفة حتى الآن، وصحابه معروف مشهور بكثرة مؤلفاته في التعريف بالإمامية والدفاع عنهم وعرض عقائدهم في صورة جديدة، مع تنقية المذهب مما كان معروفًا عنهم من غلو فيه، وقد مر بنا في مبحث الرجعة أنه هاجم هذه العقيدة واعتبرها خرافة لا يصدقها العقل.

هذا وقد ألف مغنية عشرات الكتب في عقائد الإمامية مال فيها إلى أن كثيرًا من معتقداتهم كانت مجرد فكرة والفيصل في ذلك للعقل وصريح القرآن، فما حكم به العقل مع صريح القرآن فهو من العقائد الثابتة وما لا فلا، كما سنذكره عنه بعد قليل، ومغنية صاحب دعوة في التقريب بين المذاهب الإسلامية فقد ألف كتابًا في الفقه على المذاهب الخمسة، المذهب الجعفري، والمذاهب الأربعة لأهل السنة، مركزًا فيه على مدى التوافق بين الشيعة و أهل السنة في أغلب المسائل الفقهية جعله على نمط الفقه على المذاهب الأربعة عند أهل السنة، وهدف مغنية من ذلك هدف- جليل يحمد عليه، وهو محاولة التقريب بين طوائف الأمة لجمع شملها وتضييق هوة الخلاف وإذابة الفوارق بين أبنائها وذلك ممكن في نظري إذا قيض اللّه للأمة عددًا من أمثال هذا الرجل.

أرجو وآمل ذلك مخلصًا إنه نعم المولى ونعم المجيب.

وأترك مغنية يوجز لنا منهجه في تفسيره هذا في سطور حيث يقول:

«أحسب أن إقبالي على هذا التفسير الوجيز بإرادة جادة هو الذي مهد لي سبيل

التطواف مع العديد من الآيات في حياة الناس والتعرف على مكانة الإنسان وكرامته عند اللّه، وأنه تعلى ما شرع الحلال وأرسل الرسل وأنزل الكتب إلا لخير الناس ومصالحم وسعادتهم وكل من يتدبر بوعي وفهم سوي لا بعقل خرافي أو بقلب أعمته الميول والأطماع فإنه يحس ويلمس أن كل آية من آياته تدل بالعبارة أو بالإشارة على هذا المعنى الإنساني.

وبهذه الروح والعقيدة كتبت هذه الصفحات ومن قبلها التفسير الكاشف، وعدلت عن مختصر جوامع الجامع إلى التفسير المبين، أجل اختصرت عبارة الجوامع[1] بأسلوب أوضح في تفسير الآيات التي لا يفهم منها عادة أكثر من معنى كأخبار الأمم الماضية والقرون الخالية والجنات المعروشات وغير المعروشات والنخل والزرع وما أشبه حيث لا رأي فيها ولا اجتهاد، وللمجتهد واقعًا أن ينظر ويختار فيما عدا ذلك من الآيات، ولكن على منطق العقل ومبادئ الشرع ودلالة اللفظ تصريحًا وتلويحًا بحيث لا يخرج عن قوانين اللغة»[2].

وعليه فمغنية يفسر القرآن بعقل متحرر من الخرافة ومن القيود والميول والأطماع التي جرى عليها متطرفو الشيعة، وهو وإن كان يختصر جوامع الجامع للطبرسي إلا أنه كما ذكر يجري هذا الاختصار في آيات الأخبار والقصص الماضية، أما إذا كان النص محيلًا للاجتهاد فإنه من حقه كمجتهد أن ينظر ويختار، فعلًا فقد تحرر مغنية من بعض قيود المذهب كعقيدة الرجعة والتقية عند الشيعة وقد سجلت هجومه على الرجعة في محله لكن ليس معنى هذا أن مغنية قد انقلب سُنيًّا بل بقي له الكثير من معتقدات الاثنى عشرية، مثل الاعتقاد في ولاية علي وبنيه ﷺ واعتقاد عصمتهم وما أشبه، لكن في اعتدال دون تطرف، كما أنه معتدل في المسائل الاعتزالية، ولم يتعصب كثيرًا إلا في مسألة الحرية الفردية للإنسان رغبة منه في أن يتحمل الإنسان مسئوليته كاملة من غير تعلل بالقضاء والقدر، أما باقي المسائل فإنه يقف منها موقفًا

(١) يقصد جوامع الجامع للطبرسي.
(٢) انظر: مقدمة تفسيره ص٤.

وسطًا عادة.

كما أنه جرى في المسائل الفقهية على حكاية مذهب الشيعة وأهل السنة على سواء فيقول مثلًا: «يرى السنة كذا، ويرى الشيعة كذا) هذه عبارته دائمًا، فمثلًا عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦] يقول: «وهذه الآية تحدد أعضاء الوضوء وصوره غسلًا ومسحًا واتفقت المذاهب قولًا واحدًا على أن أعضاء الوضوء أربعة، الوجه واليدان والرأس والرجلان، واختلفوا في صورة الوضوء فقال الشيعة: هي غسلتان للوجه واليدين، ومسحتان للرأس والرجلين، وقال: السنة ثلاث غسلات للوجه واليدين والرجلين ومسحة للرأس، ومعنى هذا أن الخلاف في الرجلين فقط مسحًا عند الشيعة وغسلًا عند السنة»[1].

هكذا وبلا تحيز وترجيح أو طعن، بل نراه في مسائل يميل إلى مذهب أهل السنة ويرجحه أحيانًا خاصة في ذبائح أهل الكتاب حيث يرى أهل الشيعة حرمتها فعند قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ الآية [المائدة: ٥]، يقول: «قال الشيخ علي بن الحسين بن محيي الدين العاملي في «الوجيز في تفسير القرآن العزيز» وهو يفسر هذه الآية ما نصه بالحرف الوحد: ظاهره يعم ذبائحهم وغيرها وعليه فقهاء الجمهور وجماعة منا ويعضده أخبار»[2].

تلك هي عبارته وهي واضحة في اختياره حل ذبائحهم كما هو مذهب أهل السنة، وأيضًا في باقي الآية فيما يتعلق بنكاح الكتابيات حيث أن أهل السنة على جوازه، والشيعة على تحريمه في الدائم وحله في نكاح المتعة، فمال مغنية إلى حله دوامًا ومتعة حيث قال فيها ما نصه: «وهذه الدلالة ظاهرة في إباحة زواج المسلم للنصرانية واليهودية حربية كانت أو غير حربية دوامًا وانقطاعًا»[3].

---

(١) انظر: تفسيره ص١١٦ .

(٢) انظر: تفسيره ص١١٥ .

(٣) انظر: تفسيره ص ١١٥ .

وهو يقصد بالانقطاع نكاح المتعة، حيث يرى حله وبصرف النظر عن هذا فإنه رأى حل الكتابية في الزواج الدائم فخالف بذلك طائفته ووافق أهل السنة لصراحة النص في ذلك.

كما أن مغنية أيضًا قد نفى أن يكون في القرآن تحريف نفيًا باتًّا وهو بذلك يرد على أفراد طائفته، حيث نراه يقول: عند آية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] ما نصه: «المراد بالذكر هنا القرآن الكريم، وضمير له يعود إليه، والمعنى: أن القرآن الموجود فعلًا بين الدفتين، المألوف لدى كل الناس هو بالذات الذي نزل على محمد ﷺ بلا تقليم وتطعيم على العكس من الكتاب المعروف الآية بالتوارة فإنه غير الذي جاء به موسى عليه السلام، وكذا الكتاب المعروف بالإنجيل فهو غير الذي نزل به عيسى عليه السلام[1] ونحن نشكر مغنية على قطع خط الرجعة على من زعم ذلك من الشيعة كما أن تفسيره على طول بعد (٧٣٠ صحيفة) قد خلا تمامًا في الطعن على الصحابة تصريحًا أو تلويحًا، بل على العكس نجده يثني عليهم في مناسبات عديدة، بما يتعلق بمقامهم الرفيع وبما بذلوه من الأنفس والأهل والمال في سبيل إعلاء كلمة اللَّه، ويبرز هذا الجانب لهم، فمثلًا يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ لا لشيء إلا لوقوفهم مع الحق، وإعلاء كلمة الإسلام ونصيحتهم في سبيله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ إيمانًا وقولًا وعملًا، وبهؤلاء المهاجرين وأمثالهم من الأنصار استقام الإسلام وانتشر في شرق الأرض وغربها ولا بدع فإن قائدهم محمد ﷺ، ولن تكون الأمة فاسدة وقائدها صالحًا: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ المراد بالذين: الأنصار، وتبوءوا: سكنوا، والدار: دار الهجرة وهي المدينة، والإيمان مفعول لفعل محذوف، أي وأخلصوا الإيمان، وقد أثنى اللَّه على الأنصار بأنهم: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُو

(١) ص٢٨٦ منه.

مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ جاء في التفاسير: أن المراد بالذين جاءوا من بعد الصحابة التابعون لهم بإحسان أخذ بقرينة السياق، ومع هذا فإن الثناء يعم ويشمل كل من سار بسيرة الصحابة إلى يوم القيامة»[1] ونحن نشكر مغنية أجزل اللَّه ثوابه على ذلك: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ وبهذا انتهى بحمد اللَّه البحث في الرسالة ويأتي دور النتائج!

★ ★ ★

(١) ص٦٣١ منه .